دروس المسجد في رمضان

عائض بن عبد الله القرني

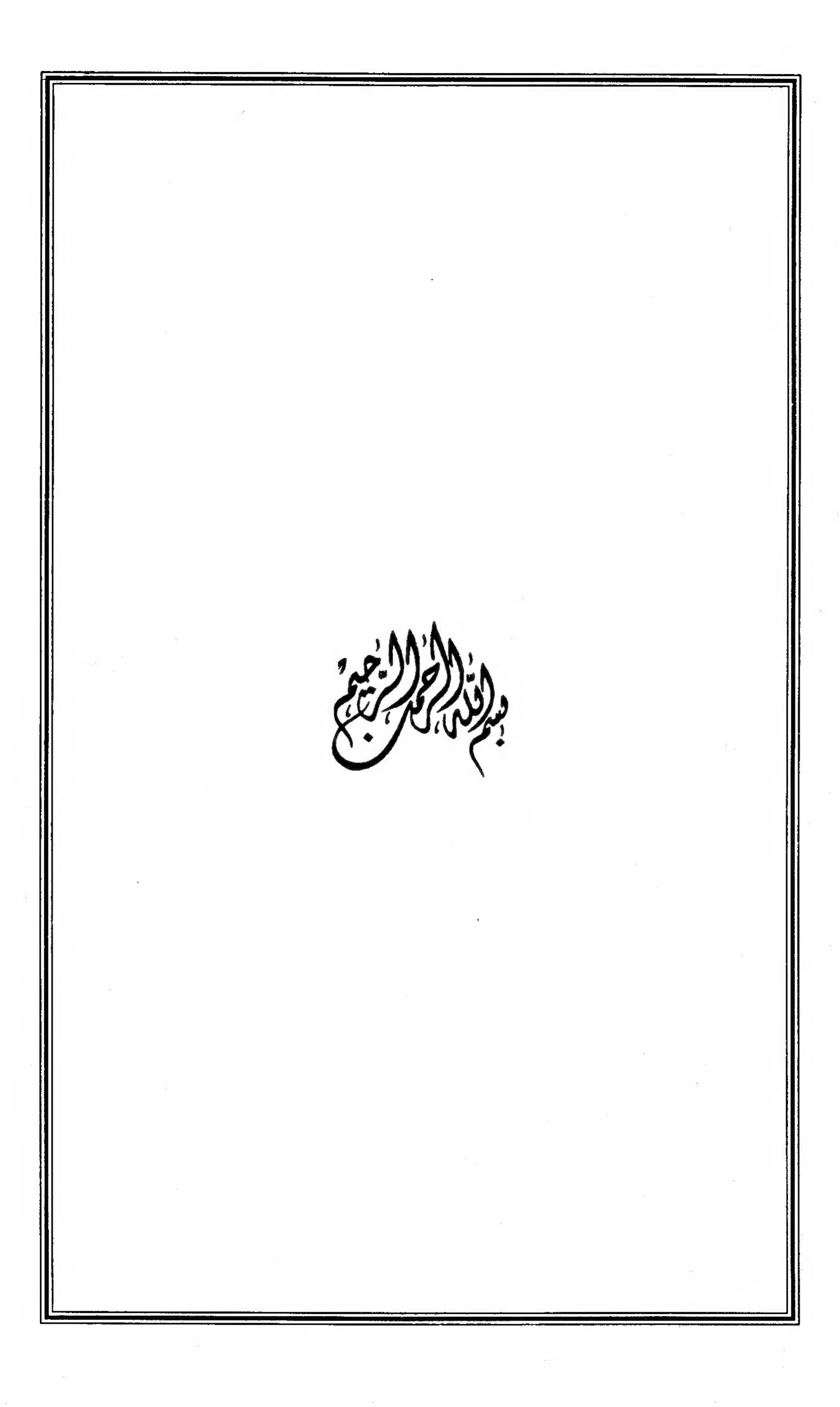
دار ابن حزم

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

دروس المسجد في رمضان


بسم الله الرحمن الرحيم



المؤلف في سطور

- د. عائض بن عبدالله بن عائض آل مجدوع القرني.
- من مواليد عام ١٣٧٩هـ ببلاد القرن جنوب المملكة العربية السعودية.
- حصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ.
- حصل على الماجستير في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ وعنوان رسالته: «البدعة وأثرها في الدراية والرواية».
- حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٢هـ بعنوان: «دراسة وتحقيق كتاب المفهم على صحيح مسلم للقرطبي».
- له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية.
- يحفظ القرآن الكريم وكتاب بلوغ المرام ويستحضر ما يقارب من خمسة آلاف حديث وأكثر من عشرة آلاف بيت شعر.
- له أربعة دواوين شعرية هي:

  ١ ـ لحن الخلود.

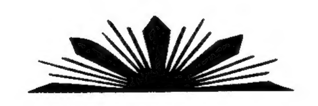
  ٢ ـ تاج المدائح.

  ٣ ـ هدايا وتحايا.

  ٤ ـ قصة الطموح.
- أما مؤلفاته: فقد ألّف في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، ومن مؤلفاته التي أصدرتها دار ابن حزم بلبنان:

١ - الإسلام وقضايا العصر.
٢ - تاج المدائح.
٣ - ثلاثون سبباً للسعادة.
٤ - دروس المسجد في رمضان.
٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله.
٦ - مجتمع المُثل.
٧ - ورد المسلم والمسلمة.
٨ - فقه الدليل.
٩ - نونية القرني.
١٠ - المعجزة الخالدة.
١١ - اقرأ باسم ربك.
١٢ - تحف نبوية.
١٣ - حتى تكون أسعد الناس.
١٤ - سياط القلوب.
١٥ - فتية آمنوا بربهم.
١٦ - هكذا قال لنا المعلم.
١٧ - ولكن كونوا ربانيين.
١٨ - من موحد إلى ملحد.
١٩ - إمبراطور الشعراء.
٢٠ - وحي الذاكرة.
٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
٢٢ - ترجمان السنة.
٢٣ - حدائق ذات بهجة.
٢٤ - العظمة.
٢٥ - لا تحزن.
٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق.
٢٧ - مقامات القرني.
٢٨ - احفظ الله يحفظك.
٢٩ - أعذب الشعر.

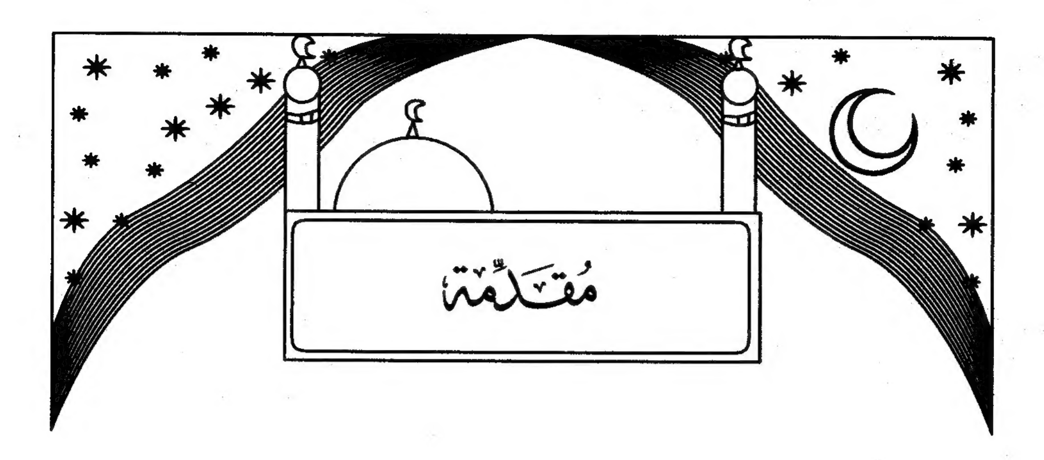
❁ حضر عشرات المحاضرات والأمسيات، وحضر مؤتمر الشباب العربي المسلم ومؤتمر الكتاب والسنة بالولايات المتحدة الأمريكية، وحاضر في الأندية الأدبية والرياضية وحاضر في الجامعات والملتقيات الثقافية.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فهذا كتابُ **«دروس المسجد في رمضان»** أحببت أن أتحدَّث فيه عن أحكام تَهُمُّ الصائم، ورتَّبتها على مسائل، ليسهُل على إمام المسجد، وخطيب الجامع، والمعلِّم، والواعظ، والمربِّي، قراءتها، والاستفادة منها.

فما كان فيه من صواب، فمن الله وحده، وله الحمد والمنة على توفيقه، وما كان غير ذلك، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه.

لكن قدرة مثلي غير خافية والنمل يعذر في القدر الذي حملا

والله أسأل التوفيق والسداد، لا رب غيره، ولا أرجو إلا خيره، عليه توكلت، وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وكتب
أبو عبدالله
د/عائض بن عبدالله القرني
الرياض

❁ المسألة الأولى: فرضية الصيام، وأدلة ذلك، وحكمه، ومقاصده.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

يخاطب الله تبارك وتعالى في هذه الآية الأمة المسلمة، آمراً أفرادها بالصيام، وهو: الإمساك عن الطعام، والشراب، والوقاع، بنيةٍ خالصةٍ لله، عزَّ وجلَّ. قال أبو عمر بن عبدالبر: أما الصيام في الشريعة: فمعناه: الإمساك عن الأكل والشرب، ووطء النساء نهاراً، إذا كان تارك ذلك يريه به وجه الله وينويه، هذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة[1]؛ لما فيه من زكاة النفوس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيهم أسوة، فليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض الذي أكمله الله، سبحانه وتعالى، لهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولهذا قال هاهنا: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأن الصوم

---

(١) «التمهيد» (١٩/٥٣).

فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان، ولهذا ثبت في الحديث: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**(١).

ثم بيَّن مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم؛ لئلاً يشق على النفوس، فتضعف عن حمله، وأدائه، بل في أيام معدودات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، يصومون من كل شهر ثلاثة أيام، ثم نُسخ ذلك بصوم شهر رمضان.

وقد روي أن الصِّيام كان أولاً ـ كما كانت عليه الأمم قبلنا ـ من كل شهر ثلاثة أيام، ولم يزل هذا مشروعاً من زمان نوح، عليه السلام، إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بصيام شهر رمضان، قال الحسن البصري: «لقد كُتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كُتب علينا شهراً كاملاً، وأياماً معدودات، عدداً معلوماً»(٢).

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣] يعني بذلك أهل الكتاب، ثم بيَّن سبحانه وتعالى حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام(٢).

وفي الحديث عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج»**(٣).

وبيّن فرضيته، عليه الصلاة والسلام، في أحاديث كثيرة، فعن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يسأله عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٩/١ ـ ٢٨٠) في آية (١٨٣) من سورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«خمس صلواتٍ في اليوم والليلة»**، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**، فقال رسول الله ﷺ: **«وصيام شهر رمضان»** قال: هل عليَّ غيره؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**. قال: وذكر له رسول الله ﷺ: **«الزكاة»**، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: **«أفلح إن صدق»**(١)، وكذلك في حديث ضمام بن ثعلبة: فعن أنس بن مالكٍ قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيُّكم محمدٌ والنبي ﷺ متكئٌ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل: يا ابن عبدالمطلب، فقال له النبي ﷺ: **«قد أجبتك»**، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك، فقال: **«سل عما بدا لك»**، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟، فقال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: **«اللَّهمَّ نعم»**، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر(٢).

وأجمع أهل العلم على فرضية صيام شهر رمضان.

قال ابن عبدالبر: وأجمع العلماء على أن لا فرض في الصوم غير شهر رمضان(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣).

(٣) «التمهيد» (١٤٨/٢).

وللصيام حِكَمٌ عظيمة، وفوائد عميمة:

منها: التقوى، كما نصّ على ذلك مولانا، تبارك وتعالى، بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فإنه من أعظم أسباب غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وكسر النفس الشيطانية، والغضبية، والشهوانية، وردها إلى مولاها، وهو: مَرْغمة للشيطان، وهو: امتثال لأمر المولى، سبحانه وتعالى، وتجربة للنفوس لتحمل المشاق، وفيه أيضاً: انتصار على النفس الأمَّارة بالسوء؛ فإنَّ العبد إذا صام خالف شهوات النفس، فانتصر عليها.

وفيه: أيضاً تعويد للنفس على الصبر، والقيام بالتكاليف العظيمة، والأمور الجسيمة؛ ليكون المسلم والمسلمة في مسألة امتحان أمام الله، سبحانه وتعالى، وما يحبه ويرضاه.

وفيه: أيضاً تذكُّرٌ لأحوال البائسين، والمساكين، والفقراء الذين يجوعون، أكثر مما يشبعون، فإن من لا يحس بالجوع، قد لا يدرك ما هم عليه من المشقة والضنك، فمن حكمة الله، عزَّ وجلَّ: أن يذوق الناس ألم الجوع، وألم الظمأ؛ ليتذكَّر بعضهم بعضاً.

ومن حكم الصوم: أيضاً جمع الأمة من أقصاها إلى أدناها على صيام شهر واحد، يُفطر غالبهم في وقت واحد، ويصومون في وقت واحد، فيكون هناك اجتماع للأمة وتوجه لها، ووحدة معنوية وحسية.

والصيام ـ بعد ذلك ـ صحة للبدن، فهو يُذهب الأخلاط الرديئة من الجسم، ويُصَفِّي الدم، ويريح المعدة، وقد قال كثير من أهل الطِّب، وأيَّدهم أهل الشريعة: إنه ـ أي الصيام ـ من أسباب صحة الجسم وقوَّته، ولله الحِكَم البالغة، هذا ما أدركناه، وما لم ندركه أكثر من أسرار شريعة الله، سبحانه وتعالى.

۞ المسألة الثانية: فضل الصيام.

في الحديث عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**الصيام جُنَّة، فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم** «مرتين»**، والذي نفسي بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**»[١].

وإنما فُضِّل الصيام عند أهل العلم لأسباب منها:

أولاً: أن الصوم لا يقع فيه الرياء، كما يقع في غيره من العبادات، حكاه المازري وغيره من أهل العلم، وقال بعضهم: رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ليس في الصيام رياء**»[٢]، وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات، إلا الصوم فإنما يقع بالنية التي تخفى على الناس، فقد يفطر الإنسان دون أن يعلم الناس به.

وقد روى الحديث السابق البيهقي في «الشعب»[٣] من طريق سهل مولى المغيرة بن أبي الصلت عن الزُّهري، موصولاً، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، ولكن إسناده ضعيف، لجهالة بعض رواته، ولفظه: «**الصيام لا رياء فيه، قال الله: هو لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه من أجلي**». وهذا ـ لو صحَّ ـ كان قاطعاً للنزاع.

وقال القرطبي: لمّا كانت الأعمال يدخلها الرياء، واصوم لا يَطَّلِعُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٦١، ١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه هناد وفي «الزهد» (٢/٣٥٨/٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/٢٠١/٣٣٢١) من حديث عقيل بن خالد، عن الزهري هكذا مرسلاً، ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل عند أهل هذا الفن.

(٣) ضعيف، انظر الموضع السابق.

عليه بمجرَّد فعله إلا الله، أضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: «**يدع شهوته من أجلي**».

قال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها، وقلَّ أن يَسْلَمَ ما يظهر من شوب خلاف الصوم، وارتضى هذا المازريُّ، وقرَّره القرطبي.

ثانياً: أن المراد بقوله: «**وأنا أجزي به**»، أني أنفرد بعلم مقدار ما لعبدي من الثواب، ومضاعفة الحسنات، وأما غيره من العبادات فقد اطَّلع عليها بعض الناس.

قال القرطبي: معناه: أن الأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تُضاعف من عشرة، إلى سبعمائة ضِعْفٍ، إلى ما شاء الله، إلا الصوم، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، ويشهد لهذا حديث: «**كل عمل ابن آدم يُضاعف له، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ إلى ما شاء الله، قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»[1]، أي: يجازي به، ولأن الصوم من الصبر، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثاً: معنى قوله: «**الصوم لي**»، أي: أنه أحبُّ العبادات إليَّ، والمقدَّم عندي، وكفى بقوله: «**الصوم لي**» فضلاً للصيام على سائر العبادات، وروى النسائي وغيره من حديث أبي أمامة مرفوعاً: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**»[2].

رابعاً: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم، كما يُقال: بيتُ الله، وإن

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح على شرط مسلم، رواه ابن أبي شيبة (٣/٥)، والإمام أحمد (٥/٢٥٥، ٢٥٨)، والنسائي (٤/١٦٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٤٢٥، ٣٤٢٦) وغيرهم من طريقين محفوظين من حديث رجاء بن حيوة عن أبي أمامة به ورجاء على شرط مسلم، وبقية رجاله رجال الصحيحين.

كانت البيوت كلها لله، قال ابن المنيِّر: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يُفهم منه إلاّ التعظيم والتشريف.

خامساً: أن الاستغناء عن الطعام، وغيره من الشهوات من صفات الرب جلَّ جلاله، فهو يُطْعِمُ ولا يُطعَم، فلمَّا تقرَّب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه.

قال بعض أهل العلم: معناه: أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام؛ فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرَّب إليّ بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي.

سادساً: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة إلى الملائكة؛ لأن ذلك من صفاتهم.

سابعاً: أنه خالص لله تعالى، وليس للعبد فيه حظ، قاله الخطَّابي.

وقال ابن الجوزي: المعنى: ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره، فإن لها فيه حظاً؛ لثناء الناس عليه لعبادته، لأنها تظهر، هذا وقد يقع في الصوم الرياء إذا أظهره العبد أمام الناس بقصد جلب الثناء، ولكن المقصود أن وقوع الرياء في الصيام أقل من وقوعه في غيره.

ثامناً: سبب الإضافة إلى الله تعالى: أن الصيام لم يعبد به غير الله تعالى، بخلاف الصلاة، والصدقة، والطواف، وغير ذلك، واعترض على هذا بما يقع من عُبَّاد النجوم، وأصحاب الهياكل، والاستخدامات، فإنهم يتعبَّدون لها بالصيام، وأجيب بأنهم لا يعتقدون ألوهيَّة الكواكب، وإنما يعتقدون أنها فعّالة بأنفسها، وهذا الجواب ليس له طائل.

تاسعاً: أن جميع العبادات تُوَفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام، وقد رُوي عن ابن عيينة قال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده،

ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمَّل الله ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة.

عاشراً: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال، فإنه من الأعمال الخفية التي لا يطَّلع عليها إلا الله عز وجل، وكثيرٌ من الناس لا يعلمون بصيام الصائم، بخلاف الصلاة والحج والزكاة، فإنها تظهر لجمهور الناس.

حادي عشر: أنه كفّارة، وقد عقد البخاري على ذلك باباً سمّاه: «الصوم كفّارة»، وأورد حديث حذيفة عنه عليه الصلاة والسلام: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفِّرها الصلاة والصيام والصدقة**»[١].

ثاني عشر: أن الله عزَّ وجلَّ ـ كما صحَّ في الأحاديث ـ جعل للصائمين باباً في الجنة يُسمَّى الرَّيَّان، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة باباً يُقال له: الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد**»[٢].

وقد ورد عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٣]. ومعنى إيماناً: أنه مؤمن بالله عزَّ وجلَّ، فلا يصِحُّ صيام الكافر، ومعنى احتساباً: أنه يريد بصيامه وجه الله عزَّ وجلَّ، محتسباً أجره على الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥ ـ ١٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ المسألة الثالثة: شروط وجوب الصيام.

وهي أربعة شروط:

أولها: الإسلام، فلا يجب على الكافر ولا المرتد؛ لأنه عبادة فلا تجب على الكافر كالصلاة، ولأن الله سبحانه وتعالى خاطب بفريضة الصيام المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولأن الكافر والمرتد لم يأتِ بأصل الإسلام، فلا يُقبل منه، وعمله مردودٌ عليه؛ لأنه لم يعتقد وحدانية الباري سبحانه وتعالى، ولا صدَّق برسالة المعصوم عليه الصلاة والسلام.

ثم إنه لا يطالب الكافر - لو أسلم - بما فات عليه في عمره من صلاة وصيام، وكذلك من ارتدَّ فبقي فترة لا يصلي ولا يصوم، ثم عاد إلى الإسلام، فإنه لا يطالب في تلك الفترة بصيامِ وصلاةِ ما ترك، بل تكفيه التوبة النصوح، والدخول في الدِّين.

ثانيها: العقل، فلا يجب على مجنون؛ لأن الله سبحانه وتعالى خاطب أهل العقول، وجعل من شروط القيام بالشرع الحنيف: العقل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وذكر سبحانه وتعالى العقل في مسألة الاحتجاج فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك: ١٠]، فمن لا يسمع أو يعقل ومن شابههم لا يطلب منهم القيام بالشرع، وتكاليفه وأحكامه.

ثالثها: البلوغ، فلا يجب على صبيٍّ، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن**

النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم»[١].

وقال بعض أهل العلم: يجب على من أطاقه، لما روي عنه عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة أنهم كانوا يُصَوِّمون الصِّبيان، لكن هذا ليس على وجه الوجوب، ولكن على وجه التمرين، والتدريب، والتربية لهؤلاء، فيؤمر الصبي به إذا أطاقه، ويُضرب عليه ليعتاده، ولا يجب عليه للخبر المتقدم، بل هو كالصلاة، فإنَّ الصلاة يُؤمر بها الصبي في السابعة، ويُضرب عليها في العاشرة.

رابعها: الاستطاعة، فإن من لا يستطيع الصوم يسقط عنه، إما بالكليَّة فيطعم، وإما إلى وقت آخر كالمسافر والمريض، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❁ المسألة الرابعة: بماذا يُعرف دخول شهر رمضان؟

يجب صوم شهر رمضان بأحد ثلاثة أشياء:

- كمال شعبان ثلاثين يوماً إجماعاً، ورؤية هلال رمضان لقوله ﷺ: **«صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»**[٢].

- ووجود غيم أو قَتَرٍ في مطلع ليلة ثلاثين من شهر شعبان يَحُول

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١٤٤/٦، ١٠٠، ١٠١)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (١٥٦/٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٤٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٤٢)، والحاكم (٥٩/٢) وغيرهم من حديث حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود بن يزيد، عنها به.
وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال النووي في «المجموع» (٦/٣): هذا الحديث صحيح. وفي الباب عن علي أو ابن عباس.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دونه، لما روى ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فاقْدِروا له»**(١). يعني، ضيِّقوا له، من قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق عليه رزقه.

وتضييق العِدَّة أن يُحسب شعبان تسعةً وعشرين يوماً، «وكان ابن عمر إذا حال دون مطلعه غيم أو قتر أصبح صائماً»، رواه أبو داود. وابن عمر هو راوي الحديث وعمله به تفسير له. وعنه: لا يصوم، لقوله عليه الصلاة والسلام: **«فإن غَمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً»**(٢)، ولأن في أول الشهر شكّاً فأشبه حال الصحو، ثم ورد أن الناس تبعٌ للإمام في ذلك، فإن صام صاموا، وإن أفطر أفطروا، لقوله ﷺ: **«صومكم يوم تصومون، وأَضحاكم يوم تُضَحُّون»**(٣).

ـ إن رأى الهلال وحده صام، لقوله ﷺ: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»**(٤)، فإن كان عدلاً صام الناس بقوله، لما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٠ ـ ١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠).
(٢) صحيح سبق تخريجه.
(٣) صحيح، أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٦٩٧)، والدارقطني (٢٥٨)، والبيهقي (٢٥٢/٤) من حديث ابن المنكدر عن عائشة، وأثبت البخاري سماعه منها، وإن كان لا يخلو سنده من مقال، فقد أخرجه أبو داود (٢٣٢٤)، والدارقطني (٢٣١)، والبيهقي (٢٥١/٤ ـ ٢٥٢) من طريق محمد بن المنكدر عن أبي هريرة بلفظ: **«فطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون...»**.
وله طرق أخرى لا تسلم من الضعف، ويتقوى بمجموعها حتى حسنه الترمذي، وصححه النووي في «المجموع» (٢٨٣/٦). انظر بحثه في «إرواء الغليل» (٩٠٥/١١/٤) فهو بحث ماتع.
(٤) صحيح سبق تخريجه.
(٥) صحيح، رواه أبو داود (٢٣٤٢)، والدارمي (٤/٢)، والدارقطني (١٥٦/٢)، والحاكم (٢٤٣/١)، والبيهقي (٢١٨/٤).

ولأنه مما طريقه: المشاهدة، فدخل به في الفريضة، فقُبل من واحد كوقت الصلاة، والمعتبر في رؤية الهلال: الرؤية البصرية، فإننا أمة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب، فلا يعتمد على الحساب في ذلك، وأما الأرصاد التي يقوم بها أهل الفلك، فإنها إذا كانت على رؤية للهلال بأجهزة مكبِّرة فلا بأس في ذلك قياساً على رؤية العين.

وإن كانت بالحساب «حساب الفلك»، فإن هذا ليس وارداً ولا جائزاً، لقوله ﷺ: **«إنا أمة أميَّة لا نكتب ولا نحسب»**[(١)]، ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام عمل هو وأصحابه بالرؤية.

❁ المسألة الخامسة: أحكام المريض في شهر رمضان.

للمريض أن يفطر إذا كان الصوم يزيد مرضه، فإن تحمَّل وصام كُره له ذلك وأجزأه، وقد أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض في الجملة، والأصل فيه: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

والمرض المبيح للفطر، هو: المرض الشديد الذي يزيد بالصوم، أو يخشى تباطؤ برئه في الصوم.

قيل لأحمد: متى يُفطر المريض؟ قال: إذا لم يستطع، قيل: مثل الحمَّى؟ قال: وأيُّ مرضٍ أشد من الحمّى[(٢)]؟!

= من حديث أبي بكر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
قال الدارقطني: تفرد به مروان بن محمد، عن ابن وهب، وهو ثقة. وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي.
وقال الحافظ في «التلخيص» (٢/٤٠٦): صححه ابن حزم. اهـ وهو كما قالوا، رحم الله الجميع.

(١) رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «مسائل صلح للإمام أحمد» (٣/١٤/١٢٢٦، ١٢٢٧).
وانظر: تفصيل المسألة في «المغني» (٣/١٤٧)، و«الفروع» (٣/٢٧)، و«الإنصاف» (٣/٢٨٥).

وحُكي عن بعض السلف: أنه أباح الفطر بكل مرضٍ، حتى من وجع الإصبع والضِّرْس؛ لعموم الآية، ولأن المسافر يُباح له الفطر، وإن لم يحتج إليه فكذلك المريض.

والصحيح: أن من لم يؤذه المرض، ولا يشق عليه، فإن عليه الصيام، لأنه شاهد للشهر لا يؤذيه الصوم.

وشرط المرض المبيح للفطر، هو: ما يخاف منه الضرر، فإذا تحمَّل المريض، وصام مع هذا فقد فعل مكروهاً، لما يتضمنه من الإضرار بنفسه، وتركه: تخفيف الله تعالىٰ، وقَبول رخصته، ويصح صومه ويجزئه؛ لأنه عزيمة أبيح تركها رخصة، فإذا تحمَّله أجزأه، كالمريض الذي يُباح له ترك الجمعة فيحضرها، والذي يُباح له ترك القيام في الصلاة فيقوم بها.

والصحيح: أنَّ الذي يخشى زيادة المرض بالصيام يباح له الفطر خوفاً مما يتجدَّد بصيامه من زيادة المرض وتطاوله، فإذا خاف على نفسه من هذا المرض ـ لو صام ـ كان ترك الصيام له أولى.

ولا يدخل فيما يبيح الفطر من المرض: وجع الضرس، والجرح في الإصبع، والدُّمَّل، والقُرْحة اليسيرة والجَرَب، والرَّمَد، وأشباه ذلك، فإن هذا لا يشق على الصائم. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»[1]، وخرج النبي ﷺ يوم الفتح فأفطر فبلغه أن أناساً صاموا فقال: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»[2].

فإن كان المرض يُرجى بُرؤه أخَّر الصيام لعدَّة من أيام أُخر، وإن كان المرض مستمراً لا يُرجى بُرؤه بقول طبيب مسلم حاذق، فإن عليه أن يُطعم عن كل يوم مسكيناً، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (١١١٤)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

﴿يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. قال ابن عباس: كانت رخصة للشيخ والمرأة الكبيرة، وهما يُطيقان الصيام، أن يفطرا، ويطعما عن كل يوم مسكيناً، وكذلك الحُبلى والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وأطعمتا.

❁ المسألة السادسة: المسافر في شهر رمضان.

فإن سافر سفراً تُقصر فيه الصلاة، فإن له أن يفطر؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهنا مسائل تتعلق بهذه الآية:

إحداها: أنه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أن من كان مقيماً في أول الشهر، ثم سافر في أثنائه، فليس له الإفطار بعُذر السفر والحالة هذه، لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وإنما يباح الإفطار لمسافر استهلَّ الشهر وهو مسافر، وهذا قول غريب، نقله ابن حزم في كتابه «المحلَّى» عن جماعة من الصحابة والتابعين، وفيما حكاه عنهم نظر، فإنه قد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ: «أنه خرج في شهر رمضان في غزوة الفتح فسار حتى بلغ «الكديد»، ثم أفطر وأمر الناس بالفطر»[(١)].

الثانية: ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر؛ لقوله تعالى: ﴿... فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. والصحيح: قول الجمهور، أن الأمر في ذلك على التخيير، وليس بحتم؛ لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان، قال: فمنا الصائم ومنا المفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، فلو كان الإفطار هو الواجب، لأنكر عليهم الصيام، بل الذي

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٤)، ومسلم (١١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والكديد: ماء بين عسفان وقديد.

ثبت من فعل رسول الله ﷺ، أنه كان في مثل هذه الحالة صائماً لما ثبت في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرٍّ شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة»(١).

الثالثة: قالت طائفة، منهم: الشافعي: الصيام في السفر أفضل من الإفطار، لفعل النبي ﷺ كما تقدَّم، وقالت طائفة: بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة، وقالت طائفة: هما سواء؛ لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: يا رسول الله إني كثير الصيام أفأصوم في السفر؟ قال: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»(٢)، وقيل: إن شق الصيام فالإفطار أفضل، لحديث جابر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد ظُلِّلَ عليه فقال: «**ما هذا؟**»، قالوا: صائم، قال: «**ليس من البر الصيام في السفر**»(٣).

الرابعة: القضاء: هل يجب متتابعاً، أو يجوز فيه التفريق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه يجب التتابع؛ لأن القضاء، يعني: الأداء.

والثاني: لا يجب التتابع، بل إن شاء فرَّق وإن شاء تابع.

وهذا قول جمهور السلف، والخلف، وعليه ثبتت الأدلة؛ لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد: صيام أيام عدة ما أفطر، ولهذا قال تعالى: ﴿... فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٣) صحيح، سبق تخريجه.

❁ المسألة السابعة: حكم الحائض والنفساء في شهر رمضان.

إذا حاضت المرأة أو نفست أفطرت وقضت، فإن صامت لم يجزئها، وأجمع أهل العلم على أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران رمضان وتقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما الصوم[١]، وقد قالت عائشة: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[٢].

والأمر إنما هو للنبي ﷺ، وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: **«أليس إحداكنَّ إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم، فذلك من نقصان دينها»**[٣]. والحائض والنفساء سواء، لأن دم النفاس ودم الحيض حكمهما سواء، ومتى وُجد الحيض في جزء من النهار فسد صوم ذلك اليوم سواء وُجد في أوله أو في آخره، ومتى نَوَت الحائض الصوم، وأمسكت مع علمها بتحريم ذلك أثمت ولم يجزئها، ويصح صومها قبل الغسل إذا طهرت من الليل.

❁ المسألة الثامنة: الحامل والمرضع.

عن أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحُبلى والمرضع الصوم»**، وفي لفظ بعضهم: **«وعن الحامل والمرضع»**. وهذا الحديث حسَّنه الترمذي[٤]، وهو يدل على أنه يجوز للحُبلى والمرضع

---

(١) قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (١٠٧/٢٢): وهذا إجماع أن الحائض لا تصوم في أيام حيضتها، وتقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة لا خلاف في شيء من هذا، والحمد لله. اهـ.

(٢) رواه البخاري (٣٢١) بنحوه، ومسلم (٣٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٠٤).

(٤) حسن، رواه الإمام أحمد (٣٤٧/٤)، (٢٩/٥)، والترمذي (٧١٥)، والنسائي (١٧٨/٤)، وابن خزيمة (٢٠٤٣، ٢٠٤٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤٢٣/١)، =

الإفطار، وقد ذهب إلى ذلك الفقهاء إذا خافت المرضع على الرضيع، والحامل على الجنين، قالوا: إنها تفطر حتماً، قال أبو طالب: ولا خلاف في الجواز، وقال الترمذي: العمل على هذا عند أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: الحامل والمرضع تفطران، وتقضيان، وتطعمان، وبه يقول سفيان، ومالك، والشافعي، وأحمد، وقال بعضهم: تفطران، وتطعمان، ولا قضاء عليهما، وإن شاءتا قضتا، ولا إطعام عليهما، وبه يقول إسحاق.

وقد قال بعدم وجوب الكفَّارة مع القضاء الأوزاعي، والزُّهري، والشافعي في أحد أقواله، وقد قال مالك، والشافعي، في أحد أقوالهما: إنها تلزم المرضع لا الحامل، إذ هي كالمريض، «يعني بذلك الكفَّارة».

والراجح في المسألة: أن الحامل والمرضع ـ إذا خافتا على نَفْسَيْهِما ـ فإنهما تفطران، وتقضيان بلا إطعام، وإذا خافتا على وَلَدَيْهما، فإنهما تفطران، وتقضيان، وتطعمان، فأما القضاء فأمره معلوم؛ لعموم الآية: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وأما الإطعام فقد ورد عن ابن عباس، رضي الله عنه وأرضاه، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: «كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويُطعما مكان كل يوم مسكيناً، وكذلك الحُبلى والمرضع ـ إذا خافتا على أولادهما ـ أفطرتا وأطعمتا».

= من حديث أنس بن مالك الكعبي وليس الأنصاري المشهور، وفي أسانيده ضعف يسير ينجبر، وقد صححه جماعة كابن خزيمة، وحسنه الترمذي، ورجحه أبو حاتم في «العلل» (٢٦٦/١) أنه أنس بن مالك الأنصاري: خادم الرسول. انظر: «إتحاف المهرة» (٤١٦/٢)، و«التلخيص الحبير» (٤٤٥/٢). =

وكلام الصحابي مقدَّم على كلام غيره من أهل العلم من المتأخرين، لما علَّمهم سبحانه وتعالى، ولما خصَّهم به من كمال الفهم، وتمام المعرفة، وجودة الاستنباط.

❁ المسألة التاسعة: العاجز عن الصيام لكبر أو مرض لا يُرجى بُرؤه.

فإنَّ هذا عليه أن يفطر، وأن يُطعمُ عن كل يوم مسكيناً، كما ورد في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، للآية، فإنها رخصة للشيخ الكبير، ولأن الأداء صوم واجب، فجاز أن يسقط إلى الكفَّارة كالقضاء، ولأن الصيام على الاستطاعة، والكبير والمريض لا يستطيعان، والله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أما المريض الذي لا يُرجى بُرؤه، فإنه يفطر، ويُطعم عن كل يوم مسكيناً، لأنه في معنى الشيخ، قال أحمد: فإن شاء أخرج الإطعام عن كل يوم بيومه، وإن شاء قدَّم الإطعام كله في أول الشهر، وإن شاء أخَّره في آخر الشهر. وورد عن أنس، رضي الله عنه، أنه جمع في أول الشهر ثلاثين مسكيناً فأطعمهم، وكان عاجزاً عن الصيام؛ والأَوْلى في ذلك: الإطعام لا القيمة، فإن هذا أقرب للنصوص الشرعية.

❁ المسألة العاشرة: من ذهب عقله.

فإنه يسقط عنه التكليف. وليس عليه صيامٌ ولا إطعام، وليس مخاطَباً بالشرع لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقول المعصوم عليه الصلاة والسلام: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[١] وهو لا يستطيع، وقد فَقَدَ أمراً هاماً من أمور التكليف، وقد قال ﷺ: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى**

---

(١) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصغير حتى يكبر»[١].

وهو في معناهم؛ إذ العلة في ذلك فُقدان العقل في الجميع.

وكان الإطعام للعاجز من كبر، أو مرض لا يُرجى برؤه، لأنهما لا يستطيعان مع وجود العقل، وأما هذا فإنه لا صيام عليه، ولا إطعام، لأنه لا يستطيع مع فُقدان العقل.

❁ المسألة الحادية عشرة: ومن المفطرات: الأكل والشرب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ومفهوم الآية: أنه إذا تبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر حَرُمَ علينا الأكل والشرب في نهار رمضان، وقد أجمع أهل العلم على أن من المفطرات الأكل والشرب في نهار رمضان، فيهجر الأكل والشرب من بعد طلوع الفجر حتى تغرب الشمس.

❁ المسألة الثانية عشرة: الجماع.

وهو محرَّم ـ في نهار رمضان ـ بالكتاب والسنّة والإجماع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومفهوم الآية: أنه في نهار رمضان يحرم علينا ذلك، وقد دلَّت السنة المطهرة على تحريم الجماع في النهار في شهر رمضان، وأنه مفطر، وفيه كفَّارة، ومنها: حديث أبي هريرة، رضي الله عنه: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكتُ يا رسول الله! فقال له: **«ما أهلكك؟»**، قال: وقعتِ على امرأتي في نهار رمضان...»

---

(١) صحيح، سبق تخريجه ص ٢٠.

الحديث[١]، فأقرَّه عليه الصلاة والسلام على أنه هلك بالجماع في نهار رمضان، ثم بيَّن له ﷺ الكفَّارة.

❁ المسألة الثالثة عشرة: القيء.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«من ذَرَعَهُ القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض»**[٢].

والحديث يدل على أنه لا يبطل صوم من غلبه القيء، ولا يجب عليه القضاء، ويبطل صوم من تعمَّد إخراجه ولم يغلبه ويجب عليه القضاء، وقد ذهب إلى هذا: عليٌّ، وابن عمر، وزيد بن أرقم، وزيد بن علي، والشافعي.

وحكى ابن المنذر الإجماع على أن من تعمَّد القيء يفسد صيامه، وقال ابن مسعود وعكرمة وربيعة: أنه لا يفسد الصوم سواء كان غالباً أو مستخرجاً ما لم يرجع منه شيء باختيار، واستدلوا بحديث أبي سعيد: **«ثلاث لا يفطرن: القيء، والحجامة، والاحتلام»**[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(٢) حسن، رواه الإمام أحمد (٤٩٨/٢)، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٩٧/٢)، والدارقطني (١٨٤/٢)، والحاكم (٤٢٧/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واعترض على تصحيحه بعض العلماء كالبخاري، والترمذي، والنسائي، وأبو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الدارقطني: رواته كلهم ثقات. وأحسن من تصحيحه وتضعيفه تحسينه، لقول جمهور العلماء به، ولكون العمل عليه عند أهل العلم.

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٨١٩)، وأبو يعلى (١٠٣٩)، والدارقطني (١٨٣/٢)، والبيهقي (٢٥٤/١، ٢٦٤/٤).

بإسناد فيه اثنان من الضعفاء، لا يحتمل ضعفهم التفرد بهذا الخبر. وضعفه الدارقطني والحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤٢١/٢، ٤٢٢).

وأجيب بأنه حديث ضعيف، لا ينهض للاستدلال، ولو سُلِّمَ بصلاحيته فهو محمول ـ كما قال البيهقي ـ على من ذرعه القيء، وهذا لا بد منه، لأن ظاهر حديث أبي سعيد أن القيء لا يفطر مطلقاً، وظاهر حديث أبي هريرة أنه يفطر نوع منه خاص، فيُبنى العام على الخاص.

وفي الحديث الذي أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن الجارود، وابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، والحاكم، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ «قاء فأفطر»[1]. قال معدان بن أبي طلحة الراوي له عن أبي الدرداء: فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فقلت: إن أبا الدرداء أخبرني ـ فذكر الحديث ـ فقال: صدق، أنا صببت عليه وضوءه، قال ابن منده: إسناده صحيح متصل، فهذا الحديث محمول على القيء عامداً، وكأنه ﷺ كان صائماً تطوعاً.

❁ المسألة الرابعة عشرة: الاكتحال.

عن عبدالرحمٰن بن النعمان بن معبد بن هوذة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه أمر بالإثمد المروَّح عند النوم وقال: «**ليتقه الصائم**»[2]. قال ابن معين: عبدالرحمٰن هذا ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: هو صدوق.

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٦/٤٤٣)، وأبو داود (٢٣٨١)، والترمذي (٨٧)، والنسائي (٣١٢٣)، وابن الجارود (٨)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٩٠٨)، والدارقطني (٢/١٨١ ـ ١٨٢)، والحاكم (١/٤٢٦)، والبيهقي (١/١٤٤)، وإن اختلف على إسناده فقد صححه جماعة من أهل العلم، كالإمام أحمد، والترمذي.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/٣٩٨)، وأبو داود (٢٣٧٧)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/٩٤/١٠٥٩) بهذا الإسناد، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمجهولين.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الاكتحال يفسد الصوم، واستدلوا بحديثٍ: «**الفطر مما دخل، والوضوء مما خرج**»[١]. وذهب الجمهور إلى أن الاكتحال لا يفسد الصوم، واستدلوا على ذلك بما أخرجه ابن ماجه عن عائشة: «أن النبي ﷺ اكتحل في رمضان وهو صائم»[٢]، وفي إسناده بقية عن الزبيدي عن هشام عن عروة، والزبيدي المذكور مجهول.

وروى البيهقي: «أن رسول الله ﷺ كان يكتحل وهو صائم» وإسناده لا يثبت[٣]، وفي حديث ابن عمر قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وعيناه مملوءتان من الإثمد وذلك في رمضان وهو صائم»[٤]. ورواه الترمذي[٥] من حديث أنس في الإذن فيه لمن اشتكت عينه، وقال: إسناده ليس بالقوي، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الدارقطني (١/١٥١)، والبيهقي (١/١١٦، ١١٧) وغيرهما من طرق عن ابن عباس، موقوفاً ومرفوعاً، وضعفه الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/٣٣٢).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٦٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٤١)، والبيهقي (٤/٢٦٢) بهذا الإسناد. وضعفه ابن عدي، والنووي، والبيهقي، وابن حجر. انظر: «التلخيص الحبير» (٢/٤١٢).

(٣) حديث منكر، أخرجه البيهقي (٤/٢٦٢)، والطبراني (١/٣١٧/٩٣٩) من حديث محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده. قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. وعلق محمد هذا قال هو عنه وكذا البخاري: منكر الحديث.

(٤) ضعيف، أخرجه ابن حبان في «كتاب المجروحين» (١/٤٠٢)، وعزاه الحافظ إلى ابن أبي عاصم في «كتاب الصيام» من حديث سعيد بن زيد، عن عمرو بن خالد، عن حبيب، عن نافع، عن ابن عمر وفيه سعيد بن زيد أخو حماد.
قال ابن حبان: وكان محمد يخطىء في الأخبار، ويهم في الآثار حتى لا يحتج به إذا انفرد. اهـ والجمهور على تضعيفه.
وقول الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/٤١٢): وسنده مقارب. اهـ لا يسلم من النقد، لا سيما وقد قال الترمذي: لا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

(٥) رقم (٧٢٦).

والصحيح: ما ذهب إليه الجمهور، من أن الاكتحال لا يفسد الصوم؛ لأن البراءة الأصلية لا ننتقل عنها إلا بدليل، وليس في الباب ما يصلح للنقل، ولا سيما بعد أن شدَّ هذا الحديث من عضُدها، وعلى فرض صلاحية حديث الفطر مما دخل، فإن حديث اكتحال النبي ﷺ يكون مخصِّصاً للكحل، وكذلك على فرض صلاحية حديث الباب يكون محمولاً على الأمر باجتناب الكحل المطيَّب، لأن المروَّح هو المطيَّب فلا يتناول ما لا طيب فيه، ويمكن أن يقال: حديث الاكتحال صارفٌ للأمر عن حقيقته، أعني: «الوجوب»، فيكون الاكتحال مكروهاً، ولكن يبعد أن يفعل النبي ﷺ ما هو مكروه.

❁ المسألة الخامسة عشرة: الحجامة[١].

عن ابن عباس، رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم»[٢].

قال ابن القيِّم في «زاد المعاد»[٣]: ولا يصحُّ عنه ﷺ أنه احتجم وهو صائم، قال مهنا: سألت أحمد عنه فقال: ليس بصحيح، وقد أنكره يحيى بن سعيد الأنصاري، وقال الأثرم: سمعت أبا عبدالله ذكر هذا الحديث فضعَّفه، قال مهنا: وسألت أحمد عن حديث ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم ومُحْرِم، فقال: ليس فيه صائم، إنما وهو محرم، والمقصود أنه لم يصح عنه ﷺ أنه احتجم وهو صائم.

---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة «فتح الباري» (٢٠٦/٤ ـ ٢١٠)، «زاد المعاد» (٥٩/٢ ـ ٦٣)، وانظر لزاماً «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥٢/٢٥ ـ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٨)، والاختلاف في إثبات لفظه كبير، حتى أنكره جماعة من العلماء.

(٣) (٦١/٢).

وعن شدَّاد بن أوس، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أتى على رجل بالبقيع وهو يحتجم في رمضان فقال: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»[١]، وصحَّحه أحمد وابن خزيمة وابن حبان، وقال السيوطي في «الجامع الصغير»: متواتر، وقال الإمام أحمد: فيه غير حديث ثابت؛ وقال إسحاق: ثبت هذا من خمسة أوجه عن النبي ﷺ، وقال ابن القيم في «زاد المعاد»[٢]: والذي صحَّ عنه ﷺ أنه يُفطر الصائم الأكل والشرب والحجامة والقيء. والقرآن دلَّ على أن الجماع مفطر.

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: «أول ما كُرهت الحجامة للصائم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمرَّ به النبي ﷺ فقال: «**أفطر هذان**»، ثم رخَّص النبي ﷺ في الحجامة، وكان أنس يحتجم وهو صائم»[٣].

والصحيح في هذه المسألة ـ إن شاء الله ـ أن الحجامة مفطرة، ويجب على الصائم اجتنابها في نهار رمضان.

❁ المسألة السادسة عشرة: من أكل أو شرب ناسياً.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**»[٤].

فهذا الحكم دلَّت عليه النصوص كتاباً وسنة، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا . . .﴾ [البقرة: ٢٨٦]،

---

(١) صحيح انظر لتخريجاته «التلخيص الحبير» (٢/٤١٣ ـ ٤٢٣).

(٢) (٢/٥٩).

(٣) أخرجه الدارقطني (٢/١٤٣/٢٢٣٨) وقال بعده: كلهم ثقات، ولا أعلم له علة.

(٤) رواه البخاري (١٩٣٣ ـ ٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(١)].

ومن رأى من يأكل أو يشرب في نهار رمضان ناسياً فهل عليه أن ينبِّه هذا الناسي أم يسكت؟ الظاهر: أن عليه أن ينبِّهه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنصيحة، والتعاون على البر والتقوى.

❁ المسألة السابعة عشرة: التحفظ من الغيبة واللغو للصائم.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفسُ محمدٍ بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[(٢)].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[(٣)].

فالغيبة، واللغو، والسب، والشتم، تجرح صيامَ الصائم،

---

(١) صحيح بطرقه، قال الشوكاني في «فتح القدير» (١/٣٨٨ ـ ٣٨٩): وقد أخرج ابن ماجه، وابن المنذر، وابن حبان، والطبراني، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي من حديث ابن عباس. وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي ذر مرفوعاً، والطبراني من حديث ثوبان، وابن عمر، والطبراني والبيهقي من حديث عقبة بن عامر، وأخرجه ابن عدي وأبو نعيم من حديث أبي بكرة، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث أم الدرداء.
وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من حديث الحسن مرسلاً، وابن حميد من حديث الشعبي مرسلاً... إلى أن قال: وفي أسانيد هذه الأحاديث مقال، ولكنها يقوي بعضها بعضاً، فلا تقصد عن رتبة بحسن لغيره، وقد تقدم حديث: «إن الله قال: قد فعلت» وهو في «الصحيح»، وهو يشهد لهذه الأحاديث. اهـ.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٣ ـ ٦٠٥٧).

وتُضْعِفُ الأجر والثواب، وتعرِّض الصائم للعقاب، ولكن لا يلزم الصائم أن يقضي يوماً مكان هذا اليوم ـ فيما أعلم ـ ولا أعلم حديثاً صحيحاً كدليل لمن أوجب قضاء هذا اليوم.

والمقصود من الصيام: حفظ اللسان، والجوارح عمَّا يُغضب الربَّ تبارك وتعالى، وأما قوله في آخر الحديث: «**فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»، فقال بعض أهل العلم: ليس معناه أنه يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، ولا مفهوم لذلك، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة، وقال بعضهم: بل هو كناية عن عدم القَبول، كما يقول المُغْضَب لمن ردَّ عليه شيئاً طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي في ذلك، وقال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أنه لا يثاب على صيامه، ومعناه: أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور، وما ذكر معه.

واستدل بهذا الحديث على أن هذه الأفعال تُنقص ثواب الصوم، وتُعقب بأنها صغائر تكفر باجتناب الكبائر، والله أعلم.

❁ المسألة الثامنة عشرة: تبييت النية من الليل.

عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من لم يبيِّت الصيامَ قبل الفجر فلا صيام له**»[1]، ومال الترمذي والنسائي إلى ترجيح وقفه، وصحَّحه ـ مرفوعاً ـ ابن خزيمة وابن حبان، وللدارقطني: «**لا صيام لمن لم يفرضه من الليل**»، وتبييت الصيام: عقد القلب بالنية عليه ابتداءً من آخر الليل وأول النهار.

---

(١) هذا الحديث اختلف في رفعه ووقفه كثيراً، والذي تطمئن إليه النفس وقفه، ولهذا ينظر لزاماً هذا البحث «إرواء الغليل» (٩١٤/٢٥/٤)، و«التلخيص الحبير» (٨٨١/٤٠٧/٢).

والنية هي: إخلاصه لله، وابتغاء وجهه ومرضاته بالعمل، ولا بد أن يكون ذلك مصاحِباً لجميع أجزاء العمل من صيام، وصلاة، وغيرها.

ومن شرط صحة صيام الفريضة تبييت نية الصيام من الليل، فلو لم ينوِ حتى طلع الفجر فلا صيام له، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من علم أن غداً من رمضان كفته نيته هذه «هذا في الفريضة»، وهو مقصود حديثه عليه الصلاة والسلام. والتبييت إنما يكون في الليل قبل الفجر، ولو بيَّت النية قبل أن ينام ثم لم يستيقظ حتى طلع الفجر لكفاه ذلك.

ومن لم يعلم بدخول الشهر إلا بعد طلوع الفجر، فإنه يمسك ذلك اليوم، ويقضي يوماً مكانه، لأنه لم يفرض النية من الليل.

❁ المسألة التاسعة عشرة: نيةُ النافلة في الصيام:

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ ذات يوم فقال: **«هل عندكم شيء؟»**، قلنا: لا، قال: **«فإني صائم»**، ثم أتانا يوماً آخر فقلنا: أُهدي لنا حَيْسٌ، فقال: **«أرينيه، فلقد أصبحت صائماً، فأكل»**[1].

وهذا الحديث يدلُّ على أن المتنفِّل له أن يعقد النية من أثناء النهار، ولا يلزمه أن يبيِّت النية من الليل كالمفترض، وإذا أمسك وهو مفطر، ثم أراد أن يصوم فله أن يكمل من أثناء النهار حتى من بعد الزوال عند كثير من أهل العلم.

وإذا صام نافلةً، ثم أراد أن يفطر لسبب من الأسباب فله ذلك، ولا قضاء عليه في القول الصحيح من أقوال أهل العلم، لأن المتطوع أمير نفسه خلافاً للأحناف.

---

(١) رواه مسلم (١١٥٤).

المسألة العشرون: السُّنَّة في الفطر.

عن سهل بن سعد، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر»**[(١)]. وفي الحديث عن عمر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»**[(٢)]، فجعله مفطراً حكماً بدخول وقت الفطر، وإن لم يتناول شيئاً.

فمن الخطأ ما يصنعه البعض من العامة وأشباههم تمكيناً في الإفطار، أو في الإمساك قبل الفجر، فإن هذا يستدعي إدخال جزء من الوقت الذي أوجب الله فطره في الصوم وهذا تنطُّع، وقد هلك المتنطِّعون.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«قال الله عزَّ وجلَّ: أحبُّ عبادي إليَّ أعجلهم فطراً»**[(٣)].

ومعنى تعجيل الفطر: أن يفطر المسلم والمسلمة إذا غابت الشمس، وإذا أدبر النهار وأقبل الليل، فهذا هو الضابط الشرعي لهذا، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فدخول أول جزء من الليل مبيح للإفطار، ولو لم يفطر العبد، فاتباع السنّة في ذلك أن يبدأ في أول جزء، ولا يتنطع في ترك الفطر حتى يتمكن الليل كثيراً.

وهنا مسألة: هل الضابط الأذان أم إقبال الليل وغروب الشمس؟ والصحيح في ذلك غروب الشمس، لكن إذا كان المؤذن ثقة أميناً عارفاً بالوقت، فإنه يؤخذ بأذانه ويفطر عليه، كالشاهد، وكالراوي، وناقل

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٣) حسن رواه الترمذي (٧٠٠) وحسَّنه.

الخبر، وأما إذا لم يعرف عنه الثقة، والأمانة، والضبط، فإنه يعتبر بالليل، وبغروب الشمس.

❁ المسألة الحادية والعشرون: ما جاء في السحور.

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**»[١]. وورد في السنن: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أَكْلة السَّحَر**»[٢].

وكان ﷺ يُحبِّذ السحور، ويتسحَّر، عليه الصلاة والسلام، وأصحابه، وإنما كان في السحور بركة؛ لأنه مُعين على صيام النهار، ولأنه في وقت إجابة الدعاء حين يتنزَّل الله، سبحانه وتعالى، إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه، ولأنه اتباع لسنّة الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولأنه مخالفة لأهل الكتاب، فإنهم كانوا لا يتسحَّرون إذا صاموا، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما لم يرد شرعُنا به.

وفي الحديث عن زيد بن ثابت أنهم تسحَّروا مع رسول الله ﷺ، فقيل لزيد: كم بين السحور وأذان الفجر؟ قال: «مقدار ما يقرأ القارىء خمسين آية»[٣].

فكأن من السنة أن يكون بين الأذان وبين الكفِّ عن السحور وقت كهذا الوقت، وهو الأقرب، والأحسن، والأَلْيَق.

وما يفعله بعض الناس من تقديم السحور كثيراً حتى يكون في وقت العشاء، أو ترك السحور، مخالفٌ للسنة، ولو أن صيام هؤلاء

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) رواه مسلم (١٠٩٦) بلفظ «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل...». والترمذي (٧٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٩٢١).

صحيح، ولكن الأَولى اتباعه، عليه الصلاة والسلام، في دقائق سُنَّته.

❁ المسألة الثانية والعشرون: على ماذا يفطر الصائم؟

عن سليمان بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء، فإنه طهور**»[(١)]. وقد ورد في بعض الروايات: «على رُطَبٍ، فإن لم يجد فعلى تمرٍ، فإن لم يجد حسا حسواتٍ من ماء»[(٢)].

وهذا الحديث الأخير من فعله، عليه الصلاة والسلام، فالسُّنَّة: الفطر على شيء من التمر، وإنما خُص التمر ـ كما قال بعض الفضلاء ـ: لأن فيه مادة حلوة، وهي أنسب ما يكون لجائع البطن، كما أنها أصح للمعدة، وهذه من حكمه البالغة ﷺ، ومن أسرار الشريعة الكاملة.

والسُّنة: أن يفطر بتمرات وتراً بعد غروب الشمس، قبل أن يصلي المغرب، ولو أفطر على غير هذه المادة من المأكولات لجاز، ولكن الأفضل ما وردت به السنة.

ووردت بعض الأحاديث فيما يدعو به الصائم عند الفطر، ولكن في بعضها ضعف، قد يشعر تعددها، وتعدد طرقها بقوتها، كحديث:

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٢١٣/٤)، وأبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٣١٤)، وابن ماجه (١٦٩٩)، وابن خزيمة (٢٠٦٧)، والحاكم (٤٣١/١)، والبيهقي (٢٣٨/٤). وصححه جماعة كالترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، وقال الحافظ في «التلخيص» (٤٣٥/٢): صححه أبو حاتم الرازي أيضاً.

(٢) حسن، رواه الإمام أحمد (١٦٤/٣)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٧) وغيرهم من حديث أنس بن مالك من فعله ﷺ. وقد ضعفوه لانفراد جعفر بن ثابت، وأنكروه عليه، ويقوى بما سبقه. انظر «التلخيص الحبير» (٤٣٥/٢).

«ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»[١]، وحديث: **«اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبَّل مني، إنك أنت السميع العليم»**[٢].

ثم إنه ورد دعوة لا تُرَدّ، فلو دعا لكان أحسن قبل أن يفطر.

❁ المسألة الثالثة والعشرون: حكم الوصال.

ومعناه: أن يَصِلَ الصائم النهار بالليل، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الوِصال، فقال رجل من المسلمين: إنك تواصل، يا رسول الله؟ فقال: **«وأيكم مثلي؟، إنني أَبيت يطعمني ربي ويسقيني»**، فلما أبوا أن ينتَهوا عن الوِصال واصلَ بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: **«لو تأخَّر الهلال لزدتكم»**، كالمنكر لهم حين أبوا أن ينتهوا[٣].

وهذا لا يطيقه إلا النبي ﷺ الذي شغله صدق المحبة لله تعالى، وقوة الصلة به، فالله تعالى يغذيه من المعارف، ويفيض على قلبه من لذة المناجاة والشوق ما هو غذاء للقلوب، ونعيم للأرواح، فيغني هذا عن غذاء الجسم مدَّة من الزمان.

---

(١) حسن، أخرجه أبو داود (٢٣٥٧)، وابن السني (٤٧٢)، والدارقطني (٢٤٠)، والحاكم (٤٢٢/١)، والبيهقي (٢٣٩/٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الدارقطني: إسناده حسن. وانظر: «إرواء الغليل» (٣٩/٤/ ٩٢٠).

(٢) ضعيف جداً، رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٢/٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٨٨/٢) من حديث أنس.
قال الطبراني: لم يروه عن شعبة إلا داود بن الزبرقان. . . . اهـ.
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/٣): وهو ضعيف. اهـ.
قلت: بل هو متروك، ضعفه الجمهور، قال الحافظ: إسناده ضعيف فيه داود بن الزبرقان وهو متروك. انظر «التخليص» (٤٤٥/٢).

(٣) رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

وليس معنى قوله: «**أبيت يطعمني ربي**» أنه يطعمه طعاماً وشراباً بالفم، وإلا لما كان صائماً، عليه الصلاة والسلام، فقد نهى ﷺ الأمة نهيَ تحريم عن الوصال، فإن فيه مشقة، أما الوصال الذي نُقل عن بعض السلف، فكأنهم ما سمعوا نهيه، عليه الصلاة والسلام، وقد يفعل بعض العلماء أمراً ـ وهو خلاف السنة ـ متأوِّلاً في ذلك، مجتهداً، فيؤجر أجراً واحداً، وأما من بلغه الدليل فلا يجوز مخالفته.

❁ المسألة الرابعة والعشرون: الرخصة في القُبلة للصائم إلا لمن يخاف على نفسه.

عن أم سلمة، رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقبِّلها وهو صائم»[1]. وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، كان أملككم لإربه»[2]، وفي لفظ: «يقبِّل في رمضان وهو صائم»[3].

وعن عمر بن أبي سلمة، رضي الله عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبِّل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**سل هذه**» ـ لأم سلمة ـ فأخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[4]. وفيه أن أفعاله حجة.

فإذا خاف الصائم على نفسه من القُبلة، فالأَوْلى: اجتنابها، وعدم التقبيل، وأما إذا أمِنَ فقد رخَّص في ذلك عليه الصلاة والسلام، وكأن

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٩)، ومسلم (١١٠٨).
(٢) رواه مسلم (١١٠٦).
(٣) رواه مسلم (٧١).
(٤) رواه مسلم (١١٠٨).

لحالة الشخص أثراً في اختلاف الحكم، فمن كان شاباً تطمح نفسه، فالأَوْلى له اجتناب القبلة، ومن كان شيخاً كبيراً، فلا بأس، والله أعلم.

❁ المسألة الخامسة والعشرون: الصوم في السفر والإفطار.

عن ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال لرجل: «**انزل فاجدح لي**»، قال: يا رسول الله، الشمس، قال: «**انزل فاجدح لي**»، قال: يا رسول الله، الشمس، قال: «**انزل فاجدح لي**»، فنزل، فجدح له، وشرب، ثم رمى بيده هاهنا ثم قال: «**إذا رأيتم الليل أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم**»[(١)]. واستدل بهذا الحديث البخاري على جواز الصوم في السفر، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مسافراً، كما يعلم من هذا الحديث.

وعن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ ـ وكان كثير الصيام ـ قال: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»[(٢)]، قال ابن دقيق العيد: ليس فيه تصريح بأنه صوم رمضان، فلا يكون فيه حجة على من منع صيام رمضان في السفر.

وقال ابن حجر: وهو كما قال بالنسبة إلى سياق حديث الباب، لكن في رواية أبي مرواح التي ذكرها مسلم أنه قال: يا رسول الله، أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل عليَّ جُناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب**

---

(١) رواه البخاري (١٩٤١)، ومسلم (١١٠١).

(٢) رواه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

أن يصوم فلا جناح عليه»[١]. وهذا يُشعر بأنه سأل عن صيام الفريضة، وذلك أن الرخصة إنما تُطلب في مقابلة ما هو واجب.

وأصرح من ذلك إحدى روايات الحديث السابق من طريق عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ: عن الصيام في السفر؟ فقال: «**إن شئت صم، وإن شئت أفطر**»[٢].

والحاصل أنه يجوز للمسافر أن يصوم رمضان في السفر إذا لم يشق عليه، فإذا شق عليه، فالأولى له والأحسن: أن يفطر لأنها رخصة، والله أعلم.

❁ المسألة السادسة والعشرون: صلاة التراويح.

عن عائشة، رضي الله تعالىٰ عنها، قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً، قالت عائشة: قُلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: «**يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»[٣].

وفي هذا الحديث: دليل على أنه، عليه الصلاة والسلام، كان يصلي في رمضان قياماً إحدى عشرة ركعة، ومن شاء أن يزيد على ذلك فلا حرج، ولكن الأَوْلى والأقرب للسنة ـ والأحسن سنته عليه الصلاة والسلام ـ أن يصلي إحدى عشرة ركعة كما فعل عليه الصلاة والسلام.

وفي رواية عن عائشة: كان يصلي من الليل عشر ركعاتٍ، ويوتر

---

(١) رواه مسلم (١٠٧) [١١٢١].

(٢) مسلم (١٠٣) (١١٢١).

(٣) رواه البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨).

بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، فتلك ثلاث عشرة ركعة[١]. يفهم من هذا أن من قال إنه ﷺ كان يصلي ثلاث عشرة ركعة إنما يدخل في ذلك ركعتي الفجر، وأما القيام فبإحدى عشرة ركعة، وورد في رواية أيضاً عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء إلا في آخرها[٢]، وتفسر هذه الروايةُ الروايةَ التي قبلها أن فيها ركعتي الفجر كما سلف.

أما ما يفعله بعض الناس في بعض المساجد، بأن يصلوا التراويح في أول الليل، ثم يجتمعون للقيام في آخر الليل فما أعلم أن الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولا أحداً من أصحابه، ولا من التابعين لهم بإحسان فعل ذلك في جماعة، بل كان المعروف عند السلف أنهم كانوا يصلون صلاة القيام مرةً واحدةً في الليل بعد صلاة العشاء، أما اجتماعهم مرتين بحيث يصلون التراويح في أول الليل والقيام في آخره جماعة، فلم ينقل ذلك في حديث صحيح، ولا في أثر ولا في عمل الصحابة ولا التابعين، فالأولى أن يكتفى إما بالتراويح جماعة في أول الليل، وإما بالقيام في آخر الليل، وهذا هو الأقرب لسنته عليه الصلاة والسلام والأَوْلى.

والأَوْلى للأئمة أن يكتفوا بإحدى عشرة ركعة، يقرأون فيها ما تيسَّر من كتاب الله سبحانه وتعالى، ويُحسنون سجودها، وركوعها، وخشوعها، لتكون مشابهة لسنَّته عليه الصلاة والسلام، وقريبة من صلاته ﷺ.

۞ المسألة السابعة والعشرون: السواك للصائم.

جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لولا أن أشقَّ على**

---

(١) رواه البخاري (١١٤٠). ومسلم (١٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٣٧).

أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وفي لفظ: «**عند كل وضوء**»[١].

وهذا الحديث عام في رمضان وفي غيره، وفيه دليل لمن سنّ السواك للصائم طيلة يوم رمضان لأن لفظ: «**عند كل صلاة**» و«**عند كل وضوء**» يقتضي أن يكون في أول النهار وفي آخره.

وحديث عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يستاك ما لا أُحصي ولا أعد وهو صائم»[٢]، دليل لمن استحب السواك للصائم في أول النهار وفي آخره ومع كل صلاة ومع كل وضوء.

وبعض أهل العلم يرى أن الصائم له أن يستاك في أول النهار، وليس له أن يستاك في آخر النهار، ويعلل ذلك بأن خُلوف فم الصائم الذي هو أحسن وأطيب عند الله من ريح المسك يزول بالسواك، وهذا التعليل فيه نظر، إذ إن الخلوف إنما هو من المعدة، وليس من الفم، وليس للسواك أثر في إزالة الخلوف أو بقائه، والله سبحانه وتعالى طيِّب لا يقبل إلا طيِّباً، فالأَوْلى: القول باستحباب السواك في أول النهار وفي آخره للصائم.

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧) و(٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة. وكلا اللفظين صحيح.
قال ابن منده كما في «البدر المنير» (٨٨/٣): إسناده مجمع على صحته، وقال النووي في «المجموع» (٢٦٨/١): غلط بعض الأئمة الكبار، فزعم أن البخاري لم يخرجه، وهو خطأ منه، وليس هو في الموطأ من هذا الوجه، بل هو فيه عن ابن شهاب، عن حميد، عن أبي هريرة قال: «لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك مع كل وضوء»، ولم يصرح برفعه.
قال ابن عبدالبر: وحكمه: الرفع، وقد رواه الشافعي عن مالك مرفوعاً.

(٢) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد (٤٤٥/٣)، وأبو داود (٢٣٦٤)، والترمذي (٧٢٥)، وعلقه له البخاري في «كتاب الصيام».
وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢٢٩/١): إسناده حسن.

❁ المسألة الثامنة والعشرون: قراءةُ القرآن في رمضان.

في الحديث عن ابن عباس: «أن جبريل عليه السلام كان يلقى رسولنا ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أسرع بالخير من الريح المرسَلَة»[١]. وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «أن جبريل كان يعرض عليه القرآن في رمضان مرة واحدة، فلما قربت وفاته ﷺ عرض عليه في آخر رمضان القرآن مرتين، فعلم ﷺ أن أجله قد دنا»[٢].

ويؤخذ من هذا: فضل تدارس القرآن في رمضان، ولو درسه المسلم مع غيره كان أفضل وأمتع، وإن سمعه من غيره كان أحسن، والأَوْلى للمسلم أن يكثر من تلاوة القرآن في رمضان أكثر من غيره من الشهور، لمضاعفة الأجر في ذلك، ولعمله عليه الصلاة والسلام، وعمل أصحابه، والسلف الصالح.

ونُقِل عن كثير من الأئمة أنهم كانوا يعتزلون مجالس الفُتيا والدروس العلمية، العامة والخاصة، ويعكفون على كتاب الله عز وجل قراءة وتدبُّراً وتأملاً، والأوفق في هذا أن يُقرأ القرآن بترسُّل وتمهُّل وتدبُّر، لأن هذا هو المقصود، وهو الذي يُثمر العمل، ويزيد في الإيمان، والناس في ذلك ما بين غالٍ ومقصِّر، والمتوسط هو الموفَّق.

فمنهم من يكثر من القراءة بلا تدبر، ويرى أن كثرة الختمات هي المقصودة، فيختم في كل يوم، أو في كل يومين، ولا يقف عند الآيات، ولا يعرف المقصود مما يقرأ، ولا يتأمل ما يمر به من عِظات، والأنسب للمسلم: أن يختم في شهر رمضان مرتين، أو ثلاثاً،

---

(١) رواه البخاري (٦). ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) إسناده صحيح، رواه أحمد في المسند (١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦) بنحوه. قال الشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (٤:١٦٧): إسناده صحيح، وهو كما قال، رحمه الله.

أو أربعاً بتدبر، وهذا هو الأدق، وهو عمل كثير من الأئمة والصالحين والأخيار.

❁ المسألة التاسعة والعشرون: فضل العمرة في رمضان.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**عمرة في رمضان كحَجَّة**» وفي لفظ: «**كحَجَّة معي**»[١]. فللعمرة في رمضان فضل عظيم عليها في غيره من الأشهر، ويستحب للمسلم ـ إذا استطاع ـ أن يعتمر في رمضان، فهو الأفضل، وهنا أمور أحبُّ أن أُنبه عليها وهي:

أولاً: أن كثيراً من الناس يتركون ما هو أفضل إلى العمل المفضول، فمنهم من يترك ـ مثلاً ـ إمامة المسجد، ويذهب للعمرة، أو يترك عمله، ووظيفته ويعتمر، وهذا فيه حرج عظيم، وفيه عُدول عن العمل الأفضل إلى العمل المفضول، ويحتاج هذا إلى فقهٍ في الدين، فالأَوْلى لمن كان بقاؤه أفضل له وللمسلمين أن يبقى، ولو لم يعتمر في رمضان كإمام المسجد، والخطيب، والداعية، ومعلِّم الناس، والموظف.

وهنا مسألة ثانية وهي: أن بعضهم يترك عمله بلا استئذان، ويذهب للعمرة، وهذا يأثم من جانب، ويُؤْجَر من جانب، فالأَوْلى له ألا يذهب إلا بإذن، فإن لم يؤذن له فلا يذهب.

ثانياً: أن بعضهم يكذب في عذره، فيدَّعي أن له مريضاً، أو ظرفاً آخر ليس بصحيح، ليحصل على إجازة اضطرارية، ثم يعتمر، فهذا ارتكب إثماً في كذبه وتزويره، فلم يتقِ الله عز وجل في ذلك.

ثالثاً: أن بعض الناس يكرر العمرة في رمضان، خصوصاً أهل

---

(١) رواه البخاري (١٧٨٢) و(١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مكة، وهذا خلاف عمل الرسول، عليه الصلاة والسلام، والسلف الصالح، بل الأَوْلى له أن يعتمر عمرة في رمضان، ويجعل بقية أوقاته في قراءة القرآن، والذكر، ونوافل العبادة الأخرى.

❁ المسألة الثلاثون: من أصبح جنباً وهو صائم.

عن عائشة أن رجلاً قال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا تدركني الصلاة وأنا جُنب فأصوم**»، فقال: لستَ مثلنا يا رسول الله، فقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي**»[(١)].

وعن عائشة أم المؤمنين: «أن النبي ﷺ كان يُصبح جُنُباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان»[(٢)].

وعن أم سلمة قالت: «**كان رسول الله ﷺ يصبح جُنباً من جماع لا من حُلم ثم لا يفطر ولا يقضي**»[(٣)].

بهذه الأحاديث استدل من قال: إن من أصبح جُنباً فصومه صحيح، ولا قضاء عليه من غير فرقٍ بين أن تكون الجنابة عن جماعٍ أو غيره، وإليه ذهب الجمهور، وجزم النووي بأنه استقر الإجماع علىَ ذلك.

وقال ابن دقيق العيد: إنه صار ذلك إجماعاً أو كالإجماع.

فعلى كل حال من أخَّر الغسل حتى طلع الفجر من جنابة فصيامه صحيح، ومن نام في أثناء النهار واحتلم، ثم استيقظ ووجد بللاً

---

(١) رواه مسلم (١١١٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٠ ـ ١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦)، ومسلم (٧٧).

فصيامه صحيح، وعليه أن يغتسل، أي أنه لا يلزم الصائم أن يكون طاهراً من الجنابة قبل الفجر، والأولى لمن أراد الصيام أن يغتسل قبل الفجر، ليحصل على أجر ركعتي الفجر ودخول أول الوقت وحضور الجماعة، فهو الأفضل والأليق.

وهنا صورة وهي: من جامع في ليل رمضان ثم نام وغلبه نومه فما استيقظ إلا بعد ذهاب الفجر وطلوع الشمس، فإنه يغتسل ويصلي وصيامه صحيح.

❁ المسألة الحادية والثلاثون: الاغتسال للصائم.

عن أبي بكر بن عبدالرحمٰن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «**رأيت النبي ﷺ يصب الماء على رأسه من الحرّ وهو صائم**»[١].

وفيه دليل على أنه: يجوز للصائم أن يكسر الحرَّ بصبِّ الماء على بعض بدنه أو كلِّه، وقد ذهب إلى ذلك الجمهور، ولم يفرِّقوا بين الأغسال الواجبة، والمسنونة، والمباحة، وقالت الحنفية: إنه يكره الاغتسال للصائم، واستدلوا بما أخرجه عبدالرزاق عن علي من النهي عن دخول الصائم الحمَّام، وهو مع كونه خص من محل النزاع، ففي إسناده ضعف كما قال الحافظ.

❁ المسألة الثانية والثلاثون: من مات وعليه صيام.

من مات وعليه صيامٌ، وكان قد تمكن من صيامه قبل موته اختلف الفقهاء في حكمه، فذهب جمهور العلماء، ومنهم: أبو حنيفة، ومالك، والمشهور عن الشافعي: أن وليه لا يصوم عنه، ويطعم عنه مُدّاً عن كل يوم، والمذهب المختار عند الشافعية أنه: يستحب لوليه

---

(١) جسن، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣:٤٧٥)، وأبو داود (٢٣٦٥) بنحوه، وغيرهما، وحسنه جماعة، والعمل عليه.

أن يصوم عنه، ويبرؤ به الميت ولا يحتاج إلى إطعام عنه، والمراد بالولي: القريب، سواء كان عَصَبَةً، أو وارثاً، أو غيرهما، ولو صام أجنبي عنه صح إن كان بإذن الولي، وإلا فإنه لا يصح، واستدلوا بما رواه أحمد، والشيخان عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[(١)]، زاد البزَّار لفظ: «**إن شاء**»، وسنده حسن[(٢)].

وروى أحمد، وأصحاب السنن عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها؟ فقال: «**لو كان على أمِّك دَيْنٌ أنت قاضيه؟**»، قال: نعم، قال: «**فدين الله أحقُّ أن يُقضى**»[(٣)]. قال النووي: وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة.

❁ المسألة الثالثة والثلاثون: ليلة القدر.

ليلة القدر أفضل ليالي السنة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ . . .﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، أي: العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ويُستحب طلبها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، فقد كان النبي ﷺ يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان.

وللعلماء آراء في تعيين هذه الليلة، فمنهم من يرى أنها ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من يرى أنها ليلة الثالث والعشرين، ومنهم

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٢) إسناده حسن، رواه البزّار بإسناد حسن، كما في «مجمع الزوائد» (٣:١٧٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٥) من كتاب الصيام.

من يرى أنها ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من ذهب إلى أنها ليلة التاسع والعشرين، ومنهم من قال: إنها تتنقل في ليالي الوتر من العشر الأواخر، وأكثرهم على أنها ليلة السابع والعشرين، وروى أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان متحرّيها فليتحرها ليلة السابع والعشرين»**[١].

وعن أُبي بن كعب أنه قال: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان ـ يحلف ما يستثني ـ ووالله إني لأعلم أي ليلة، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة السابع والعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»[٢].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»**[٣].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «قلت يا رسول الله: أرأيت إن علمتُ أيُّ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: **اللهم إنك عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عني**»[٤].

❁ المسألة الرابعة والثلاثون: اختلاف المطالع.

ذهب الجمهور إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع، فمتى رأى الهلال أهل بلدٍ وجب الصومُ على جميع البلاد، لقول الرسول ﷺ: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»**[٥]. وهذا خطاب عام لجميع الأمة،

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢: ٢٧ ـ ١٥٧).
(٢) رواه مسلم (٧٦٢).
(٣) رواه البخاري (١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).
(٤) صحيح، رواه الإمام أحمد (٦: ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ٢٥٨)، والترمذي (٣٥١٣) وصححه، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وغيرهم.
(٥) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً، وذهب عكرمة والقاسم بن محمد، وسالم، وإسحاق، والصحيح عند الأحناف، والمختار عند الشافعية، أنه يُعتبر لأهلِ كل بلدة رؤيتهم، ولا يلزمهم رؤية غيرهم لما رواه كريب قال: «قدمتُ الشام واستهلَّ عليَّ هلال رمضان وأنا بالشام فرأيتُ الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمتُ المدينة في آخر الشهر فسألني ابن عباسٍ ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلتُ: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلتُ: نعم، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نُكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمر رسول الله ﷺ»[1]. والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم أنَّ لكل بلد رؤيته.

وفي «فتح العلام شرح بلوغ المرام»: الأقرب لزوم أهل بلد الرؤية وما يتصل بها من الجهات التي على سَمْتِها.

❁ المسألة الخامسة والثلاثون: صيامُ الصبي.

والصبي ـ وإن كان الصيام غير واجب عليه ـ إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره، ليعتاده من الصغر ما دام مستطيعاً وقادراً، فعن الربيع بنت معوّذ قالت: «أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار، «**من كان أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه**»، فكنا نصومه بعد ذلك ونُصوِّم صِبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العِهن، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٠٨٧).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

وعند البخاري معلقاً أن عمر، رضي الله عنه، رأى رجلاً نشوان[1] في نهار رمضان فضربه، وقال: ويحك، وصبياننا صائمون.

❁ المسألة السادسة والثلاثون: الشك في طلوع الفجر.

ولو شكَّ في طلوع الفجر، فله أن يأكل ويشرب، حتى يستيقن طلوعه ولا يعمل بالشك، فإنَّ الله عز وجل جعل نهاية الأكل والشرب التبيُّن نفسه لا الشك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ..﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال رجل لابن عباس، رضي الله عنهما: إني أتسحَّر فإذا شككتُ أمسكت، فقال ابن عباس: كُلْ ما شككت حتى لا تَشُك.

وقال أبو داود: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: وإذا شكَّ في الفجر يأكل حتى يستيقِن طلوعه، وهذا مذهب ابن عباس، وعطاء، والأوزاعي وأحمد.

وقال النووي: قد اتفق أصحاب الشافعي على جواز الأكل للشاكِّ في طلوع الفجر.

❁ المسألة السابعة والثلاثون: الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن للصائم عند فطره دعوةً ما تُرَدّ**»[2]. وكان عبدالله إذا أفطر يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسِعت كل شيء أن تغفر لي.

---

(١) أي: من الخمر.

(٢) صحيح، أخرجه الطيالسي، وابن ماجه (١٧٥٣) من طريقين مختلفين عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يقوي أحدهما الآخر.
لذا قال أبو صبري: إسناده صحيح.

وفي الحديث أنه ﷺ كان يقول: «**ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**»(١).

وروي مرسلاً أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت**»(٢).

جاء أنه ﷺ قال: «**ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم**»(٣).

۞ المسألة الثامنة والثلاثون: ماذا على من جامع في نهار رمضان؟

على من جامع في نهار رمضان: القضاء والكفارة.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: «**وما أهلكك؟**»، قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان، فقال: «**هل تجد ما تعتق رقبة؟**»، قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**»، قال: لا، قال: «**فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟**»، قال: لا، قال: ثم جلس فأُتي النبي ﷺ بعِرْقٍ فيه تمر فقال: «**تصدَّق بهذا**»، قال: فهل على أفقر منا؟ فما بين لابَتَيْها أهل بيت أحوج إليه منَّا! فضحك النبي ﷺ حتى بَدَت نواجذه، وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**»(٤).

ومذهب الجمهور: أن المرأة والرجل سواء في وجوب الكفارة

---

(١) حسن، سبق تخريجه ص٤١.

(٢) ضعيف جداً، سبق تخريجه ص٤١.

(٣) صحيح، رواه البيهقي في «الشعب»، والعقيلي في «الضعفاء» والطبراني في «الدعاء». ورمز السيوطي بالحسن. انظر «فيض القدير» (٣/٣٩٧)، و«فقه الدعاء» (ص٣٣٩).

(٤) رواه البخاري (١٩٣٦). ومسلم (١١١).

عليهما ما داما قد تعمَّدا الجماع مختارَيْنِ في نهار رمضان، وكانا قد نويا الصيام.

فإن وقع الجماع نسياناً، أو لم يكونا مختارَيْن، بأن أُكرها عليه، أو لم يكونا ناويَيْن الصيام فلا كفارة عليهما.

فإن أُكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها.

ومذهب الشافعي أنه لا كفَّارة على المرأة مطلقاً لا في حالة الاختيار ولا في حالة الإكراه وإنما يلزمها القضاء فقط.

قال بعض العلماء: والأصح على الجملة: وجوب كفَّارة واحدة عليه خاصة عن نفسه فقط، وأنه لا شيء على المرأة، ولا يلاقيها الوجوب، لأنه حق مال مختص بالجماع فاختصَّ به الرجل دون المرأة كالمهر.

قال أبو داود: سئل أحمد عمَّن أتى أهله في رمضان، أعليه كفارة؟ قال: ما سمعنا أنَّ على المرأة كفَّارة[1].

قال في «المغني»[2]: وجه ذلك أن النبي ﷺ أمر الواطىء في رمضان أن يعتق رقبة، ولم يأمر المرأة بشيء، مع علمه بوجود ذلك منها.

والكفارة على الترتيب المذكور في الحديث في قول جمهور العلماء.

فيجب العِتق أولاً، فإن عجَز عنه صام شهرين متتابعين، فإن عجَز عنه أطعم ستين مسكيناً من أوسط ما يُطعم منه أهله.

---

(١) انظر «مسائل الإمام أحمد» (٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر بحث المسألة في «المغني» (٣/١٣٢)، و«الفروع» (٣/٨٨)، و«الإنصاف» (٣/٣٢٣ ـ ٣٢٤).

ولا يصح الانتقال من حالة إلى أخرى إلا إذا عجَز عنها.

ويذهب المالكية وكذلك رواية عن أحمد أنه مخيَّر بين هذه الثلاث، فأيها فعل أجزأ عنه، لما روى مالك وابن جريج عن حُميد بن عبدالرحمٰن عن أبي هريرة: «**أن رجلاً أفطر في رمضان، فأمره رسول الله ﷺ أن يكفِّر بعتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً**»[1].

و«أو» تفيد التخيير؛ لأن الكفَّارة بسبب المخالفة، فكان على التخيير ككفارة اليمين، والذي نراه أن الترتيبَ أكثر حديثاً، ومعهم الزيادة.

ومن جامع عامداً في نهار رمضان، ولم يكفِّر، ثم جامع في يوم آخر منه، فعليه كفارة واحدة عند الأحناف، ورواية عن أحمد؛ لأنها جزاء عن جناية تكرر سببها قبل استيفائها فتتداخل، وقال مالك، والشافعي، ورواية عن أحمد: عليه كفارتان؛ لأن كل يوم عبادة مستقلة، فإذا وجبت الكفارة بإفساده لم تتداخل كرمضانين، وقد أجمعوا على أن من جامع في نهار رمضان عامداً، وكفَّر، ثم جامع في يوم آخر، فعليه كفارة أخرى، وكذلك أجمعوا على أن من جامع مرتين في يوم واحد، ولم يكفر عن الأول، فإن عليه كفارة واحدة، فإن كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانياً عند جمهور الأئمة، وقال أحمد: عليه كفارة ثانية.

❁ المسألة التاسعة والثلاثون: قضاء رمضان.

قضاء رمضان لا يجب على الفور، بل يجب وجوباً موسعاً في أي وقت، وكذلك الكفارة فقد كانت عائشة، رضي الله عنها، تقضي ما

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٨)، ومسلم (٨٤) من كتاب الصيام.

عليها من رمضان في شعبان، ولم تكن تقضيه فوراً عند قدرتها على القضاء.

والقضاء مثل الأداء، بمعنى: أن من ترك أياماً، يقضيها دون أن يزيد عليها، ويفارق القضاء الأداء في أنه لا يلزم فيه التتابع لقول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ..﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: ومن كان مريضاً، أو مسافراً، فأفطر، فليصم عدة الأيام التي أفطر فيها في أيام أُخر متتابعات، أو غير متتابعات، فإن الله أطلق الصيام ولم يقيده.

وإن أخَّر القضاء حتى دخل رمضان آخر صام رمضان الحاضر، ثم يقضي بعده ما عليه ولا فدية عليه، سواء كان التأخير لعذر، أو لغير عذر، وهذا مذهب الأحناف، والحسن البصري.

ووافق مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وفي أنه لا فدية عليه إذا كان التأخير بسبب العذر، وخالفوهم فيما إذا لم يكن له عذر في التأخير فقالوا: عليه أن يصوم رمضان الحاضر، ثم يقضي ما عليه بعده، ويفدي عمّا فاته عن كل يوم مُدّاً من طعام.

❁ المسألة الأربعون: ما لا يمكن الاحتراز منه للصائم.

كبلع الرِّيق، وغُبار الطريق، وغَرْبَلة الدقيق، والنُّخالة ونحو ذلك.

قال ابن عباس: لا بأس أن يذوق الطعام مثل: الخلِّ، والشيء يريد شراءه، وكان الحسن يمضغ الجوز لابن ابنه، وهو صائم، ورخَّص فيه إبراهيم، وأما مضغ العلك، فإنه مكروه إذا كان لا تتفتت منه أجزاء، وممن قال بكراهته: الشعبي، والنخعي، والأحناف، والشافعي، والحنابلة، ورخَّصت عائشة، وعطاء في مَضغه؛ لأنه لا يصل إلى الجوف فهو كالحصاة يضعها في فمه، هذا إذا لم تتحلل منه أجزاء، أما إذا تحللت منه أجزاء ونزلت إلى الجوف فإنه يُفطر.

قال ابن تيمية: وشم الروائح الطيِّبة لا بأس به للصائم.

وقال: أما الكُحل والحقنة وما يقطر في إحليله ومداواة المأمومة والجائفة، فهذا مما تنازع فيه أهل العلم، فمنهم من لم يفطِّر بشيء من ذلك، ومنهم من فطَّر بالجميع لا بالكُحل، ومنهم من فطَّر بالجميع لا بالتقطير، ومنهم من لا يفطِّر بالكحل، ولا بالتقطير، ويفطِّر بما سوى ذلك، فإن الصيام من دين الإسلام الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرَّمه الله ورسوله ﷺ في الصيام، ويفسد الصيام بها، لكان هذا مما يجب على الرسول ﷺ بيانه، ولو ذكر ذلك لعلِمه الصحابة وبلَّغوه الأمة كما بلَّغوا سائر شرعه، فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لا حديثاً صحيحاً، ولا ضعيفاً، ولا مسنداً، ولا مرسلاً، عُلم أنه لم ينكر شيئاً من ذلك.

قال: فإذا كانت الأحكام التي تَعُمُّ بها البلوى لا بد أن يبيِّنها الرسول ﷺ بياناً عاماً ولا بدَّ أن تنقل الأمة ذلك، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعمُّ به البلوى، كما تعمُّ بالدُّهن، والاغتسال، والبُخُور، والطِّيب، فلو كان هذا مما يفطِّر لبيَّنه النبي ﷺ كما بيّن الإفطار بغيره، فلما لم يبيِّن ذلك، علم أنه من جنس الطيب، والبَخور، والدُّهن.

والبخُور قد يتصاعد للأنف، ويدخل الدماغ، وينعقد أجساماً، والدُّهن يشربه البدن، ويدخل إلى داخله، ويتقوَّى به الإنسان، وكذلك يتقوَّى بالطيب قوة جيدة، فلما لم يُنه الصائم عن ذلك، دلَّ على جواز تطيُّبه، وتبخُره، وادِّهانه، وكذلك اكتحاله.

وقد كان المسلمون في عهده عليه الصلاة والسلام، يجرح أحدهم إما في الجهاد، وإما في غيره مأمومة وجائفة، فلو كان هذا يفطِّر لبيَّنَ لهم ذلك، فلما لم ينه الصائم عن ذلك، عُلم أنه لم يجعله مفطِّراً.

❁ المسألة الحادية والأربعون: بعض الأحاديث الضعيفة في باب الصيام.

١ ـ حديث: «**لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم**»[١].

٢ ـ حديث: «**نوم الصائم عبادة**». روي في أمالي ابن منده من رواية ابن المغيرة القوَّاس، عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف، ولعله عبدالله بن عمرو، فإنهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه، ورواه أبو منصور الدَّيلمي في «مسند الفردوس» من حديث عبدالله بن أبي أوفى، وفيه: سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذَّابين، وبالجملة: فهو لا يثبت.

٣ ـ حديث: «**إن الله تعالى يُباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول: أيها الشابُ التاركُ شهوته..**»، عُدَّ من حديث ابن مسعود بسند رواه، ورواه ابن عدي من حديثه بسند ضعيف.

٤ ـ حديثُ جابر عن أنس: «**خمسٌ يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظرة بشهوة**»[٢].

٥ ـ حديث: «إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا، فبعثتا

---

(١) أخرجه مرسلاً بسند ضعيف ابن المبارك في «الزهد» (١١٠٠)، من حديث ضمرة بن أبي حبيب مرسلاً، وفيه أبو بكر ابن أبي مريم النسائي وهو ضعيف.

(٢) قال الزيلعي في «نصب الراية» (٤٨٣/٢): قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وقال ابن معين: سعيد كذاب، [يعني: سعيد بن عنبسة]، ومن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيهم، وقال ابن أبي حاتم في «العلل»: سألت أبي عن حديث.... فقال: إن هذا كذب، وميسرة كان يفتعل الحديث. اهـ.

وانظر لهذا الحديث: «اللآلىء المصنوعة» (٦٠/٢)، و«الموضوعات» (١٩٦/٢)، و«علل الحديث» (١٤٧/٢).

إلى رسول الله ﷺ تستأذناه في الإفطار، فأرسل إليهما قدحاً، وقال ﷺ: «**قل لهما: قيئا فيه ما أكلتما**»، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غليظاً، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتا، فعجب الناس من ذلك، فقال ﷺ: «**هاتان صامتا عما أحلَّ الله لهما وأفطرتا عما حرَّم الله عليهما، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم**»[(١)].

٦ ـ حديث: «**المغتاب والمستمع شريكان في الإثم**»، حديث غريب.

وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف: «نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة»[(٢)].

٧ ـ حديث: «**إنما الصوم أمانة، فليحفظ أحدكم أمانته**». رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم وهو ضعيف جداً.

٨ ـ حديث: «**من صام ثلاثة أيام من شهر حرام: الخميس والجمعة والسبت، كتب له عبادة سنتين**»[(٣)].

---

(١) وهذا حديث ضعيف، رواه الإمام أحمد (٤١٣/٥) بسند فيه رجل لم يسم، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ. وقال العراقي (٢١١/١): إنه مجهول، وقد رواه الطيالسي (١٨٨/١) من حديث أنس، بسند ضعيف جداً، فيه الربيع بن صبيح، وهو ضعيف، ويزيد هو ابن أبان الرقاشي، وهو متروك.

(٢) انظر: «إتحاف السادة المتقين» (٥٣/٧)، و«تذكرة الموضوعات» (١٧٠).

(٣) وقد رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨١٠) من حديث أنس. وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٦٤/٢)، وقال الذهبي في «التلخيص» (٥٢٣): هذا باطل، راشد بن محمد مجهول، مسلمة بن راشد: واهٍ.
وانظر «مجموع الزوائد» (١٩١/٣).

❁ المسألة الثانية والأربعون: أسرار الصوم.

وهي ستة:

الأول: غض البصر، وكفه عن الاتساع في النظر، إلى كل ما يُذَم ويُكره، وإلى كل ما يشغل القلب، ويلهي عن ذكر الله تعالى. وقد تقدَّم شيءٌ من أسرار الصوم ومقاصده، فأعيده هنا بشيء من البسط.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش، والبذاءة، والجفاء، والخصومة، والمراء.

الثالث: كفُّ السمع عن الإصغاء إلى كل ما هو مكروه، لأن كل ما حَرُمَ قوله حَرُمَ الإصغاء إليه، ولذلك سوَّى الله عز وجل بين السمع وأكل السحت، فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل، وعن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام.

الخامس: ألا يكثر من الطعام وقت الإفطار بحيث يمتلىء بطنه فيثقله ذلك عن العبادة، وألا يكسر شهوته، بل يتوسط في ذلك، ويُراعي صحته، فإن من أسباب ترهُّل الجسم، وضعفه عن العبادة، وكسله عن أوامر الله عز وجل امتلاء المعدة.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار بين الخوف والرجاء، فهو لا يدري أيقبل صومه فيكون من المقرَّبين، أو يُرد عليه فيكون من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

❁ المسألة الثالثة والأربعون: في وعيد من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر.

روى الترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم أنه ﷺ قال: **«من أفطر يوماً في رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه عنه صوم الدهر كله وإن صامه»**(١).

وروى ابن خزيمة وابن حبان أنه ﷺ قال: **«بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعِراً فقالا: اصعد، فقلتُ: إني لا أطيقه، فقالا: إنّا سنسهّله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل، فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي فإذا أنا بقوم معلّقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قلت: من هؤلاء؟ قالا: الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم»**(٢).

وروى الطبراني في «الكبير» أن ابن مسعود قال: **«من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة لقي الله به، وإن صام الدهر كله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»**(٣).

وروى البزّار أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني هلكت، أفطرت في شهر رمضان متعمّداً، قال: **«أعتق رقبة»**، قال: لا أجد، قال: **«صم**

---

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٢٣٩٦)، والترمذي (٧٢٣)، وابن ماجه (١٦٧٢)، وابن خزيمة (١٩٨٧) من حديث أبي هريرة، بسند ضعيف.
ضعفه ابن خزيمة (٢٣٨/٣)، وقال النووي في «المجموع» (٣٢٩/٦): إسناده غريب.

(٢) صحيح، أخرجه ابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٧٩١)، والحاكم (٤٣٠/١)، والبيهقي (٢١٦/٤) من حديث عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني أبو أمامة به وهو سند صحيح، رجاله كلهم ثقات. وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

(٣) ضعيف، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣:١٦٨).

شهرين متتابعين»، قال: لا أقدر، قال: **«أطعم ستين مسكيناً»**»[١].

وأخرج أبو يعلى مرفوعاً أنه ﷺ قال: **«عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسِّس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر، حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان** ـ وفي رواية ـ **من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر، ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله»**[٢].

❁ المسألة الرابعة والأربعون: مسائل يحتاج إليها الصائم.

١ ـ **مسألة**: من أكل بعد أذان الفجر في رمضان شاكاً.

إذا شكَّ هل طلع الفجر أو لم يطلع، فله أن يأكل وأن يشرب حتى يتبين طلوعه، ولو علم بعد ذلك أنه أكل بعد طلوع الفجر ففي وجوب القضاء نزاع، والأظهر أنه لا قضاء عليه، وهو الثابت عن عمر، رضي الله عنه، وقال به طائفة من السلف والخلف، والقضاء هو المشهور في مذاهب الفقهاء الأربعة، والله أعلم.

٢ ـ **مسألة**: مَنْ إذا صام أغمي عليه.

إذا كان الصوم يجلب له مثل هذا المرض، فإنه يُفطر ويقضي، فإن كان هذا يصيبه في أي وقت صام كان عاجزاً عن الصيام، فيُطعم عن كل يوم مسكيناً.

---

(١) إسناده ضعيف، رواه البزار (١١٠٧) بسند فيه الواقدي، والجمهور على تضعيفه، وأصل الحديث معروف في الصحيحين من رواية أبي هريرة فيمن وقع على أهله في نهار رمضان. ويسميه أهل العلم: حديث المحترق؛ انظر «مجمع الزوائد» (١٦٨/٣).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه اللالكائي في «السنة»، وأبو يعلى من حديث مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به. وفيه مؤمل وهو كثير الخطأ، وعمرو لم يوثقه سوى ابن حبان، واضطرب حماد في رفعه ووقفه ولعل الأخير هو الصواب. والله أعلم.

٣ ـ **مسألة**: من أفطر في نهار رمضان متعمِّداً، ثم جامع، عليه القضاء، وأما الكفارة فتجب في مذهب مالك، وأحمد، وأبي حنيفة، ولا تجب عند الشافعي، والصحيح: وجوب القضاء والكفارة.

٤ ـ **مسألة**: من قبَّل زوجته، أو ضمَّها فأمذى هل يُفسد ذلك صومه أم لا؟

والجواب: يفسد الصوم بذلك عند أكثر العلماء.

٥ ـ **مسألة**: من أفطر في رمضان متعمداً.

إذا أفطر في رمضان ـ وهو عالم بتحريمه ـ استحلالاً له وجب قتله، وإن أفطر لكنه غير مستحِلٍّ مع إقراره بوجوبه كان فاسقاً، ويعاقب عن فطره في رمضان بحسب ما يراه الإمام، وإن كان جاهلاً عُرِّف بذلك، ويُرجع في ذلك لاجتهاد الإمام.

٦ ـ **مسألة**: من أدركه شهر رمضان، ولم يكن يقدر على الصيام من المرض وتوفي وعليه صيام شهر رمضان.

فهذا إذا اتصل به المرض، ولم يمكنه القضاء فليس على ورثته إلا الإطعام عنه.

❁ المسألة الخامسة والأربعون: اختلاف الأنبياء في الصوم.

قال أهل العلم: واختلفت سنن الأنبياء، عليهم السلام، في الصوم، فكان نوح، عليه السلام، يصوم الدهر، وكان داود عليه السلام، يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان عيسى، عليه السلام، يصوم يوماً ويفطر يومين، أو أياماً، وكان نبينا ﷺ في خاصة نفسه يصوم حتى يُقال: لا يُفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم، ولم يكن يستكمل صيام شهر إلا رمضان، وذلك أن الصيام تِرياق، والترياق لا يُستعمل إلا بقدر المرض.

وكان قوم نوح، عليه السلام، شديدي الأمزجة حتى رُوي عنه ما روي، وكان داود، عليه السلام، ذا قوةٍ ورزانة، وكان كما قال ﷺ: **«لا يفر إذا لاقى»**[1]، وكان عيسى، عليه السلام، ضعيفاً في بدنه، فارغاً لا أهل ولا مال، فاختار كل واحد ما يناسب الأحوال، وكان نبينا ﷺ عارفاً بفوائد الصوم والإفطار، مطَّلعاً على مزاجه وما يناسبه فاختار بحسب مصلحة الوقت ما شاء، واختار لأمته ألواناً من الصيام:

منها: يوم عاشوراء، وسرُّ مشروعيته أنه وقت نصر الله تعالى فيه موسى، عليه السلام، على فرعون وقومه، وشكر موسى بصوم ذلك اليوم وصار سنةً بين أهل الكتاب والعرب، فأقرَّه رسول الله ﷺ.

ومنها: صوم عرفة، والسر فيه أنه تشبه بالحُجَّاج، وتشوق إليهم، وتعرُّض للرحمة التي تنزل عليهم، وسر فضله على صوم يوم عاشوراء أنه خوض في لجة الرحمة النازلة ذلك اليوم، والثاني: تعرض للرحمة التي مضت وانقضت، فعمد النبي ﷺ إلى ثمرة الخوض في لجة الرحمة وهي كفارة الذنوب السابقة والنبو عن الذنوب اللاحقة، بأن لا يقبلها صميم قلبه فجعلها لصوم عرفة، ولم يصمه ﷺ في حجته.

ومنها: ستة من شوال، قال ﷺ: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»**[2]. والسر في مشروعيتها أنها بمنزلة السنن الرواتب في الصلاة تُكمِّل فائدتها بالنسبة إلى أمزجة من لم تتم فائدتها بهم، وإنما خصَّ بيان فضلها في التشبه بصوم الدهر، لأن من القواعد المقررة أن الحسنة بعشر أمثالها وبهذه الستة يتم الحساب.

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٧ ـ ١٩٧٩)، ومسلم (١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢) رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

ومنها: ثلاثة من كل شهر، لأنها بحساب كل حسنة بعشر أمثالها تضاهي صيام الدهر، ولأن الثلاثة أقلُّ حد الكثرة، وقد اختلفت الرواية في اختيار تلك الأيام، فورد: «**يا أبا ذر، إن صمت من الشهر الثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»[١].

۞ المسألة السادسة والأربعون: النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَقَدَّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه**»[٢].

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين دفعاً لوسوسة الشيطان وحِيَله وتلبيسه، كما فعل ببعض الأمم السابقة حتى صاروا يتقدَّمون بالصيام قبل الوقت المفروض، إلى أنْ أخرجهم عن الوقت المفروض ولبَّس عليهم[٣]، وصدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه. . .، ولذلك ربطت الشريعة الإسلامية صيام رمضان بأمر ظاهر، وهو رؤية الهلال، أو إكمال العدة ثلاثين صيانة لهذه الشريعة التي لا ينسخها الله تعالى حتى ينسخ الليل والنهار، والشمس والقمر، ومع ذلك فقد وقع بعض أهلِ الأهواء فصاروا يتقدَّمون رمضان بالصيام احتياطاً له، كما أنهم يؤخِّرون المغرب حتى تشتبك النجوم احتياطاً له فيما زعموا، وصان الله تعالى أهل السنة والجماعة من ذلك كله.

وفي هذا الحديث فوائد، منها: تحريم تقدم رمضان بصيام يوم

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٧٦١)، وصححه، والنسائي (٢٤٢٤)، وغيرهما بسند صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٩١٤). ومسلم (١٠٨٢).

(٣) لا وجه لها، حيث لم يتعرض المؤلف لبيان اختلاف الصحابة.

أو يومين، ومنها: جواز الصيام قبل رمضان بيوم أو يومين لمن كان له ورد من الصوم وصادف ذلك الوقت.

والفائدة الثالثة: أنه يجوز أن يقال رمضان دون إضافة كلمة شهر.

الأمر الرابع: ينبغي الحذر من تلبيس إبليس، أعاذنا الله من شرِّه.

الخامس: أن التنطُّعَ والتعمُّقَ في الدين مذموم، وأن الشريعة حنيفية سمحة ميسَّرة، وأن الخير في اتباعه، عليه الصلاة والسلام، وعدم الابتداع.

❁ المسألة السابعة والأربعون: ما أجمع عليه أهل العلم في باب الصيام والاعتكاف.

قال ابن المنذر:

- أجمعوا على أن من نوى الصيام كل ليلة من صيام شهر رمضان فصام أن صومه تام.

- وأجمعوا على أن السحورَ مندوب إليه.

- وأجمعوا على أنه لا شيء على الصائم إذا ذرعه القيء، وانفرد الحسن البصري فقال: عليه، ووافق في أخرى.

- وأجمعوا على إبطال صوم من استقاء عامداً.

- وأجمعوا على أن لا شيء على الصائم فيما يَزْدَرِده مما يجري مع الريق مما بين أسنانه فيما لا يقدر عن الامتناع منه.

- وأجمعوا على أن المرأة إذا كان عليها صيام شهرين متتابعين فصامت بعضاً ثم حاضت أنها تبني إذا طهرت.

- وأجمعوا على أن للشيخ الكبير والعجوز العاجزين عن الصوم أن يفطرا.

ـ وأجمعوا على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجبه المرء على نفسه، فيجبُ عليه.

ـ وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز في المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد إيليا (وهو المسجد الأقصى).

ـ وأجمعوا على أن للمعتكف أن يخرج عن معتكفه للغائط والبول.

ـ وأجمعوا على أن المعتكِف ممنوع من المباشرة.

ـ وأجمعوا على أن من جامع امرأته، وهو معتكف عامداً لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه.

❁ المسألة الثامنة والأربعون: ما يفعله بعض الناس في رمضان، وهو خلاف الأَوْلى، وخلاف السنة.

من ذلك: صلاتهم ثلاثاً وعشرين ركعة، أو أكثر من ذلك، وهذا جائز، ولكنه خلاف للأولى، إذ إنه ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، والخشوع في إحدى عشرة ركعة، وتدبُّر القرآن أفضل من صلاة ثلاثٍ وعشرين ركعة بعجلة، ومشقة على الناس.

ومنها: صلاتهم التراويح في أول الليل بعد صلاة العشاء، ثم رجوعهم في العشر الأواخر قبل السَّحَر لصلاة القيام، وهذا كما سلف في أول الكتاب لم يُعهد عن الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولا عن أصحابه، ولا عن التابعين بمثل هذه الهيئة والكيفية، ولم يثبت به نقل صحيح، فالأولى اتباع السنة في مثل هذا، إما الاكتفاء بالتراويح، وإما بالقيام، ومن شاء أن يتنفَّل في أحد الوقتين في بيته فهو الأفضل.

ومنها: دعاء القرآن بعد أن تنتهي صلاة التراويح في آخر ليلة أو

قبل ذلك، فلم يثبت عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه دعا بالناس لختم القرآن، ولم يصح عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا أمر مبتدَع، وما يفعله بعض الأئمة من دعاء ختم القرآن، وحفظ أدعية في ذلك، ليس من سنّته، عليه الصلاة والسلام.

ومنها: صلاة وِترين في ليلة، وهو خلاف سنّته عليه الصلاة والسلام، وقد قال: **«لا وتران في ليلة»**[1]. فبعض الناس يوتر في صلاة التراويح، ثم يوتر في القيام، وقد أخطأ في ذلك، فإما أن يكتفي بوتر التراويح، أو بوتر القيام.

ومنها: الهَذْرَمة، أي: الاستعجال في قراءة القرآن، بقصد الختم بلا تدبُّر، فإن كثيراً من الأئمة يتبارون أيهم يختم القرآن قبل الآخر، ومقصده: مجرد الختم ليقال: ختم! وكأن الختم أمر لازم، وهذا غير صحيح، فإن المقصود: تدبر شيء من القرآن في رمضان لا الختم ذاته.

ومنها: التكلف في الدعاء في صلاة التراويح، والقيام، والسجع، وتزويق العبارة، والتطويل بالناس، والتظاهر بالبكاء، فإن هذا مما يخل بالخشوع، ويخالف سنّته، عليه الصلاة والسلام، بل السنّة في ذلك التقصير في الدعاء، وقصد جوامع الكلم، والابتعاد عن التكلف، وعن التمطيط، وعن الرياء.

وقد وجد أن بعض الأئمة يُدخل عبارات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولم ترد في السنة، ولا عملها السلف الصالح، حتى إنها عبارات لا تناسب العبارات الشرعية العلمية، ولا تليق بالمسجد، ولا بصلاة التراويح، ولا بدعاء الوتر.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (١٤٣٤)، والترمذي (٤٧٠)، والنسائي (١٦٧٨)، وابن خزيمة (١١٠١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٤٤٩)، والبيهقي (٣٦/٣) من حديث طلق بن حبيب وهو حديث صحيح.

ومن ذلك تقليد بعض الأئمة لأصوات بعض، والتكلف في ذلك حتى يخرج عن حدِّ الخشوع، ويشق على المأمومين، وهذا نوع ذوبان في الشخصيات وتقليد منهي عنه، فإنه مما تشمئز منه النفوس، وتنقبض له القلوب، فالواجب على الإمام أن يقرأ بصوته الذي وهبه الله تعالى، وأن يحسن صوته ما استطاع، وأن يرتِّل، وأن يتدبَّر، ولا يتكلَّف تقليد الآخرين(١).

❁ المسألة التاسعة والأربعون: عقد البخاري رحمه الله باباً لطيفاً شريفاً في صحيحه فقال: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

وأورد عن أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قُم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربِّك عليك حقاً، ولنفسِك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: **«صدق سلمان»**(٢).

قال أهل العلم: في هذا الحديث من الفوائد: مشروعية المؤاخاة في الله تعالى، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم.

وفيه: جواز الفطر لمن صام التطوع، وهو قول الجمهور، ولم يجعلوا عليه قضاءً، إلا أن يستحب ذلك.

---

(١) انظر «بدع القراء» للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، حفظه الله.

(٢) رواه البخاري (١٩٦٨).

وروى عبدالرزاق عن ابن عباس أنه ضرب لذلك مثلاً كمثل من ذهب بمالٍ ليتصدق به، ثم رجع ولم يتصدق به، أو تصدق ببعضه وأمسك بعضه.

ومن حجتهم: حديث أم هانىء أنها دخلت على النبي ﷺ، وهي صائمة فدعا بشراب فشرب، ثم ناولها فشربت، ثم سألته عن ذلك فقال: «**أكنتِ تقضين يوماً من رمضان؟**» قالت: لا، قال: «**فلا بأس**». وفي رواية: «**إن كان من قضاء فصومي مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضيه، وإن شئت فلا تقضيه**»[(١)]. وعن مالك الجواز وعدم القضاء بعذر، والمنع وإثبات القضاء بغير عذر، وعن أبي حنيفة يلزمه القضاء مطلقاً، ذكره الطحاوي وغيره.

وأغرب ابن عبدالبر فنقل الإجماع على عدم وجوب القضاء عمن أفسد صومه بعذر، واحتج من أوجب القضاء بما رواه الترمذي والنسائي عن عائشة قالت: كنتُ أنا وحفصة صائمتين، فعرض لنا طعام اشتهيناه، فأكلنا منه، فجاء رسول الله ﷺ فبَدَرَتني إليه حفصة، وكانت بنت أبيها فقالت: يا رسول الله، فذكرت ذلك، فقال: «**اقضيا يوماً آخر مكانه**»[(٢)].

وأما قول القرطبي: يُجابُ عن حديث أبي جحيفة بأن إفطار أبي الدرداء كان لقسم سلمان، ولعذر الضيافة، فيتوقف على أن هذا العذر من الأعذار التي تبيح الإفطار.

---

(١) حسن، قال الإمام النووي في «المجموع» (٣٩٥/٦): رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي، وغيرهم، وألفاظ رواياتهم متقاربة المعنى، وإسنادها جيد، ولم يضعفه أبو داود، وقال الترمذي: في إسناده مقال.

(٢) ضعيف، رواه أبو داود (٢٤٥٧)، والترمذي (٧٣٥) من حديث الزهري: بلغني... فذكره، وقد أطال الإمام النووي في «المجموع» (٣٩٦/٦) بذكر حال هذا الحديث، ثم ضعفه.

والصحيح: أن للمتنفِّل أن يُفطر دون أن يقضي، لأنه أمير نفسه، وهذا من باب التطوع خصوصاً إذا رأى المصلحة في الإفطار.

❁ المسألة الخمسون: زكاة الحلي[١].

وإنما ذكرت هذه المسألة في كتاب الصيام؛ لأن شهر رمضان موسم لإخراج الزكاة، ولأنه كثر القيل والقال في هذه المسألة، فمن أهل العلم من يوجب الزكاة في الحلي، ومنهم من لا يرى أن الحلي فيه زكاة، فأحببتُ أن أذكر القول الراجح بالدليل، والله أعلم.

دلَّ على وجوب زكاة الحلي في العموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ..﴾ [التوبة: ٣٤].

والحلي من الكنز، وكذلك ما في الحديث: «... **ولا صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفحت صفائح يوم القيامة ثم تُحمى في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره..**»[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه[٣] رضي الله عنهما: «أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مَسْكتان من ذهب، فقال لها: «**أتعطين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسوِّرَك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**» فألقتهما»[٤]. وفي لفظ

---

(١) هذه المسألة من مضايق الخلاف، انظر بحثها في «المبسوط» (١٩١/٢ ـ ١٩٢)، والأم (٣٥/٢)، و«المحلى» (٧٥/٦)، و«الإنصاف» (١٣٨/٣ ـ ١٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٢٥ ـ ١٧)، و«فتح الباري» (٣١٤/٣).

(٢) رواه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (١٥٦٣)، والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٢٤٧٩) وغيرهم بهذا الإسناد، وقال النووي في «المجموع» (٣٣/٦): إسناده حسن، وتعقب الترمذي في قوله: ولا يصح في هذا الباب شيء.

أبي داود: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله ﷺ.

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: دخلت أنا وخالتي على رسول الله ﷺ فساق هذا الحديث بمثله[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها» كانت تلبس أوضاحاً من ذهب، فقالت: يا رسول الله أكنز هو؟ قال: «**إذا أدَّيت زكاته فليس بكنز**»[٢].

وهذه الأدلة كافية في بيان وجوب الزكاة في الحلي، سواء لبس أم لم يلبس، وهو قول كثير من أهل العلم.

أما القول الآخر: فإن أدلة من قال به ضعيفة، كحديث سمرة بن جندب، رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»[٣]، وهناك أحاديث أخرى ضعيفة، لا تقوم بها الحجة، فعلى المسلم أن ينبه أهله، وأن يحثهم على دفع زكاة الحلي، فإن هذا أبرأ للذمة، وأحوط للدين، وأبعد عن التَّبِعة، والله أعلم.

❁ المسألة الحادية والخمسون: غزوة بدر.

كانت غزوة بدر في هذا الشهر المبارك، وتمَّ نصر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين على المشركين، وسُمي ذلك اليوم يوم الفرقان، لأن الله فرَّق فيه بين الحق والباطل بنصر رسول الله ﷺ ودَحْرِ الكافرين

---

(١) رواه أحمد (٦: ٤٦١).

(٢) سنده جيد رواه أبو داود (١٥٦٤)، والدارقطني (٢/١٠٥)، والحاكم (١/٣٩٠) بسند جيد كما قال الحافظ العراقي، ونقله عنه الحافظ في «الفتح» (٣/٣٢٠)، وحسنه النووي كما في «المجموع» (٦/١٣).

(٣) ضعيف رواه أبو داود (١٥٦٢). وفي سنده من لا يعرف. انظر «المجموع» (٦/٤٨).

والمنافقين، وكانت هذه الغزوة في السنة الثانية، خرج فيها رسول الله ﷺ ومعه ما يقارب الثلاثمائة وأربعة عشر من أصحابه، وخرج المشركون ومعهم خيلهم وخيلاؤهم بما يقارب الألف والتقوا في بدر، وتنزلت الملائكة تقاتل مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول حسان:

وبيوم بدر إذ يصد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

وطلب عليه الصلاة والسلام من الناس أن يبدوا رأيهم في ملاقاة الكفار قبل الغزوة فتحدَّث المتحدِّثون، وقام المقداد بن الأسود فسدَّد في كلامه وقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله عز وجل، فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقاتل عن يمينك، وشمالك، ومن بين يديك، ومن خلفِك، ثم قام سعد بن معاذ الأوسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم، فاصنع حيث شئت، وصِل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا فيه تبع لأمرك، ووالله لئن سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمدان لسرنا معك، ولئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وإنا لصُبُرٌ عند الحرب صُدق عند اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسُرَّ عليه الصلاة والسلام لما سمع من كلام المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم، وقال: «**سيروا وأبشروا فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»، فسار النبي ﷺ والتقى الجمعان.

ومن المعالم البارزة في هذه الغزوة المباركة أن عمير بن الحمام ـ أحد الصحابة ـ كان يأكل تمراتٍ من جوعٍ، وكان يحملها بيده، فسمع

الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**يا أهل بدر ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة**»، فقال عمير بن الحمام: بخٍ بخٍ..! إنها لحياة طويلة إذا أنا بقيت حتى آكل هذه التمرات، فألقى التَّمرات من يده وقاتل حتى قُتل.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أهل بدر إن الله اطَّلع عليكم فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1].

وكان هناك مبارزة نصر الله فيها عباده المؤمنين الثلاثة المبارِزين وهم: حمزة بن عبدالمطلب، وعليُّ بن أبي طالب، وابن الحارث، يقابلهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فانتصر المؤمنون على الكافرين، وبدأت المعركة، ووقع القتل في صفوف أعداء الله، فقُتل منهم سبعون، وأُسر سبعون وارتفعت راية التوحيد، وتفتَّحت السماء لهذا النصر، وانشرح صدر الحنيفية السمحةِ، وارتفع نداء الحق، ودُحِر الباطل، وأُرغِمَ أنف الشيطان، وفرَّ أولياؤه وهُزم أتباع إبليس، وتحقق في هذه الغزوة للإسلام فتح عظيم، كان أول الفتوحات على الإسلام والمسلمين.

ومن بركة هذه الغزوة أنها كانت في هذا الشهر المبارك، بل إنَّ أكثر غزواتنا ـ كأمة مسلمة ـ كانت في هذا الشهر، وكانت فتوحاتنا في هذا الشهر، وكانت انتصاراتنا في هذا الشهر.

❁ المسألة الثانية والخمسون: غزوة الفتح في شهر رمضان.

وفي هذا الشهر المبارك كان الفتح الأعظم، فتح مكة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] فارتفعت راية الحق بهذا

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٣)، و(٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

الفتح، وصارت مكة بلداً إسلامياً، حلَّ فيه التوحيد مكان الشرك، والإيمان محل الكفر، وأُعلنت فيه عبادة الله الواحد القهَّار، وكُسرت فيه أوثان الشرك، فما لها بعد ذلك من قرار.

وكان سبب هذا الفتح أنه لما تمَّ الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش في الحديبية في السنة السادسة، كان الأمر بالخِيار، فمن أحب أن يدخل في عهد الرسول ﷺ فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش فعل، فدخلت خُزاعة في عهد النبي، عليه الصلاة والسلام، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان بين القبيلتين دماءٌ في الجاهلية، فانتهزت بنو بكر هذه الهدنة فأغارت على خزاعة وهم آمنون، وأعانت قريش حلفاءها بني بكر بالرجال والسلاح سراً على خزاعة حلفاء النبي ﷺ.

ووقعت الخيانة الكبرى من كفار قريش، ونُكث الميثاق، ونقض العهد، فتهيأ عليه الصلاة والسلام، بجيش عَرَمْرَم من المدينة وقال: «**اللهم خذ على قريش أسماعها وأبصارها**»، ومَضى عليه الصلاة والسلام بأصحابه، وطوَّق عليه الصلاة والسلام مكة ودخلها بجيوشه المنتصرة من أربع جهات ثم دخل ﷺ الحرم وحول الكعبة آنذاك ثلاثمائة وستون صنماً، فأخذ يشير إليها ﷺ بعصاه فتتنكَّس وتقع على الأرض محطَّمة، مكسَّرة، والنبي ﷺ يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد**»[١]، ثم قام عليه الصلاة والسلام خطيباً في الناس فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، صدَق وعده، ونصَر عبده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من**

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١).

تراب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

يا معشر قريش ما تظنون إني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوانه:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] **اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وبهذا الفتح المبين تمَّ نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعاد بلد الله بلداً إسلاميّاً، أُعلن فيه توحيد الله، وتصديق رسوله ﷺ، وتحكيم كتابه، وصارت الدولة فيه للمسلمين، واندَحَر الشرك، وتبدَّد ظلامه، فللّه الحمد والمنّة.

۞ المسألة الثالثة والخمسون: فضل العشر الأواخر من رمضان.

للعشر الأخيرة من رمضان خصائص ليست لغيرها من الأيام، فمن خصائصها: أن النبي ﷺ كان يجتهد في العمل فيها أكثر من غيرها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، «أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها»(١).

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مِئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»(٢).

وفي المسند عنها قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمّر، وشدَّ المئزر»(٣).

فهذه العشر كان يجتهد فيها ﷺ أكثر مما يجتهد في غيرها من

---

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٣) صحيح، رواه أحمد (٦:١٤٦) بسند صحيح.

الليالي والأيام من أنواع العبادة: من صلاة، وقرآن، وذكر، وصدقة، وغيرها، ولأن النبي ﷺ كان يشد مئزره، يعني: يعتزل نساءه ويتفرغ للصلاة والذكر، ولأن النبي ﷺ كان يُحيي ليله بالقيام والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه لشرف هذه الليالي، والتي فيها ليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه.

وظاهر هذا الحديث أنه ﷺ، يحيي الليل كله في عبادة ربه من الذكر والقراءة والصلاة والاستعداد لذلك والسحور وغيرها.

وبهذا يحصل الجمع بينه وبين ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح»[1]، لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة، والذي نفته إحياء الليل بالقيام فقط.

ومما يدل على فضيلة العشر من الأحاديث أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله فيها للصلاة والذكر، حرصاً على اغتنام هذه الليالي المباركة بما هي جديرة به من العبادة، فإنها فرصة العمر، وغنيمة لمن وفَّقه الله عز وجل، فلا ينبغي للمسلم العاقل أن يفوِّت هذه الفرصة الثمينة على نفسه وأهله، فما هي إلا ليالٍ معدودة، ربما يُدرك الإنسانَ فيها نفحةٌ من نفحات المولى، فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة.

❁ المسألة الرابعة والخمسون: في الاعتكاف وأحكامه.

ومن خصائص هذه العشر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها، والاعتكاف: (لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل)، وهو من السنن الثابتة بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) رواه مسلم (١٤١) من كتاب صلاة المسافرين.

وقد اعتكف النبي ﷺ واعتكف أصحابه معه وبعده، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأُولى من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم قال: «**إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم أعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحبَّ منكم أن يعتكف فليعتكف**»[(١)].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده[(٢)].

وفي صحيح البخاري عنها أيضاً قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلَّى الفجر، ثم دخل معتكَفه»، فاستأذنته عائشة، فأذن لها فضربت لها خباء، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها، ففعلت، فضربت لها خباء، فلما رأت ذلك زينب أمرت بخباءٍ، فضرب لها، فلما رأى النبي ﷺ الأخبية قال: «**ما هذا؟**» قالوا: بناءُ عائشة وحفصة وزينب، فقال النبي: «**البرَّ أردن بهذا؟ انزعوها فلا أراها**»، فنُزعت، وترك الاعتكاف في رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال»[(٤)]. وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا أعلم عن أحدٍ من العلماء خلافاً أن الاعتكاف مسنون.

---

(١) رواه مسلم (٢١٥) من كتاب الصيام.

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (٥) من كتاب الاعتكاف.

(٣) رواه البخاري (٢٠٤٤).

(٤) البخاري (٢٠٣٣ ـ ٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٣).

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس، ليتفرَّغ لطاعة الله في مسجد من مساجده، طلباً لفضله وثوابه، وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدَّث قليلاً بحديثٍ مباحٍ مع أهله أو غيرهم لمصلحة، لحديث صفيَّة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدَّثته ثم قمتُ لأنقلب (أي: لأَنصرف إلى بيتي)، فقام النبي ﷺ معي»[١].

ويحرم على المعتكف الجماعُ ومقدماتهُ من التقبيل واللمس لشهوة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وأما خروجه من المسجد، فإن كان ببعض بدنه فلا بأس به لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض**»[٢]، وفي رواية: «**كانت ترجِّل رأس النبي ﷺ وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه**»[٣].

وإن كان خروجه بجميع بدنه فهو ثلاثة أقسام:

الأول: الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً، كقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب، والغُسل الواجب، لجنابة، أو غيرها، والأكل والشرب، فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد، فلا يخرج، مثل أن يكون في المسجد حمام يمكنه أن يقضي حاجته فيه وأن يغتسل فيه، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب، فلا يخرج حينئذٍ لعدم الحاجة لذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥ ـ ٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٩).

(٢) رواه البخاري (٢٠٣١).

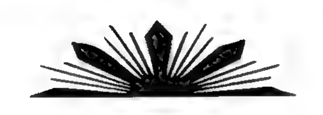
(٣) رواه البخاري (٢٠٤٦).

الثاني: الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه، كعيادة مريض، وشهود جنازة، ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه، مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعوده، أو يخشى موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

الثالث: الخروج لأمر ينافي الاعتكاف، كالخروج للبيع، والشراء، وجماع أهله، ونحو ذلك، فلا يفعله، لا بشرط، ولا بغير شرط، لأنه يناقض الاعتكاف، وينافي المقصود منه.

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، فاعرفوا ـ رحمكم الله ـ لهذه العشر فضلها، ولا تضيِّعوها، فوقتها ثمين وخيرها ظاهر مبين.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



موسم الغفران

الحمد لله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادة أدّخرها لي ولكم ليوم العرض على الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم صلِّ على نبيك وعلى آل نبيك وعلى صحبه وعلى من سار

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

على منهجه إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمَنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

أما بعد، أيها الناس، فقد حلّ عليكم ضيف كريم، وشهر عظيم، يغفر الله فيه السيئات، ويتجاوز الله فيه عن الخطايا ويعتق فيه الله الرقاب.

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام ... يا حبيباً زارنا في كل عام
قد لقيناك بحب مفعم ... كل حب في سوى المولى حرام
فاغفر اللهمَّ منا ذنبنا ... ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا ... قلق أسهرنا جنح الظلام

مرحباً بك يا رمضان، جئت بعد عام كامل، مات في هذا العام قوم وولد قوم، واغتنى قوم وافتقر قوم، وسعد قوم وشقي قوم، واهتدى قوم وضل قوم، جئتنا بعد عام ملأناه إما بحسنات وإما بسيئات.. تُعرض علينا في الصحف يوم العرض على الله تعالى.

فليت شعري والأنوار قد قُسِمَت ... على الصراط وقَعْرُ النار ملتهِب
لينفع العلم قبل الموت صاحبه ... قد صار قوم بها الرجعى فما وهبوا

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾ [الأنعام: ٩٤].

صحفنا تُعرض علينا يوم القيامة، في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٤].

جئت يا رمضان لتقول للعيون صومي عن النظر إلى الحرام، قبل أن تغضبي الملك العلاَّم، وتورَدي النار الضِّرام، فصومي عن النظر، واسكبي الدمع في جنح الظلام.. وتقول للألسن: يا لسان صم عن الغيبة والنميمة، وعن الفحش والبذاءة، وعن العُهر واللغو.

لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلُّك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً لقوم فقل يا عين للناس أعين

وجئت يا رمضان تقول للأيدي صومي، صومي أيتها الأيدي التي سفكت الدماء وقتلت الأنفس البريئة، والتي هدمت المنازل على رؤوس الأبرياء، والتي قتلت الشيوخ والنساء، صومي أيتها الأيدي عن الضرب وعن القتل وعن السرقة وعن الاختلاس.. وصومي عن الرشوة، قبل أن يأتي يوم تُغَلِّين فيه بالأغلال، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.. يوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون.

جئت يا رمضان تقول للأرجل: صومي عن المشي إلى الحرام، عن المشي في طريق الضياع والندامة والضلال، عن الذهاب والإياب في مغضبة رب السماوات والأرض، عن تلك الطرق الذميمة الخسيسة الحقيرة.. صومي أيتها الأرجل..

ثم جئتَ يا رمضان تقول للبطون: صومي عن أكل الحرام، وعن أكل الربا، فإن جسداً غُذي بالحرام فالنار أولى به.

صومي أيتها البطون عن أكل الحرام والغش والخداع قبل أن تلقي الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى.

وفي الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**.

والصيام جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن قاتله أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان

يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصيامه»[١].

❁ شرح الحديث:

فأما قوله سبحانه وتعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»**، فمعناه: أن الصِّيام سرٌّ بين العبد وبين الله، لا يدري أنك صائم إلا الله، ولا يعلم أنك صائم إلا الله، قد تأكل الطعام إذا اختفيت عن أعين الناس، ولكن يراك رب الناس، وقد تشرب الشراب إذا اختفيت عن أعين الناس، ولكن يراك رب الناس، فلذلك اختصَّ الله بالصيام لنفسه فيقول: كل عمل ابن آدم له، أي: بيني وبينه، وبينه وبين الناس، فهو منشور معلوم.. إلا الصيام فإنه سر من الأسرار.. أكشفه له يوم يأتيني يوم القيامة، وأجازيه بفعله، فإن صدق معي عوضته من ذاك الظمأ إرواء من الحوض المورود، يوم يعطش الناس، ويظمأ الناس، ويفتر الناس، ويتعب الناس..

ومن جاع هنا أشبعته من ثمار الجنة، يوم يرد الجائعون عند الأبواب. فالصيام لله تعالى، وهو يجزي به، فجزاؤه أفضل الجزاء، وعطيته أفضل العطية وأهنأها وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وفي الصوم تجتمع أقسام الصبر الثلاثة فهنيئاً لمن صام رمضان ليرضيَ الله عزَّ وجلَّ فأدرك ذلك.

وأما قوله سبحانه وتعالى: **«يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»**، أي بمعنى يترك ذلك كله، طلباً لثوابي، وهروباً من عقابي، وامتثالاً لأمري وانتهاء عن نهيي، وطلباً لما عندي، فجزاؤه عندي المغفرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، (١٨٩٤)، ومسلم (١٦٣ ـ ١٦٤) من كتاب الصيام.

وأما قوله ﷺ: «**الصيام جُنَّة**» فمعناه: حفظ من المعاصي ورِدء من السيئات، وحجاب من النار، وجُنَّة من غضب الجبار سبحانه وتعالى.

وأما قوله: «**فإن سابَّه أحدٌ أو شاتمه فليقل إني صائم**».

قال أهل العلم: يقول بلسانه: «**إني صائم**». فإذا صمت وأتاك رجل يريد مشاتمتك ومقاتلتك والمهاترة معك، فذكِّره الله، وقل له: «**إني صائم**»، بمعنى اتقِ الله فيَّ فإني صائم.. وخف الله فيَّ فإني صائم، لا تعتدِ على عرضي ولا على مالي، ولا تتسبَّب في اعتدائي عليك فإني صائم.

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن تقول بقلبك إني صائم فتجريها على قلبك، وكأنك تقول لنفسك: اتق الله فيَّ فإني صائم فلا تجرح صيامي.

وأما قوله ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**»، معنى لا يرفث: لا يتكلم بدواعي الجماع، ولا ما يوقظ الغريزة الجنسية أو الشهوة لأنه في عالم آخر، صامت روحه ونفسه وصام قلبه، فلا يثير نوازع الشيطان ومكامن الشر في نفسه.

«**ولا يصخب**»، أي: لا يرتفع صوته، وليحترم صيامه، ولا يماري، ولا يجادل، ولا يخاصم، ولكن ليحفظ الله سبحانه وتعالى في هذا الصوم.

قوله: «**ولخُلوف فم أحدكم أطيب عند الله من ريح المسك**»، لا مسك إلا خُلوف الصائم، ولا طِيب إلا طيب خلوف فم الصائم عند الله سبحانه وتعالى.. وما المسك عند خلوف فم الصائم؟ وما الطيب؟ بل خُلوف فمه أحسن من المسك وأطيب من الطِّيب. لأنه صام في مرضاة الله، وجاع بطنه ليريد ما عند الله، وظمئت كبده

لمرضاة الله.. فحيَّهلا بهذا الخُلوف، ومرحباً به من خُلوف، يفوح مسكاً عند الله يوم القيامة.

فيا من يريد أن يتعرَّف على الله في رمضان، إن ربَّ رمضان، هو رب شوال ورب شعبان، فخف الله في رمضان وفي غير رمضان، فإنه رب كل زمان ومكان سبحانه وتعالى، واستبشر بالقبول، ورحِّب بهذا الشهر، وحاول أن تكون من المعتقين فيه، ومن المقبولين فيه، حاول ألا يخرج هذا الشهر إلا وقد أعتقك الله من النار، وقد أعتق رقبتك من غضبه سبحانه، فإن غضبه يحقّ المحْقَ في الديار، وحاول ألا ينسلخ الشهر إلا وقد سجَّلك الله في سجل المقبولين، الذين كتب لهم الحسنى، فهم لا يسمعون حَسِيس جهنم وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون.

جُع لتشبع عند الله، ولتدخل من باب الريَّان، يوم يفتح باب الريَّان من الجنة فلا يدخل إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق عليهم، واظمأ لتشرب من الكوثر، من حوض محمد ﷺ، يوم يقف يسقي العباد ومعه سبعون ألف ملك حول حوضه المورود، طوله شهر، وعرضه شهر، عدد آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، نسأل الله من فضله. فحاول أن تكون من الشاربين الذين تركوا الشراب في الدنيا، وحاول أن تصوم كل جوارحك، كل الجوارح، الأذن التي كانت تستمع الغناء والخنا والفُحش، حاول ألا تسمعه مرة ثانية، من هذا العهد، لأن من سمع غناء الدنيا حرمه الله من سماع غناء الآخرة في الجنة.

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحاً تهزّ ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذُّ لمسمع الـ ... إنسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوّضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفَّارات لما بينهن ما لم تُغش كبيرة**»[١].

وكان السلف الصالح إذا دخل رمضان بشَّر بعضهم بعضاً بهذا الشهر العظيم، وتهيأوا له، وقدوتهم وإمامهم محمد ﷺ. كان يقول: «**اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال خير ورشد**»[٢]، ثم يبشر أصحابه ﷺ.

وَرَدَ عن الإمام مالك، رحمه الله، أنه كان إذا دخل عليه شهر رمضان، أغلق على كتبه، وأخذ المصحف، وجلس في المسجد يتوضأ بين الحين والآخر، ويقول: «هذا شهر القرآن، لا كلام فيه مع القرآن».

وورد عن كثير منهم أنهم كانوا يخرجون إلى المساجد فلا يزالون في المسجد ذكراً وتلاوة إلا لأمر لا بد منه فيعودون إلى بيوتهم.

وكان الإمام أحمد إذا دخل شهر رمضان، ترك الفتوى والمسائل وجلس يذكر الله، ويهلِّل الله، ويكبِّر الله، ويتلو آيات الله...

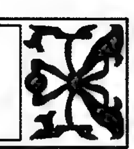
فيا أيها الأبرار الأخيار، استقبلوا هذا الشهر بخير ما يستقبل من توبة نصوح، ومن استغفار، ومن صدق لُجُوءٍ، ومن كثير دعاء، ومن تلاوة، ومن محافظة على صلاة الجمعة والجماعة، ومن نصيحة لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم، ومن صِدْقٍ مع الله تعالى.

---

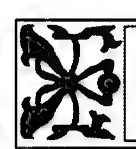
(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) حديث صحيح، هذا الحديث معروف من رواية جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة: ابن عمر أخرجه الدارمي (٣/٢، ٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٨٨٨)، والطبراني (١٣٣٠). بسند فيه ضعف.

وطلحة بن عبيدالله أخرجه أحمد (١٦٢/١)، والترمذي (٣٤٥١)، والحاكم (٢٨٥/٤) بسند يقبل التحسين. ولهما شواهد كذلك من حديث رافع؛ وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك.



كيف نستقبل رمضان..؟



الحمد لله، الحمد لله رب الأرض والسموات، رفيع الدرجات، عالِم ما تخفيه السرائر والنيَّات، المطَّلع على كل ما أخفاه العبد وهو الذي يرفع لعباده الحسنات بالحسنات ويكتب لهم السيئات سيئات.

والصلاة والسلام على خير من أفطر وصام، ونام وقام، وطاف بالبيت الحرام باني دولة الإسلام، وهادم دولة الأصنام، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام.

أما بعد، عباد الله، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

أيها الناس: أظلَّكم شهر كريم، وضَيْفٌ عظيم.

لنعش هذه اللحظات مع رسول الله ﷺ، وكيف استقبل الشهر العظيم، وكيف احتفى بالضيف الكريم، فإنه المعصوم، بأبي هو وأمي، الذي على أقواله تُقاس الأقوال، وعلى أعماله توزن الأعمال، وعلى أحواله تصحَّح الأحوال.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فلا إله إلا الله، ما أربح من اتبعه، واقتدى بسنّته واهتدى بسيرته، ولا إله إلا الله، ما أعظم خسارة من تلفظ أقواله، ولم يتبعه على منواله، ولم يقتدِ بأحواله عليه الصلاة والسلام.

كان يستقبل شهر رمضان استقبالاً حافلاً.

في الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى هلال رمضان قال: «**اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان، والسلامة والإسلام، هلال خير ورشد، ربي وربُّك الله**»[(١)].

وما أحسن نبضات التوحيد، وما أحسن لمسات العقيدة في استقبال الشهر، يوم يقول للهلال في السماء (ربي وربك الله). وكان المشركون يعبدونه من دون الله، كأنه يقول له: يا هلال أنت مخلوق كما أنا مخلوق، وربي وربك الله يا هلال، فأنت لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا رزقاً ولا تدبيراً، ولقد أخطأ خطأً عظيماً، وغلط غلطاً بيِّناً من عَبَدَك من دون الله، فربِّي وربك الله، ثم يستهل ﷺ الشهر.

ورمضان فرصة ثمينة لا تعوَّض، ولحظة من اللحظات الذهبية في حياة المسلم، يعتق الله كل ليلة مائة ألف ممن استوجبوا النار، فإذا

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه ص٨٩.

كان آخر ليلة أعتق الله بقدر ما أعتق في تلك الليالي جميعاً.

فهل بعد هذا الفضل من فضل؟

إنَّ الملوكَ إذا شابت عبيدهم في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً قد شبتُ في الرق فاعتقني من النار

يقول ابن عباس، رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[١]، والريح المرسَلة سمِّها إن شئت الصَّبَا، وسمِّها النجدية التي تهبُّ معطاءة وكريمة ورخواً، فكان المصطفى عليه الصلاة والسلام أجود الناس في رمضان.. ما سئل سؤالاً فقال لا.

ما قال لا قطُّ إلا في تشهدِهِ لولا التشهد كانت لاؤُهُ نعم

ومع ذلك إذا دخل رمضان أكثرَ من البر، من الصدقة، من المعروف، من التبسُّم في وجوه المسلمين، من الصِّلة، من الزيارة، من الرقة، من العطاء والبذل والتضحية.

فنفَسُه طيِّب، وكلامه طيِّب، وزيارته طيِّبة، وصدقته طيِّبة، صَلح ظاهراً وباطناً، وكمل سراً وجهراً، وأصبح للناس من أفضل الناس، فهو الجواد الذي لا يقاس به حاتم، وهو الشجاع الذي لا يقارن به عنترة، وهو الخطيب الذي لا يوزن معه قِسّ[٢]، فلا إله إلا الله ما أكمله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) رواه البخاري (٦) بلفظ قريب، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) قِس بن ساعدة الإيادي. كان من خطباء الجاهلية المشهورين.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والمقصود أنه في رمضان يُخَصَّص هذا الشهر لقراءة القرآن، وقد فهم هذا علماء الأمة، فعطَّلوا الفُتيا وحلقات العلم والتدريس والاتصالات الخارجية بالناس، وأخذوا المصحف يتدارسونه، يضعون دواءه على الجراحات، ويأخذون بَلْسَمه على الأمراض والأسقام فيشفيهم رب الأرض والسماء، لأن هذا القرآن شفاء، ونزل في الليل، وأتى في رمضان ليحيي الأمة الميتة التي ما عرفت الحياة، وينير بصيرة الأمة التي ما عرفت البصيرة، ويرفع رأس الأمة التي كانت في التراب.

إن البرية يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

فلما أتى عليه الصلاة والسلام قال لأمته في أول رمضان ما قاله الله تبارك وتعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»**[1]. لأنه سرٌّ بينك وبين الله، لا يطَّلع على صيامك إلا الله، ولا يعلم أنك صائم إلا الله، بإمكانك أن تأكل وراء الجدران، وأن تشرب وراء الحيطان، ولكن من الذي يعلم السر وأخفى إلا الله.

من الذي يعلم أنك أكلت أو شربت أو تمتعت إلا الله؟ هو رب الظلام ورب الضياء.

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

والصلاة تُصلَّى بمجمع من الناس، والزكاة تُزكى بمجمع من

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣) من كتاب الصيام.

الناس، والحج يُحج بمجمع من الناس، أما الصيام فيا سبحان الله! قد تختفي في الظلام وتأكل وتشرب ويظن الناس أنك صائم، ولكن الله يدري أنك لست بصائم.. هو سرٌّ بينك وبين الله «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»، ثم انظر إلى التلطف في لفظ الحديث القُدسي يوم يقول الله: «**يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، يجوع من أجلي، ويظمأ من أجلي، ويحرم نفسه التمتع من أجلي، ثم يقول الله: ولخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(١).

يوم تهب رائحة الصوم، ويتأذى منها الناس، تنبعث شذاً وعبيراً فتسبَح عبر الأثير إلى الحي القيوم، فتكون كالمسك الخالص.

كل عمل ابن آدم له الحسنة بمثلها، أو بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلا الصيام فلا يعلم ثوابه إلا الله، وخصص الله للصائمين باباً في الجنة، باباً واسعاً يدخل منه الصُوَّام يوم القيامة، يناديهم الله بصوته إذا دخلوا: كلوا يا من لم يأكلوا، واشربوا يا من لم يشربوا، وتمتعوا يا من لم يتمتعوا.

وفي الحديث عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة باباً يسمى الريَّان، يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق الباب فلا يدخل منه غيرهم**»(٢).

والصائم حبيب الله، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله باعدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»(٣).

من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين

---

(١) صحيح سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

خريفاً، فَهِمَ السلف الصالح أن الصيام في سبيل الله يعني وأنت تقاتل الأعداء، وأنت غاز في سبيل الله، وأنت تقدم روحك خالصة في سبيل الله.

ولذلك ذكر ابن كثير والذهبي وغيرهما من أهل العلم أن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه أتى معركة مؤتة يوم بايع الله على الموت، أتى وهو صائم وقُتِل قبله زيد بن حارثة وجعفر الطيَّار، ودعي إلى القتال مع غروب الشمس وهي تؤذن بالغروب وهو صائم، جائع البطن ظمآن الكبد، فقال: هلمُّوا بشيء آكله لأتجلد للقتال. والسيوف تلمع في الضياء، والرماح تتكسر على رؤوس الأبطال، وابن رواحة، رضي الله عنه وأرضاه، صائم، فلما رأى إخوانه قتلوا قال: ائتوني بعرق من لحم أتمتع به، فلما أتي له بالعرق، قال: هل غربت الشمس؟ لأنه صائم. قالوا: لا، فانتظر فلما غربت الشمس أخذ لقمة ليأكلها ولكن ما أصبح للطعام لذة، وما أصبح للشراب معنى، وما أصبح للبقية حياة، فألقى اللقمة التي في فمه، ووضعها في الأرض، وكسر غمد سيفه على ركبته، والتفت إلى السماء وهو يقول:

إن أقسمَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّة هل أنت إلا نطفة في شِنَّة

ثم قاتل حتى قُطِّع بالسيوف وهو صائم.

فانظر إلى هذه الأرواح كيف سَبحت إلى الله، وكيف هاجرَت إلى الحي القيوم.

ماذا قدَّمنا للإسلام؟ لا قيام ليل، لا جهاد، لا بذل أموال، لكن هم السلف الصالح، الذين علموا أن الصيام مدرسة روحية، وأنه حياة خالدة مع الله، فرفعوا لا إله إلا الله بالسيوف.

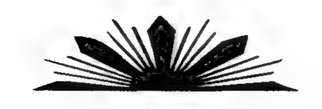
ومن الذي رفع السيوف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا

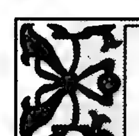
أرواحـنـا يـا رب فـوق أكـفـنـا نـرجـو ثـوابـك مـغـنـمـاً وجـوارا

فيا أيها المسلمون، يا من ولدتم على لا إله إلا الله، ويا من شبَبْتم على لا إله إلا الله، جاءكم شهر رمضان، وأصبح منكم قاب قوسين أو أدنى، فاللّهَ الله، لا يخرج رمضان منكم وقد خاب الكثير وخسر الكثير، اغتنموا أن يعتق الله رقابكم فيه من النار، وخذوه فرصة لا تعوَّض فإنه التوبة وإنه القَبول من الله، أكثروا فيه من الذكر والتهليل، والتسبيح والتحميد، وتدارسوا فيه القرآن، وأحيوا بيوتكم بآيات الله البيِّنات، واهجروا الأغاني الماجنات الخليعات السافِلات السخيفات التي أغوت القلوب عن ربها سبحانه.

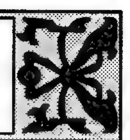
فاغتنموه أن تعتق رقابكم من النار، وأن تبيض وجوهكم يوم تعرضون على الواحد القهار؛ طوبى لبطون جاعت في سبيل الله، هنيئاً لأكباد ظمئت لمرضاة الله، هنيئاً لكم يوم أدرككم الشهر تصومونه إيماناً واحتساباً، ويباهي بكم الله الملائكة من فوق سبع سماوات، فيا أيتها الأمة الخالدة، يا أيتها الأمة التي رضي الله عنها بمحسنيها:

كفروا عن سيئاتكم في هذا الشهر، وجدِّدوا توبتكم مع الله، فحيَّاك الله يا رمضان، لتحط عنا بفضل الله كل خطيئة وخسران، ولتوردنا الحوض المورود نشرب منه بإذن الله شربة لا نظمأ بعدها أبداً.





لماذا شرع الصيام؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فلِلَّه في شرعه أسرار، وله في أحكامه حِكم، وله في خلقه مقاصد، فمن هذه الأسرار والحِكم والمقاصد ما تُدركها العقول، ومنها ما تقف عندها كالَّة، وقد أخبر سبحانه عن بعض حِكم الصيام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصوم طريق لتقوى الله عزّ وجلّ، والصائم من أقرب الناس إلى مولاه جلّت قدرته، جاع بطن الصائم فصفا قلبه، ظمئت كبد الصائم فدَمعت عينه، وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصومِ فإنه له وجاء**».

- فالصوم يضيِّق مجاري الطعام والدم، وهي مجاري الشيطان، فتقلّ وسوسته.

- والصوم يُضعف الشهوة وخَطَرات السوء وواردات المعصية، فتُشرق الرُّوح.

- والصوم يذكر الصائم بإخوانه المسلمين من الجائعين

المحتاجين والفقراء والمساكين، فيرحمهم ويعطف عليهم ويمدّ يده بالعون إليهم.

يا صَائماً تركَ الطَّعام تَعفُّفاً أضحى رفيق الجوع واللأواء
أبْشرْ بعيدكَ في القيامةِ رَحْمة محفُوفة بالبرِّ والأنداءِ

❁ والصوم مدرسة لتربية النفس، وتزكية القلب، وغضّ البصر، وحفظ الجوارح.

❁ والصوم سرٌّ بين العبد وبين المعبود سبحانه، ففي الصحيح أن الله عزّ وجلّ يقول: «**كلُّ عمل ابن آدمَ له إلاَّ الصيامَ فإنه لي وأنا أجزي به**» لأن الصوم لا يطَّلع عليه إلا الله تعالى بخلاف الصلاة والزكاة والحج.

وقد عرف السلف الصالح الصيام قربة لله عزّ وجلّ، ومضماراً للسّباق، وموسماً للخيرات، فبكُوا فرحاً لاستقباله، وبكُوا حزناً عند فراقه.

وعرف السلف الصّيام، فأحبّوا رمضان، واجتهدوا في رمضان، وبذلوا نفوسهم في رمضان، فجعلوا من لياليه قياماً، وركوعاً، وسجوداً، ودموعاً، وخشوعاً، وجعلوا من نهاره: ذكراً وتلاوةً وتعليماً، ودعوةً، ونصحاً.

وعرف السلف الصيام قرّة عين، وراحة نفس، وانشراح صدر، فربّوا أرواحهم بمقاصده، وزكّوا قلوبهم بتعاليمه، وهذّبوا نفوسهم بحكمه.

❁ كان السلف يجلسون بمصاحفهم في المساجد، يتلون ويبكون، ويحفظون ألسنتهم وأعينهم عن الحرام.

❁ الصيام يا صائمون وحدة للمسلمين، يصومون في زمن ويفطرون في زمن، جاءوا معاً، إلفة وإخاء، وحُبّ ووفاء.

❁ الصيام يا صائمون كفّارة للخطايا ومُذهب للسيئات، كما في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الصلوات الخمس، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضان، كفاراتٌ لما بينها ما لم تُؤت كبيرةٌ**».

❁ والصيام يا صائمون صحَّة للجسم، لأنه يستفرغ المواد الفاسدة، ويريح المعدة ويصفّي الدّم ويطلق عمل القلب، فتشرق به الرُّوح، وتصفو به النّفس، وتُهذّب به الأخلاق.

❁ إذا صام الصائم ذلَّت نفسه، وانكسر قلبه وخفّت مطامعه، وذهبت شهواته، ولذلك تكون دعوته مستجابة لقربه من الله عزّ وجلّ.

❁ في الصيام سرٌّ عظيمٌ، وهو امتثال عبودية الله عزّ وجلّ، والإذعان لأمره والتسليم لشرعه، وترك شهوة الطعام والشراب والجماع لمرضاته.

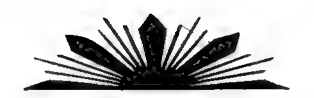
❁ والصيام انتصار للمسلم على هواه، وتفوُّق للمؤمن على نفسه، فهو نصف الصبر، ومن لم يستطع الصيام بلا عُذر فلن يقهر نفسه، ولن يَغْلِب هواه.

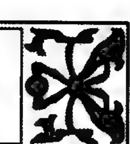
❁ والصيام تجربة هائلة للنفس، لتكون على استعداد تام لتحمل المشاق، والقيام بالمهام الجسام من جهاد، وبذل، وتضحية، وإقدام. ولذلك لما أراد طالوت أن يقاتل أعداءه ابتلى الله قوم طالوت بنهرٍ، وقال لهم طالوت: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فنجح أهل الصبر وفاز منهم من غلب هواه، وتخلّف عن الجهاد عَبَدَة الشّهوات المقهورون تحت سلطان طبائعهم.

ولعل بعض حِكَم الصوم تتلخَّص في أنه تقوى لله عزّ وجلّ، وامتثال لأمره وقهرٌ للهوَى، وانتصار على النّفس، وتهيئة للمسلم في

مواقف التضحية وضبطٌ للجوارح، وكبحٌ للشهوات، وصحةٌ للجسم، ومكفِّر للسيئات، وإلفةٌ وإخاء، وشعور بجوع الجائعين، وحاجة المحتاجين، والله أعلم.





استقبال رمضان

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فسلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته، سلام الله على تلك الأرواح الطيبة التي طالما سجدَت لله، وأبى غيرها أن يسجد، وطالما ركعت لله، وأبى غيرها أن يركع، سلام عليكم يا أيها الذين استقبلوا شهر رمضان بالصيام والقيام، وغيركم من أمم الأرض الكافرة رفضت أن تصوم لله، ورفضت أن تقوم لله، ورفضت أن تسجد لله، ورفضت أن تركع لله.

اللَّهمَّ إن ألسنتنا سبحت في علاك ورؤوسنا ما سجدت لسواك
يا من يرانا ولا نراك لا نعبد إلا إياك

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

يحييكم الله سبحانه وتعالى كما أحيا أجدادكم يوم رفعوا لا إله إلا الله على المحيطات، يوم ركبوا البحار بلا إله إلا الله، يوم امتطوا منابر الدنيا بلا إله إلا الله، فاسألوا عنَّا الدنيا واسألوا عنا البحار واسألوا

عنا المحيطات.. كانت الدنيا في وثنية وفي شرك وفي طاغوت، فلما أتى محمد ﷺ رفع رؤوس الإنسانية لتتجه إلى بارئها سبحانه وتعالى:

إن البريَّة يومَ مبعثِ أحمد ... نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من ... خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقَّع وهو قائد أمة ... جَبَتِ الكنوز فكسرت أغلالها

ألا إن باب الريان ينتظركم يا شباب الإسلام، ألا إن ثمار الجنة قد تهدَّلت وتدلَّت لتقدم إليكم موائد من موائد الرحمٰن سبحانه وتعالى.

ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يقول تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، ثم يقول: «**والصيام جنة فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[1].

فبُشْرى لكم ببشريات كثيرة:

أولها: كما ثبت عنه ﷺ أن خُلوف فم الصائم منَّا نحن المسلمين لا من غيرنا أطيبُ عند الله من ريح المسك.

وثانيها: أن تتطيب الجنان في كل يوم بزينة يعدُّها الله لأوليائه.

وثالثها: أن الحيتان في البحر تستغفر للصائم حتى يفطر.

ورابعها: أن الله يصفِّد الشياطين فلا تخلُص إلينا ولا تعبث بأفكارنا وعقولنا وقلوبنا كما كانت تفعل من قبل.

أيها الأخيار، أيها الأبرار، نحن ننتظر أو نستقبل في هذا اليوم الشهر المبارك ليكفِّر عنا ربنا سيئاتنا وخطايانا، كم أخطأنا وكم أسأنا

---

(١) صحيح سبق تخريجه.

وكم ابتعدنا، وأتينا اليوم لنقول لله: يا رب وقفنا أمامك، وعلى أعتاب أبوابك وعلى موائدك ننتظر رحمتك لا رحمة سواك، ومغفرتك لا مغفرة غافر سواك، فأنت الرحمٰن الرحيم..

وقفنا ببابك يا ذا الملك وزرنا رحابك والملك لك
أتيناك نطوي قفار السهاد وما خاب يا رب من أمَّلك

أيها الإخوة لا بد أن أتطرق معكم إلى بعض أسرار الصيام التي يجب أن نفهمها ومنها:

ألا يفهم أن الصيام جوع وعطش فحسب، لا، إن الصيام قبل أن يكون صيام بطن عن الطعام والشراب هو صيام عين، صيام هذه العين التي خلقها الله لك جميلة لترى بها وتنظر وتتدبَّر، هي تصوم كما يصوم البطن في رمضان، تصوم عن الحرام، تصوم عن نظر الفتنة، تصوم عن نظر المعصية، فإن لم تصم عينك كما يصوم بطنك عن الطعام والشراب فما صامت إذن!.

والصيام للسان، يصوم لسانك عن الغيبة والنميمة وعن الجدل وعن اللعن، نعوذ بالله من اللعن، اللعن الذي انتشر بين شبيبتنا وأجيالنا وأصبح دارجاً مألوفاً وهو من أقبح الكلمات وأفظع الجرائم التي يرتكبها اللسان.

لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً لقومٍ فقُلْ يا عين للناس أعين

وتصومُ أذنك، تصوم أذنك عن سماع الغناء الماجن الفاحش الذي دمَّر شباب الإسلام، والذي ضيَّع شباب الإسلام، والذي حبَّب الفاحشة إلى شباب الإسلام، الغناء الذي غرس الغرائز في القلوب، وأنبت الجرائم في النفوس، والخنا كذلك، تصوم أذنك فلا تستمع إلى خنا ولا غيبة ولا نميمة ولا فحشاء ولا بذاءة.

إن من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى ينعم على أهل الجنة.. إننا نتعامل بوحي سماوي لا نقول أفكاراً وخُزَعْبَلات من أفكارنا، إنها كما قال عمر: لو لم يكن هناك أخرى لكان غير ما ترون، إننا نأمل رضا الله عز وجل، فمن رضاه على المؤمنين، ومن نعيمه على المؤمنين أنه سبحانه وتعالى يسمعهم غناء في الجنة، يلذ في مسامعهم وتطرب له نفوسهم..

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإ ... نسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

وتصوم رجلك عن المشي إلى الحرام وعن كل مشوار يغضب الله مع جلساء السوء في المقاهي وفي الملاهي وفي المُتَنَزَّهات الماجنة التي ضيعت أوقاتنا، وضيعت أعمارنا وأيامنا ولياليناً، ليالينا وأيامنا التي سوف نسأل عنها أي والله أمام الله، يوقفنا الحي القيوم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

ونصون أيدينا عن البطش، وعن المهاترة، وعن الخيانة، وعن أكل المال الحرام والاختلاس والرشوة، هذا هو الصيام في الإسلام، ثم يأتي صيام البطن في الأخير، نصوم عن الطعام والشراب لنروى ونشبع عند الله عز وجل.. إن الذي لا يصبر على الصيام لا يصبر على تحمل تكاليف العبودية.. إن أجدادكم من الصحابة كانوا شبيبة لما أتى ﷺ لينير معالم الإنسانية، الواحد منهم في الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة إلى العشرين يقود الجيوش ويرتقي المنابر، ويصلح أفكار الإنسانية.

أما علمتم أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما قاد جيش رسول الله ﷺ في الردة كان عمره سبع عشرة سنة؟

هذا العمر المبارك الضخم الذي قدمه قرباناً إلى الله.

ونحن يبلغ الواحد منا الثلاثين والأربعين من عمره وهو سفيه.. سفيه في تصوراته، سفيه في اهتماماته، وسفيه في إمضاء وقته.

ولذلك لما أتت معركة أحد وشارك فيها صحابة محمد ﷺ وكلكم يعرف معركة أحد الفاصلة الكبرى المسجَّلة في خَلَدِ المسلمين إلى قيام الساعة، تقدَّم أحد رجالات شباب الإسلام، فلبس أكفانه في الصباح بعد أن اغتسل وتطيَّب وتحنَّط، اسمه: حارثة بن سراقة الأنصاري، وحضر معركة أحد وقال لأهله: أستودعكم الله الذي لا تضيَّع ودائعه.. والله لا أعود مرة ثانية إليكم.. لأنه باع نفسه كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال في فداء الصحابة وفي مجد الصحابة:

لِمعابد الإفرنج كان أذانُنا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنسَ أفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدِّم للشيوخ رؤوسنا ... لم نخشَ يوماً غاشماً جبارا
أرواحنا يا رب فوق أكفِّنا ... نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

أتى هذا الصحابي الذي ذكره ﷺ بعد أن اغتسل وتكفَّن وتطيّب في أُحد فقاتل حتى قُتل، وأتت أمه فقالت: يا رسول الله، أإبني في الجنة بعد أن قُتل فأصبر وأحتسب أم هو في غير الجنة فسوف ترى ماذا أصنع؟ فقال لها ﷺ: «**أهبلت، أجننت، إنها والذي نفسي بيده جِنان كثيرة، وإن ابنك في الفردوس الأعلى**»[1].

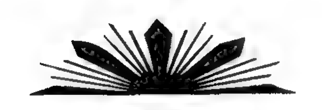
يقول ﷺ: «**إن الله جمع شهداء أُحد فقال لهم سبحانه وتعالى: تمنّوا عليَّ**»، كلمهم كفاحاً بلا تُرجمان، «**قالوا: نتمنى أن تعيدنا إلى الدنيا فنُقتل فيك ثانية. فيقول سبحانه وتعالى: إني كتبت على نفسي**

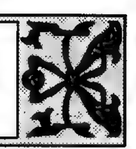
---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٢ ـ ٦٥٥٠).

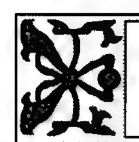
أنهم إليها لا يرجعون، فتمنوا، قالوا: نتمنى أن ترضى عنا فنحن قد رضينا عنك. فقال سبحانه وتعالى: فإني أحللت عليكم رضائي لا أسخط عليكم أبداً».

ثم جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترِدُ الجنة فتأكل من أشجارها وتشرب من مائها وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش حتى يبعث الله الناس ليوم لا ريب فيه. هؤلاء هم أجدادكم أهل التضحية وأهل الفداء وهم الذين رفعوا راية الله في المشرق والمغرب. الشاهد من هذه القصة أنْ نُخْلِصَ لله عز وجل أعمالنا، لأنه العطية يوم القيامة، والجزاء لا يعلمه إلا الله تعالى.





هديه ﷺ في الصوم(١)



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثارُ من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يُدارسه القرآن الكريم في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريحِ المرسلة، وكان أجود النّاس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن الكريم، والصلاة والذكر والاعتكاف.

وكان يخصُّ رمضان من العبادة بما لا يخصُّ غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحياناً ليوفّر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل، فيقول: «**لستُ كَهَيْئَتِكم، إنِّي أبيتُ عند ربِّي يُطعِمُني ويَسْقيني**».

والرسول ﷺ أذكرُ الذّاكرين وأعبدُ العابدين، جعل شهر رمضان موسماً للعبادة، وزمناً للذّكر والتلاوة. ليله ﷺ قيامٌ يُناجي مولاه ويضرع إلى ربِّه يسأله العون والسداد والفتح والرّشادَ، يقرأُ بالسُّور

(١) سيأتي تخريج آثار هذا الفصل في الفصول القادمة.

الطوالِ، ويُطيل الركوعَ والسجودَ، شأن النّهم الذي لا يَشْبَع من العبادة، جعل من قيامه لليل زاداً وعتاداً، وقوة وطاقة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

ونهاره عليه الصلاة والسلام: دعوة وجهاد ونُصح وتربية ووعظ وفُتيا.

۞ وكان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد.

۞ وكان عليه الصلاة والسلام يحثّ على السُّحور، فقد صحَّ عنه أنه قال: «**تَسَحَّروا فإنّ في السَّحور بركةً**». لأن وقت السَّحور مبارك، إذ هو في الثلث الأخير من الليل وقت النزولِ الإلهي، ووقت الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

ثم إن السحور عونٌ على الصِّيام والعبادة، ثم هو صَرف للنعمة في عبادة المنعِم سبحانه وتعالى.

۞ وكان عليه الصلاة والسلام فيما صحَّ عنه أمراً وفعلاً يُعجِّل الإفطار بعد غروب الشمس، فيفْطِرُ على رُطب أو تمر أو ماءٍ، لأن خالي المعدة أوفقُ شيء له الحلاوة، فكان في الرُّطب والتمر ما يوافق الصائم الجائع.

۞ وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنَّ للصائم عند فطرهِ دعوةً ما تُردُّ**»، فكان يدعو عليه الصلاة والسلام بِخيْرَي الدنيا والآخرة.

۞ وكان يُفطر ﷺ قبل أن يُصلي المغرب، ففي الصحيح

عنه ﷺ أنه قال: «**إذا أقبلَ الليلُ من هاهُنَا، وأدبرَ النهار من هاهُنا فقد أفطرَ الصائمُ**».

❁ وسافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام وأفطر، وخيّر الصحابة بين الأمرين.

❁ وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوّهم ليتقوّوا على قتاله. فقد كان يخرج ﷺ لبعض غزواته وسراياه في رمضان. بل كانت بدر الكبرى في رمضان، فنصره الله نصراً ما سمع العالم بمثله. وأفطر ﷺ في غزوتين من غزواته في رمضان، كما أخبر بذلك عمر رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد، ولم يحدِّد ﷺ تقدير المسافة التي يُفطرُ فيها الصائمُ بحدٍّ ولا صحَّ عنه في ذلك شيء.

❁ وكان من هديه ﷺ أن يُدركه الفجرُ وهو جُنبٌ من أهله، فيغتسلُ بعد الفجر ويصوم. وكان يُقبّل بعضَ أزواجه وهو صائمٌ في رمضان، وشبّه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء.

❁ وكان من هديه ﷺ إسقاط القضاء عمَّن أكل وشرب ناسياً، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه.

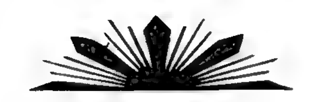
والذي صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام: أن الذي يُفطّر الصائم: الأكل والشربُ والحجامة والقيء. والقرآن الكريم دلّ على أنّ الجماع مُفطر كالأكل والشرب.

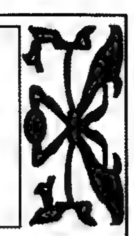
❁ واعتكف عليه الصلاة والسلام في العشر الأواخر من رمضان، فجمع قلبه مع الله تعالى، وفرّغ باله من هموم الدنيا، وسرَّح عين قلبه في ملكوت السموات والأرض، وقلّل من التقائه بالنّاس، فأكثر من التبتُّل والابتهال ودعاء ذي الجلال والإكرام.

وعكف قلبه على مُدارسة الأسماء والصفات، وعلى مطالعة الآيات البينات، والتفكر في مخلوقات ربِّ الأرض والسموات، فلا إله

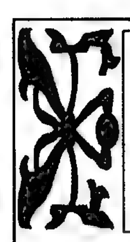
إلا الله كم من معرفة حصلت له، وكم من نور ظهر له، وكم من حقيقة ظفر بها؟

فهو أعلم الناس بالله، وأخوف الناس من الله، وأتقى الناس لله، وأبلغ توكلاً على الله، وأبذل الناس لنفسه في ذات الله! فعليه الصلاة والسلام ما تضوّع مسك وفاح، وما ترنّم حمامٌ وناح، وما شدَا بُلبلٌ وصاح.





هدي الرسول ﷺ وأصحابه في رمضان



الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، رفع الله به رؤوسنا وكانت مخفوضة، وشرح الله به صدورنا وكانت ضيقة، وأسمع به آذاننا وكانت صمَّاء، وبصَّر به عيوننا وكانت عمياء، فعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم..

أما بعد، فاعلموا بارك الله فيكم أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، هو المعصوم الذي على قوله تصحَّح الأقوال، وعلى فعله توزن الأفعال، وعلى حاله تُقاس الأحوال، فإن الله أصلحه ظاهراً وباطناً، وسراً وجهراً، ورضيه قدوة للناس ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهو عليه الصلاة والسلام معصوم، لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، وهو، بأبي وأمي، نفَسه طيب، وقوله طيب، وفعله طيب، فهو مبارك أينما حلّ وارتحل، زكَّاه الله ظاهراً وباطناً، وامتدح

أخلاقه وأفعاله وأقواله، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [طه: ٤]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].. وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

فإذا عُلم ذلك كان على المؤمن الذي أراد أن ينصح نفسه أن يتبع هذا الرسول، عليه الصلاة والسلام، وأن يقتدي بكل ما أتى عنه وصحَّ وثبت، فإنه، عليه الصلاة والسلام، قائد كل موحِّد، وكل مؤمن إلى الجنة، ومن اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير الهدي الذي أتى به فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً ولا ينظر إليه ولا يزكِّيه وله عذاب أليم.

فلا إله إلا الله، ما أعظم ربح من اتبع أقواله، واقتدى بأفعاله وسار على مِنواله، ولا إله إلا الله ما أشد خَسارة من تنكَّر لشريعته وجَحَد سنّته وخالف فعله عليه الصلاة والسلام.

إذا عُلم ذلك فإننا نريد أن نعيش معه ﷺ، في رمضان وفي غير رمضان، وإن كان للعمر مواهب، وإن كان للحياة بقية، وإن كان للأيام لذة فإنما هو في العيشة معه ﷺ.

قد لقيناك بحب مفعَم ... كل حب في سوى المولى حرام
فاغفر اللهمَّ ربي ذنبنا ... ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا ... قلق أسهرنا جنح الظلام

فلننظر إلى هديه، عليه الصلاة والسلام، وإلى هدي أصحابه الأبرار، وسلف الأمة الأخيار، كيف استقبلوا هذا الشهر، كيف صاموه وقاموه، وكيف قضوا أوقاته، وكيف عاشوا ساعاته لنكون على بصيرة، فإن بمثلهم يُقتدَى وعلى منوالهم يُحتذَى.

كان عليه الصلاة والسلام يستقبل الشهر، فعن طلحة بن عبيدالله أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى الهلال ـ وعند الترمذي هلال رمضان ـ قال: «**اللهم أهلَّه علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربُّك الله، هلال خير ورشد..**»[1].

وهذا الحديث عجيب، بحول الله عز وجل يقول للهلال ربي وربُّك الله، فأنت مخلوق كما أنا مخلوق، لأن الأهلَّة والقمر والشمس كانت تُعْبَد من دون الله، فأراد الرسول ﷺ أن يخبر الناس، ويخبر الأجيال أن الكائنات كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى، فيقول ربي وربك الله، فلا يحق لأحد أن يعبدك من دون الله، فالذي أهلَّكَ هو الله، والذي أبداك هو الله، والذي جمَّلك هو الله، والذي أبدعك هو الله، فكما أنا مخلوق لله، فأنت مخلوق لله، فأخطأ من عَبَدَكَ، أو توجَّه إليك من دون الله، وأخطأ من توجه لمخلوق من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

أنت تحس من هذا الحديث لمسات التوحيد التي أتى بها عليه الصلاة والسلام.

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما، تُرْجُمان القرآن، وحبرُ الأمة الذي عاش الآيات، وعاش الأحاديث، وعاش الإسلام كله، واستضاء بنور هذا الدين يقول: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[2].. وهذا من أحسن الكلام، فإنه قال

---

(١)(٢) سبق تخريجه.

في أوله: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، لئلا يُظَنَّ أنه إذا قال كان جواداً في رمضان أن يسكت عن غير رمضان فتدخل الظنون أنه لم يكن جواداً، وحاشا وكلاّ، بل أكرم الناس وأحلم الناس وأبرّ الناس وأوصل الناس رسول الله ﷺ، فكان أجود الناس.

ما قال لا قط إلاّ في تشهُّده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلَّم إلا حين يبتسم

فقال: كان أجود الناس ومع ذلك أجود ما يكون في رمضان.. ومتى؟ حين يلقاه جبريل، حين يلقاه أمين الوحي فيدارسه كلام الله، وكتاب الله، ومواعظ الله، في آياته سبحانه وتعالى.

(فالرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة). والريح المرسلة هي الصَّبا التي تهب من نجد فإنها مِعطاءة باردة، إذا وصف الشاعر العربي الكريم قال: هو أجود من الصبا أو أجود من الريح المرسلة.. فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.. إذن أكبر المعالم من معالم سيرته وهديه ﷺ في رمضان: الجود، والإعطاء، والإنفاق، والبذل، والهبة، والسخاء.. فهو أكبر معلم نراه في سيرته ﷺ لا يمسك شيئاً حتى الثياب والأسمال التي عليه إذا سُئل أعطاها.. ففي حديث سهل بن سعد قال: نسجت امرأة للرسول ﷺ ثوباً فلبسه محتاجاً إليه، فعرض إليه رجل فقال: يا رسول الله، أعطني هذا الثوب، فقال الصحابة لهذا الرجل: صنع الله بك وصنع، وفعل الله بك وفعل، لبسه رسول الله ﷺ محتاجاً إليه فجئت، فسألته، وهو لا يردُّ شيئاً، فلما أعطاه ﷺ، قال الرجل: أرجو أن يكون هذا الثوب كفناً لي، وأعطاه الله ما تمنَّى، وأعطاه الله ما سأل، فكان كفناً له كُفِّن فيه[١].. إذن فالرسول عليه الصلاة والسلام يوم يأتي رمضان يستقبله

---
(١) رواه البخاري (١٢٧٧ ـ ٢٠٩٣ ـ ٦٠٣٦).

بنفس مِعطاءة، لأن الجزاء من جنس العمل، فلما كان العبد سخياً كريماً جازاه الله بمثل فعله من السخاء والكرم والبذل له.

ومن المعالم الأخرى في حياته ﷺ التي تؤخذ من هذا، مصاحبته ﷺ للقرآن، وعيشه مع القرآن، وتدارسه لآيات القرآن مع جبريل عليه السلام، فهذا الشهر شهر القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فهذا الشهر هو شهر القرآن، فيوم يدخل عليه ﷺ يهيىء نفسه ويخفف من ارتباطاته ومشاغله، ليعيش تدبر القرآن وقراءة القرآن، والقرآن أخذ الحظ الأوفى من حياته عليه الصلاة والسلام.. أخذ الدقائق الغالية، والساعات الثمينة من حياته ﷺ، ولأنه معجزته الكبرى. أرسله في الدنيا معجزة لا يضاهيها أي معجزة، لأن المعجزات تنصرف في الفترات التي يتولى فيها الأنبياء، أو يموتون، كالعصا في عهد موسى انتهت بانتهائه عليه السلام، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في عهد عيسى عليه السلام انتهت بانتهائه عليه السلام..

ولكن القرآن أخذ يشق طريقه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وأخذ يثبت جدارته، ويعلن قوته، ويبدي دعوته في قوة وخلود يخاطب الأجيال.

فالرسول عليه الصلاة والسلام جعل أكبر وقت للقرآن وقت رمضان.. ولذلك سُئلت عائشة، رضي الله عنها، كما في الحديث: كيف كان خُلُقه عليه الصلاة والسلام؟ قالت: كان خُلُقه القرآن عليه أفضل الصلاة والسلام.. فهو يعيش مع القرآن أينما حلَّ وارتحل، وإذا وجد وقت راحة، وإقبال قلب، وسفر روح إلى الله، شغل هذا الوقت بالقرآن..

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه،

قال: قال لي ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**»[١]، يقول لابن مسعود أحد طلابه وتلاميذه اقرأ عليَّ القرآن، قلت: يا رسول الله، كيف أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل؟.. ما أحسن هذا الأدب، وما أجلَّ هذا الحياء، كيف أقرأ عليك القرآن وأنا تعلَّمت القرآن منك؟ قال: «**اقرأ عليَّ القرآن فإني أحب أن أسمعه من غيري**». أحب أن أتلقاه غضّاً طريّاً من غيري إذا تلي عليَّ، فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه يقرأ والرسول عليه الصلاة والسلام يُنصت، فلما بلغ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك الآن**» قال: فنظرتُ فإذا عيناه تذرفان عليه أفضل الصلاة والسلام. تأثر الحبيب بكلام حبيبه، وتذكَّر صاحب هذا الكلام سبحانه وتعالى الذي أنزله، والذي تكلَّم به من فوق سبع سماوات، فبكى عندها ﷺ.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره، أن الرسول ﷺ ربما خرج في بعض الليالي ليستمع القرآن في بيوت الأنصار، يوم كانت تُشغل بيوت الصحابة بالقرآن، يوم كانوا يعيشون ساعات الليل بالقرآن، يوم كانوا ينفقونها في تدبر آيات الله الواحد الديَّان، يوم لم يكن يشغلهم القيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة الوقت في المجريات، وفي التُّرَّهات، وفي الأغنيات، وفي السَّفاهات، يوم كانوا يعيشون لله ليلاً ونهاراً، يوم كانوا رُهباناً في الليل، فرساناً في النهار، جنوداً لرفع لا إله إلا الله يوم يحمى الوطيس.

خرج عليه الصلاة والسلام فسمع امرأة عجوزاً تقرأ سورة الغاشية، فوقف عند بابها وجعل رأسه عند الباب وهو يستمع إليها وهي تقرأ وتردد وتبكي، عجوز فأين شباب الإسلام؟ عجوز فأين فتية

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢).

الحق؟ عجوز فأين شباب الصحوة؟. هل أتاك حديث الغاشية، من هو المخاطب، هو الرسول ﷺ، يقول الله له: يا محمد، هل أتاك حديث الغاشية؟ يعني: ما أتاك يوم القيامة، إنه حديث عجيب، وإنه نبأ غريب، وإنه حدث جلَل في الدنيا فهل أتاك؟ فأخذ يبكي ويقول: نعم أتاني.. كلما قالت: هل أتاك حديث الغاشية، بكى، وقال: نعم أتاني.. إلى هذا الحد يتأثر عليه الصلاة والسلام بالقرآن.

وفي الصحيح أيضاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أبيّ بن كعب، أبي المنذر، سيد القرَّاء، رضي الله عنه وأرضاه، الذي جعل وقته لتعليم القرآن، فهو أقرأ الأمة بلا شك، فقال له ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة: ١]» الآية، فيقول أبي بن كعب في ذهول: (وسمَّاني لك؟)، أي سمَّاني الله من فوق سبع سماوات لك، كأن لسان حاله يقول: مَن أنا حتى أُسَمَّى في السموات السبع، مَنْ أنا حتى يسمِّيني الله عز وجل.

قال: «وسماني لك؟» قال: «**نعم سمَّاك لي**». فذرفت عينِ أُبيّ وأخذ يبكي تأثراً بهذا، وقرأ عليه الصلاة والسلام سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾[1] [البينة: ١].

والرسول عليه الصلاة والسلام يوم عاش مع القرآن عاش مع القرآن عملاً، عاش تدبراً واستنباطاً، يقول لأبي: يا أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فيضرب عليه الصلاة والسلام بيده اليمنى

(١) رواه البخاري (٤٩٥٩ ـ ٤٩٦٠ ـ ٤٩٦١) ومسلم (٧٩٩).

في صدر أُبي ويقول: «لِيَهْنِك العلم أبا المنذر»[١]. أي: والله ليهنك العلم الصافي، وليهنك العلم النيِّر العَذب، فإن هذا هو العلم يا أبا المنذر..

وعيشه ﷺ مع القرآن عيش تذكُّر وتدبُّر، يقول مطرف بن عبدالله بن الشخِّير كما في سنن أبي داود: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرْجَل[٢] من البكاء، والمِرْجَل هو القِدْرُ إذا استجمع غلياناً، فصدره يتخضخض من البكاء، وله صوت أَزَّة وأزيز تأثراً بكلام الله سبحانه وتعالى..

وفي حديث أبي ذر أنه ﷺ قام ليلة من الليالي يقرأ، فافتتح قوله سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فأخذ يبكي، ثم أعادها بسم الله الرحمٰن الرحيم، فأخذ يبكي، ثم أخذ يتأوَّه في النافلة ويقول: خاب من لم تدركه رحمة الله، خاب من لم تدركه رحمة الله..

نعم هذه حياته ﷺ مع القرآن، لأن القرآن وهو في رمضان أكبر مقاصده أنه كتاب هداية، ليس بكتاب طِب، ولا تاريخ، ولا جغرافيا وليس بكتاب هندسة، ولكنه كتاب هداية يقود القلوب إلى الله الواحد الأحد، فهذا مقصد القرآن، علم ذلك ﷺ من هذا الكتاب العظيم.

وعند ابن مردويه وأورده كثير من المفسِّرين في تفاسيرهم بأسانيدهم أن بلالاً رضي الله عنه وأرضاه مرَّ رسول الله ﷺ ببيته سَحَراً يؤذنه بصلاة الفجر، فسمعه يقرأ ويقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) رواه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤)، ويُنظر «صحيح أبي داود» (٧٩٩).

ـ ١٩١] الآيات.. فقال لبلال وهو يبكي: **«نزلت عليَّ آيات ويل لمن قرأها ولم يتدبر»**.

فأعظم معالم حياته ﷺ في رمضان، هذا القرآن، ولذلك يرى بعض السلف أن شهر رمضان يخصص لتدبر القرآن، ولا يشتغل بغيره مهما كان العلم فاضلاً، رأى بعضهم هذا.

وسنّته ﷺ، الاعتدال والتدبر في قراءته، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاثة أيام»**[١]، وقال لابن عمرو: **«اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»**[٢]. فالسنة قراءة القرآن في أكثر من ثلاثة أيام، كل بحسبه.

في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **«إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين»**[٣] فهي لا تؤذي في ذاك الشهر لأن الله عز وجل أكثر من التوبة على عباده، وجعله موسِماً للخيرات، ولقَبول الأعمال، وللتوبة، ورفع الدرجات، وتقديم الحسنات، فطوبى لمن أدركه رمضان، وأحسن في رمضان، وطوبى لمن أرضى الرحمٰن في شهر رمضان، وسبحان الله كم له من الأجر يوم يختم الشهر فيعتقه الله فيمن عتق..

إن الملوك إذا شابت عبيدهم   في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أَوْلى بذا كرم   قد شبتُ في الرق فأعتقني من النار

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي**

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (١٣٤٧)، بسند صحيح.
(٢) رواه البخاري (٥٠٥٤).
(٣) رواه البخاري (١٨٩٩ ـ ٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

به، **يدع طعامه وشرابه** ـ وفي رواية: **وشهوته ـ من أجلي، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصيامه، ولخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فإذا كان أحدكم صائماً فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم»**(١).

وفي لفظ في الصحيحين: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاَّ الصوم فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**»(٢).. وهو سرٌّ بين العبد وبين الله، مَن يراك إذا اختفيت خلف الجدران إلا الله، مَن يراك إذا تستَّرت بالحيطان إلا الله، مَن يراك إذا غِبت عن العيان إلا الله، بإمكانك أن تأكل في عُقر بيتك وفي قَعر منزلك ولا تراك عيون الناس، ولا تنظر إليك أبصار الناس، ولكن الذي خلق الظلام يراك..

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

والخُلوف كريح المسك عند الله، ولذلك رأى بعض الشافعية ألا يتسوَّك الصائم لأنه يُغيِّر الخلوف، ولكن الخُلوف من المعدة ليس من الفم، والسواك لا يزيدك إلاَّ طيباً، ولكن لعظيم أجرك عند الله جعل مخلَّفات جوعك أطيب عند الله سبحانه وتعالى من ريح المسك.. فدم الشهيد وخلوف فم الصائم سيّان، يفوح منهما يوم القيامة رائحة المسك، ما شاء الله وما أحسن هذا الجزاء، وما أطيب أفواه الصائمين.

وكان عليه الصلاة والسلام في رمضان يقوم الليل كغيره من الليالي لكن يجتهد في رمضان فإنه شهر الصيام والقيام.. ولذلك صحّ

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤ ـ ١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣ ـ ١٦٤) من كتاب الصيام.
(٢) يُنظر البخاري (١٨٩٤ ـ ١٩٠٤)، ومسلم (١٦٤) من كتاب الصيام.

عنه ﷺ في حديث أبي هريرة، أنه قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[1]، إيماناً أخرج: من لم يصمه إيماناً، ولم يقر بصيامه وإنما صامه عادة، واحتساباً أخرج: من صامه رياءً وسمعة. فمن صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

وكان عليه الصلاة والسلام في ليالي رمضان، إذا جَنَّ الليل قام متبتِّلاً لله سبحانه وتعالى، وما أعظم قيام الليل وخاصة في رمضان، وما أعظم السجدات وخصوصاً في رمضان، وما أحسن الوضوء وما أحسن التبتُّل والدعاء والبكاء وبالخصوص في ليالي رمضان..

قلت لليل هل بجوفك سر عامر بالحديث والأسرار
قال لم ألقَ في حياتي حديثاً كسجود الأبرار في الأسحار

وقيام الليل لما تركته الأمة الإسلامية ـ إلا من رحم الله ـ ذبل في صدورها الإيمان وضعف اليقين، وعاش جيل لكنه ليس ذاك الجيل الذي عاش مع الرسول ﷺ، جيل فيه برود وفيه تهاون وتكاسل إلا من رحم ربك، وقليل من عبادي الشكور.. فلما علم ذلك كان يمضي ﷺ ليالي رمضان متهجِّداً لله سبحانه وتعالى.. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

كما قمتَ في الليل سوف تقوم يوم القيامة، وموقفك في الليل وقيامك في الليل أشبه شيء بموقفك عند الله يوم تكون شافعاً مشفعاً بإذن الله، يوم يتخلَّى الأنبياء عن الشفاعة، وتأتي أنت على حدِّ قول الأول:

واستشفع الناس بأهل العز في إراحة العباد من ذي الموقف
وليس فيهم من رسول نالها حتى يقول المصطفى أنا لها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

فمقامك في الدنيا يوم قمت بالقرآن تقومه يوم القيامة على ملأ بين يدي الرحمٰن سبحانه وتعالى، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، كما قمت بالليل.

والذي ينبغي للمسلم الذي يريد أن ينصح نفسه أن يُكثر من تلاوة القرآن، ويُكثر من صلاة الليل، فإن هذا الشهر شهر تجديد للروح، وشهر فرصة ثمينة لا تتعوض أبد الدهر، وشهر توبة وعتق من النار.

وخيبة وندامة وهلاك وبوار لمن أدركه رمضان ولم يتب من الماضي والخسران، ولم يعتقه الله من النيران.

كان عليه الصلاة والسلام كما في الحديث عن عائشة لا يزيد في رمضان ولا في غير رمضان عن إحدى عشرة ركعة[1].. ولكن الركعة الواحدة تساوي آلاف الركعات من ركعات كثير من الناس، يقف في الركعة الواحدة أمداً طويلاً فيناجي ربه ويتدبَّر كلام مولاه، ويحيي روحه بتدبر القرآن، يبكي ويتباكى ويناجي ويسجد طويلاً ويركع طويلاً فتصبح الركعة حسنة جداً ما أحسن منها، والله يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ولم يقل أكثر عملاً.

لذلك فالتجويد في التراويح والقيام أحسن من التكثير بلا جودة، وكان الكيف أحسن من الكمِّ حتى في التلاوة، فلا يُهَذْرِم القرآن، ولا يهذي، ولا يهذر هذراً يُضَيِّع معانيه وحروفه على حساب الختم، ولكن المقصود هو التدبُّر والمعايشة للمعاني، فإن من الناس من يختم القرآن في رمضان مرة، ولكن يا لها من ختمة ما أحسنها وما أجودها وما أجلَّها وما أعظمها، شافى أمراض نفسه بكلام الله، وداوى جراحات قلبه بكلام مولاه، فكان للقرآن أثر في تلاوته.

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨).

وأناس يقرأون فيختمون كثيراً، لكن مقصودهم الأجر، فهم مأجورون، لكن غذاء الروح ومدد اليقين، وماء الإيمان، لا يحصل إلا بالتدبر ومعايشة القرآن.

كان عليه الصلاة والسلام في رمضان، يُعَجِّل الإفطار ويقول: «**أحبُّ العباد إلى الله أعجلهم فطراً**»[1] والفطر هنا تعجيله إذا غربت الشمس، كما في حديث عمر في الصحيح: «**إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**»[2]، لأن اليهود كانوا يؤخرون الفطر، فقدم ﷺ الإفطار بشرط أن تغرب الشمس، وأن يذهب النهار وأن يأتي الليل.

وكان يفطر ﷺ على رُطَبٍ، كما في حديث أنس. قال: «كان ﷺ يفطر على رُطب فإن لم يجد فعلى تُميرات، فإن لم يجد حسا ماء»[3]. ومن حديث سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليفطر أحدكم على تمر فإن لم يجد فليشرب ماء فإنه طهور**»[4].

والعجيب أن في الرطب والتمر سراً عجيباً للصائم، أورد ذلك ابن القيم في زاد المعاد. فإن القلب أو البطن إذا جاع كان أحلى شيء يوافق المعدة التمرُ، فهو حلو يوافق الجوع، وهو أحسن ما يوافق المعدة في تلك الحالة، فسبحان الله، من عَلَّمه وهداه ﷺ سواء

---

(١) رواه الترمذي (٧٠٠)، وانظر «التلخيص الحبير» (١/ ٤٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٣) حسن، أخرجه الإمام أحمد (٣/١٦٤)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٧)، من حديث أنس.
وانظر «التلخيص الحبير» (٢/٤٣٥).

(٤) صحيح، أخرجه عبدالرزاق (٧٥٨٦)، وابن أبي شيبة (٣/١٠٧)، وأحمد (٤/٢١٣)، وأبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٤)، وابن ماجه (١٦٩٩) بسند صحيح. وصححه الترمذي والحاكم والذهبي، وأبو حاتم الرازي كما في «التلخيص الحبير» (٢/٤٣٥).

السبيل، فكان طبيباً للأبدان وطبيباً للقلوب يقودها إلى الله تبارك وتعالى.

وكان عليه الصلاة والسلام يؤخِّر السحور بشرط ألا يصبح عليه الصباح، يقول عليه الصلاة والسلام: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**»[١] .. وبركة السحور تأتي في أمور ثلاثة:

١ ـ أنها إحياء لهذه السنة العامرة من الرسول عليه الصلاة والسلام، فبركة السُّنة لا يعادلها شيء. وكثير من الناس قد يترك طعام السحور وقد خالف في ذلك سنة ولو أن صومه صحيح، فالسُّنة أن تقوم فتتسحَّر بما يسَّر الله ليبارك الله في قيامك وصيامك..

٢ ـ أنها ساعة يتنزَّل الله فيها إلى سماء الدنيا فيقول: «**هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له**»[٢]. فإذا رآك الله، وأنت متسحِّر، ذاكر له، مستغفر، منيب، تائب، غفر الله لك سبحانه، وقبل دعاءك وأجاب سؤالك وتاب عليك فيمن تاب، وعتق رقبتك من النار، فهنيئاً لك بتلك الجلسة الروحية.. إنك تجلس مستغفراً في السَّحَر، فما أحسن السَّحَر، وما أطيب السَّحَر.

قام طاوس بن كَيْسان العلاَّمة الكبير، الزاهد العابد، يزور أخاً له وقت السحر فطرق عليه الباب فقال له صديقه: سبحان الله أتأتيني في هذا الوقت؟ فقال طاوس: والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن أحداً ينام في السَّحَر، يعني من المسلمين، فانظر إلى هذا من كثرة عبادته، واتصاله بالله، يستغرب أن ينام أحدٌ من الناس في السحر.

٣ ـ أن في طعام السحور إعانة لك بإذن الله على الصيام في

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١١٤٥ ـ ٦٣٢١ ـ ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

النهار وأنت تتلذذ بنعمة الله، وأنت تتناول طعام سحورك، وكأنك تقول: يا رب هذا الطعام الذي خلقته، ورزقتنيه، أتقوَّى به على طاعتك، وما أحسن الطعام إذا استُعين به على طاعتك. وما أحسن الطعام إذا استُعين به على مرضاة الله عز وجل.

وكان من هديه ﷺ في رمضان أن يُكثر من الذكر، والتبتُّل، والاستغفار، والمناجاة، والدعاء، فإنها حياة القلوب، وكان يواصل وينهىٰ الصحابة عن الوصال عليه الصلاة والسلام، فيواصِلون ويقولون: يا رسول الله إنك تُواصِل ـ أي الليل بالنهار ـ قال: «**إني لست مثلكم إن ربي يُطعمني ويسقيني**»[(١)]، وفي رواية: «**إن ربي يطعمني ويسقيني**»، أورد هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد بألفاظها..

وقد اختلف أهل العلم في هذا الطعام والشراب على قسمين:

قوم يقولون إنه طعام حسي، وماء معروف، يُسقَى به، عليه الصلاة والسلام ويأكل، وليس هذا بصحيح؛ لأنه لو كان كذلك لما كان صائماً عليه الصلاة والسلام، ولو كان كذلك لما قال إنكم لستم كهيئتي، ولو كان كذلك لما كان له مِيزة، عليه الصلاة والسلام، عليهم يوم يواصل.

والصحيح ـ وهو القول الثاني ـ أنه يُطعَم ويُسقَى بالمعارف التي تُفاضُ على قلبه من الواحد الأحد، من لذَّة المناجاة، من عُذوبة الذِّكر، من عذوبة دعائه لمولاه سبحانه وتعالى، بما يُغدِق الله على روحه، وبما يُسْدِلُ على قلبه من ذكر ودعاء وتبتُّل يشبع ويروى.. ولذلك ترى بعض الناس إذا سُرُّوا بأمر تركوا الطعام والشراب، نزلت دموع الفرحة من خدودهم..

---

(١) سبق تخريجه.

طفح السرور عليَّ حتى أنني من عُظْم ما قد سرَّني أبكاني

فبعض الناس لِوَلَهِه ولكثرة سروره وفرحه يستعيض عن الطعام. حتى قال الأول يتحدث عن لذة قلبه بقدوم قادم، أو بكلام حبيب، أو بمناجاة صاحب..

لها أحاديث من ذكراكَ تشغَلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهِكَ نورٌ يستضاءُ به ومن حديثِكَ في أعقابها حادي
إذا تشكَّتْ كِلالَ السَّير أسعفها شوقُ القدوم فتحيا عند ميعاد

فكأنه، عليه الصلاة والسلام، لفرحه بعبودية ربه، كان من أسر القوم قلباً ،ومن أشرحهم صدراً، يستعيض عن كثرة الطعام والشراب، ولذلك يقول الأندلسي أبو إسحاق لابنه في قصيدته الحارّة المبكية التي تُوجَّه إلى كل شاب:

فقوت الروح أرواح المعاني فليس بأن طعمتَ ولا شربتَ

يقول: قوت القلوب، وغذاء الروح، هي جواهر المعاني من الآيات والأحاديث وليس بأن تأكل وتشرب لأن هذا للجسم.

تفتُّ فؤادك الأيام فتًّا وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المَنون دعاءَ صدقٍ ألا يا صاح أنت مريد أنتا

إذن، كان، عليه الصلاة والسلام، يتغذَّى بالذكر، بالتهليل، بالتكبير، بالتسبيح، بالاستغفار، بكثرة الدعاء، فأدعوكم أيها الأخيار والأبرار إلى استغلال هذا الشهر بكثرة الذكر.

والظاهرة التي نسأل الله أن يبدلها، وأن يجعل مكانها خيراً ومبرَّة ورحمة: ظاهرة استغلال النهار بالنوم فإنها وُجدَت عند الصالحين بكثرة، تجد الصالح من الصائمين يقضي ساعات يومه في النوم، فما كأنه وجد للجوع حرارة، ولا وجد للظمأ مشقة، ولا وجد لمعاناة

العبادة كلفة، فأي حياة هذه الحياة في رمضان؟ إذا نام من الصباح إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى الغروب، ثم أمضى الليل في السهر.

وظاهرة تغيير برنامج المسلم في رمضان ليست بمحمودة، بل على المسلم أن يكون على وتيرته، وما هو الداعي إلى أن يغير وقته لهذا الوقت فيجعل وقت المناجاة، ووقت الذكر، ووقت حرارة الجوع ومشقة الظمأ، يجعله رُقاداً ونُعاساً ونوماً.

فأين معنى الصيام؟

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].. فمقاصد الصيام أعظمها التقوى، والتقوى هي أن تعيش ساعات الصيام ودقائق الصيام للتعامل معه، فما الفرق بين المفطِر الذي ينام النهار جميعاً وبين الصائم الذي ينام النهار جميعاً؟.

❁ فوائد الصيام:

١ - تقوى الله عز وجل، فإنه ختم الآية فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. فالصيام سببٌ للتقوى، فهو يكسر قلبك عن المعاصي، ويرد جماحَ روحِك عن الذنوب، ويأخذ بزِمام نفسك عن الخطايا والمخالفات.. ولذلك دعا ﷺ الشباب إلى الزواج، ففي السنة من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء**»[1].. فجعل ﷺ الصوم يقوم مقام الزواج لأنه يكسر النفس ويردها.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

٢ ـ يُفَرغ الأوقات للعبادة، فإن الواجبات قد تأخذ كثيراً من أوقات العبادة. وهل أخذ أوقاتنا، وضيع ساعاتنا، إلا كثرة الأكل والشرب؟ إننا نجلس في شرب الشاي والمشروبات، والمرطِّبات ساعات طويلة تكفي مثل ابن تيمية وابن القيم إلى أن يؤلفوا رسائل في خدمة الإسلام وكتباً في رفع راية هذا الدين، ولذلك يقولون عن ابن تيمية أنه ألّف كتاب التدمرية من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وهو الكتاب المقرَّر اليوم في الكليات سنة كاملة، وما فهمها كثير من الطلاب بل رسبوا في التدمرية لأنها تدمِّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم!.

فهذا الوقت يمكن أن يُستغَل في مرضاة الله عز وجل، وفي تلاوة كتابه والاستغفار.

٣ ـ أن فيه حياة للقلب، فإن القلب قد يموت بكثرة المباحات من مأكولات، ومشروبات، ومسكونات، وملبوسات، فكلما أكثرتَ على القلب من هذه الأمور قتلتَه وأمَتَّه.

بعض الناس يظن أن حياة القلب أن تُكثِر من الأكل والشراب وهذا ليس بصحيح، فالقلب، أو الروح إنما أتيا نفحة من الله عز وجل، كلَّما أقللت من علائقها من الأرض. والتراب هاجرت إلى الله سبحانه وتعالى.

٤ ـ ومن فوائد الصيام أيضاً أنه يذكِّرك بالبطون الجائعة من الفقراء المساكين، فيجعلك تعيش آلامهم، وآمالهم، وتعيش ما يعيشونه، وتذوق ما يذوقونه، وتحيا ما يحيونه فتعيش تلك الساعات المريرة التي يعيشونها.

وكان من هديه ﷺ الاعتكاف في رمضان، والاعتكاف سُنَّة من أحسن السنن، وقد عُطِّل إلا في بعض الأماكن، ومن بعض الأشخاص، وهو من أحسن ما يمكن أن يربَّى به القلب، يوم تتفرغ من

الناس ومن كلام الناس، ومن الاتصال بالناس، لتتصلَ بربِّ الناس، ملكِ الناس، إله الناس.. وهل أحسن من هذا؟ كان هديه ﷺ ذلك..

وكان هديه ﷺ في رمضان أنه يبشِّر به الأمة الإسلامية الخالدة أمة لا إله إلا الله، أمة الرسالة..

إن الله عز وجل يُعتق في كل ليلة من ليالي رمضان مائة ألف، وأما في آخر ليلة فيعتق بقدر ما أعتق في كل ليلة مرَّت..

فهل بعد هذا من بُشرى للأمة؟ إنها مبشرات أو بشريات ليست بشرى واحدة، وإنها مَكرُمات ليست مَكْرُمة واحدة، وإنها أُعطِيات ليست أُعطية واحدة..

وكان، عليه الصلاة والسلام، في رمضان يقوم الليل، كما أسلفت، وربما قام الناس معه جماعة، وربما ترك، عليه الصلاة والسلام، الجماعة وصلَّى وحده، ولذلك أتى عمر رضي الله عنه فجمع الناس في صلاة التراويح.

والصيام من أعظم ما يُربي العبد على الصبر، ومن أعظم ما يقود روحه إلى مولاه تبارك وتعالى.. ولذلك في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلاَّ باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»**(١).

يوماً واحداً في سبيل الله!

ما معنى في سبيل الله؟

قال أهل العلم: في الغزو في سبيل الله، في مقاتلة الأعداء، أنت مقاتل وأنت صائم، فقولوا لي، بالله، يا أيها الجيل، يا أيها

---

(١) سبق تخريجه.

الأخيار، من منا أكثر من الصيام، وهو ليس في سبيل الله، بل تحت الظل، ومع الماء البارد.. وتحت المشهّيات، ومع كل ما لذّ وطاب، صحابة الرسول ﷺ يصومون، والقنا على رؤوسهم، والسيوف تتحاك على آذانهم، والرماح تتشاجر بين وجوههم، ومع ذلك يصومون.

ذكر أهل التراجم عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه أنه لما حضر معركة مؤتة كان صائماً وهو قائد من قواد معركة مؤتة فحضر المعركة وكان هو القائد الثالث، فلما قُتِل القائدان زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب دعا إلى أخذ الراية، رضي الله عنه وأرضاه، وسبق له قبل سنوات أن بايع في صكٍّ وقَّع عليه محمد، عليه الصلاة والسلام، هذا العقد أتى من رب العالمين، وأملاه سبحانه وتعالى ووقّع عليه رسوله ﷺ على أن السِّلعة الجنة، وعلى أن الثمن أرواح المؤمنين، فكان ابن رواحة من المبايعين، يوم قال للرسول عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله ـ يوم بيعة العقبة ـ ماذا تريد منا؟ قال: **«أن تحموني مما تحمون منه نساءكم وأطفالكم وأموالكم»**.

قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: **«لكم الجنة»** قال: رَبِحَ البيع لا نقيل ولا نستقيل[١].

والبيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإذا تفرَّقا فقد وجب البيع!

فتفرَّق ابن رواحة من هذا المجلس، أو قام على هذا البيع، فلم يكن له حق أن يقيل أو يستقيل، وحضر في مؤتة، وهو صائم، ودعا مع الغروب، والشمس تميل إلى الغروب، وتأذن بالأفول، وهو جائع، وهو في شدَّة الحرب، والسيوف أمامه، والقتلى حوله، فقال: ائتوني بعرق لحم لعلي أسُدُّ به جَوْعتي، فأتوا له بقطعة من اللحم، وهو صائم على فرسه، فنظر إلى الشمس حتى في هذه الساعة الحرِجة،

---

(١) يُنظر المسند للإمام أحمد (٢: ٣٢٢ ـ ٣٢٣) و(٣٣٩ ـ ٣٤٠).

والأرواح تتطاير، والنفوس تسافر، واللحوم تمزق، والرؤوس تضرب في الأرض، يتحرَّى غروب الشمس.

قال: أغربت الشمس؟ قالوا: نعم غربت، فأخذ لقمة وقال: «بسم الله، اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»، فأتى ليأكلها، وقد دعي ليقود المعركة، ويُسيِّر دفتها، وليدير كؤوس الموت على رؤوس الأعداء، فأكل مضغة فأتى يمضغها، ولكن ما كان لها مذاق، ذهب طعم الطعام، وذهبت لذة الشراب، وذهبت بقية الحياة، ما أصبح للطعام لذة، وما أصبح للشراب معنى. كيف يكون له معنى، وقد قتل زيد، وجعفر، والأحباب والأخيار؟ وقد أصبحت الخيل تدوسهم بالسنابك؟

فلفظها من فمِه، وأخذ جَفنة السيف، فكسرها على ركبته، وقال وهو ينشد نشيد المعركة، وقصيدة الفداء، وأنشودة التضحية:

أقسمت يا نفسي لتنزلنه إن أقسم الناس وشدُّوا الرنَّة
ما لي أراك تكرهين الجنة هل أنت إلا نطفة في شنة؟

ثم خاض غمار المعركة وما أتى عليه الغروب إلا وهو في روضة من رياض الجنة.. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

رضي الله عنكم يا من رفعتم راية الإسلام على الجوع، ورضي الله عنكم يا من بذلتم الجهد والمشقة وأنتم جَوْعَى في سبيل الله.

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا
أرواحنا يا رب فوق أكفنا نرجو ثوابك مغنماً وجِوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها كنزاً وصاغ الحليّ والدينارا

وفي حديث أبي الدرداء قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ حتى كنا في أشد الحر، فكان الواحد منا يتقي حرَّ الشمس بكفِّه وما منا صائم إلا رسول الله ﷺ وابن رواحة[١].

فانظر إليه في السفر، وفي القتال، كيف يصوم؟ كيف يتربَّى.

ذكر أهل السير في ترجمة رَوْح بن زمباع وهو أمير أموي أنه مرَّ بالصحراء وهو معتَمِر، وكانت له سُفرة كبيرة فيها لحوم، ودجاج، وفواكه، وخضروات، ومشروبات، ومرطِّبات، فمرَّ بأعرابي، والأعرابيُّ يرعى غنماً، فقال له رَوْحُ بن زمباع: تعال أيها الأعرابي كُلْ معي من الغداء.

فقال الأعرابي: لقد دعاني إلى مأدُبته من هو أكرم منك.

قال: ومَن هذا؟

قال: الله رب العالمين.

قال: بماذا؟

قال: أنا صمتُ، وسوف أفطر له.

قال رَوح: أفطر اليوم، وصم غداً.

فقال الأعرابي: وهل تضمن لي أيامي يا أيها الأمير؟

فبكى الأمير وقال: حفظتَ أيامك، وضيَّعنا أيامنا.

فالعبادة كل العبادة أن تكون في سبيل الله عز وجل، وأن تكون لوجهه، وأن تجد المشقة في سبيله سبحانه وتعالى، حينها لا تجد للتعب في نفسك كُلفة، ولا تجد للجوع ولا للظمأ مشقة..

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكمُ ألم

عاش الصحابة، وعاش السلف الصالح دقائق رمضان توجهاً وجهاداً، وخدمة في سبيل الله، ولذلك كما تعلمون فإن أعظم معارك الإسلام كانت في رمضان، فبَدْرُ كانت في رمضان، وفتح مكة في رمضان، وحطين في رمضان، وعين جالوت في رمضان، ومعارك (لا إله إلا الله) في رمضان.

إذن كانت الانتصارات الرائعة في هذا الشهر يوم نزل القرآن فيه ليحيي الأمة الميتة، الأمة التي ما عرفت إلا التقاتل على موارد الشياه والإبل والبقر، الأمة التي ما عرفت الحضارة، ولا الثقافة، الأمة التي بقيت في الجهل آلاف السنوات.

نزل القرآن ليقول لها استفيقي، انظري إلى السماء، أنقذي البشرية بلا إله إلا الله، ولا يردها إلى الله، إلا القرآن، ورمضان، ولا تقبل على الله إلا بالقرآن ورمضان.

فيا أيها الأخيار، يا من شابت لحيته في الإسلام: هذا شهرك، وكأنه الأخير من شهورك، فاجعله خاتمة مطافك مع الله، ويا أيها الشباب الذي أقبل تائباً إلى الله، هذا كأنه شهرك شهر التوبة، والإقبال، فاغتنمه إلى الله، ويا أيها المسيء، الذي أكثر من العصيان، اليوم فرصتك الذهبية، ويومك الثمين، وعيد ميلادك يوم أن تولد في التوبة ميلاداً ثانياً، لأن الكافر يموت مرتين، والمؤمن يحيا مرتين.

الكافر يموت يوم أن يكتب الله عليه الميتة، ويموت قبلها يوم أن تموت روحه عن لا إله إلا الله، وتموت نفسه عن مبادىء لا إله إلا الله، ويموت ضميره عن لا إله إلا الله.

والمؤمن يولد ميلادين، ويحيا حياتين: الحياة الأولى يوم أن تحيا

بالإسلام، ويوم أن يتوب الله عليك، فإن كثيراً من الناس أحياء وليسوا بأحياء، يأكلون ويشربون ولكنهم ليسوا بأحياء.

الحياة أن يسافر قلبك إلى الله، والحياة أن تعيش مع الله، والحياة أن تقضي عمرك في عبادة الله.

قال سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والحياة الثانية يوم أن تأتي بك أمك فتقع على الأرض وأنت على الفطرة.

ولدتك أمك باكياً مستصرخاً — والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكونَ إذا بكَوْا — في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

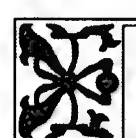
أقبل رمضان، فرحِّبوا بهذا الشهر الكريم، وأعيدوا معي:

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام — يا حبيباً زارنا في كل عام..

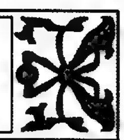
وأسأل الله عز وجل أن يتقبَّل منّا صالح الأعمال، وأن يتجاوز عنا سيئاتها، وأن يجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم، وأن يجعلنا ممن مَنَّ عليهم بالتوبة، وممن جعلهم من وُرَّاث الجنة، وممن تاب عليهم بهذا الشهر، وممن ختم لهم بحسن، وممن صامه وقامه إيماناً واحتساباً..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.





كيف يصوم القلب؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وهداية القلب أساس كل هداية، ومبدأ كل توفيق، وأصل كل عمر، ورأس كل فعل.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ألا وإنّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب»**[1].

فصلاح قلبك سعادتك في الدنيا والآخرة، وفساده هلاك محقّق لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧] ولكل مخلوق قلب، ولكنهما قلبان، قلبٌ حيٌّ نابضٌ بالنور، مشرق بالإيمان، ممتلىء باليقين، عامر بالتقوى، وقلب ميّت، مندثرٌ، سقيمٌ فيه كل خراب ودمار.

يقول سبحانه وتعالى عن قلوب المعرِضين اللاهين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة: ٨٨]، وقال سبحانه:

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال عنهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥].

فالقلوب تمرض ويطبع عليها، وتُقفل وتموت.

إن قلوب أعداء الله عز وجل معهم في صدورهم، ولكن لهم قلوب لا يفقهون بها، لذلك كان يقول ﷺ كما صحَّ عنه: «**يا مُقلِّبَ القلوب ثبِّتْ قلبي على دينكَ**»[1].

قلب المؤمن يصوم في رمضان وغيره، وصيام القلب يكون بتفريغه من المادة الفاسدة من شركيات مهلكة، ومن اعتقاد باطل، ومن وساوس سيئة، ومن نوايا خبيثة، ومن خَطَرات موحشة.

قلب المؤمن عامر بحبِّ الله، يعرف ربه بأسمائه وصفاته، كما وصف سبحانه وتعالى نفسه، فهذا القلب يطالع بعين البصيرة سطور الأسماء والصفات، وصفحات صنع الله في الكائنات، ودفاتر إبداع الله في المخلوقات.

وكِتابُ الفَضاءِ أقرأُ فيهِ صوراً ما قرأتُها في كِتابِ

قلب المؤمن فيه نورٌ وهّاجٌ لا تبقى معه ظلمة، نور الرسالة الخالدة، والتعاليم السماوية، والتشريع الرباني، يُضاف هذا إلى نور الفطرة التي فطر الله عليها العبد، فيجتمع نوران عظيمان، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قلب المؤمن يزهر كالمصباح، ويضيء كالشمس، ويلمع كالفجر،

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، والنسائي كما في التحفة (٩/ ٦١)، وابن ماجه (١٩٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩)، والحاكم (١/ ٥٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٨٩) من حديث النواس بن سمعان، وصححه البوصيري والحاكم والذهبي وفي الباب: عن عائشة، وأنس، وأم سلمة، وسبرة بن الفاكه، وأبي هريرة.

يزداد قلب المؤمن من سماع الآيات إيماناً، ومن التفكر يقيناً، ومن الاعتبار هداية.

قلب المؤمن يصومُ عن الكِبْر لأنهُ يفطّر القلب، فلا يسكن الكِبْر قلب المؤمن لأنه الحرام، والكِبْر خيمته ورواقه ومنزله في القلب، فإذا سكن الكِبْر في القلب أصبح صاحب هذا القلب مريضاً سفيهاً، وسقيماً أحمق، ومعتوهاً لعّاباً.

يقول سبحانه كما في صحيح الحديث القدسي: **«الكِبْرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، من نازعَني فيهما عذَّبته»**[1].

وقلب المؤمن يصوم عن العُجب، والعُجب تصور الإنسان كمال نفسه، وأنه أفضل من غيره، وأن عنده من المحاسن ما ليس عند الآخرين، وهذا هو الهلاك بعينه. صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ثلاثٌ مهلكاتٌ: إعجابُ المرءِ بنفسه، وشُحٌّ مطاعٌ، وهوىً مُتبعٌ»**[2].

ودواء هذا العجب النظر إلى عيب النفس، وكثرة التقصير، وآلاف السيئات والخطايا التي فعلها العبد، واقترفها ثم نسيها، وعِلْمُها عند ربي في كتاب لا يَضِلُّ ربي ولا يَنْسى.

وقلب المؤمن يصوم عن الحسد، لأن الحسد يحبط الأعمال الصالحة، ويطفىء نور القلب، ويُعطّل سيره إلى الله تعالى.

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢/٣٧٦). وأبو داود (٤٠٩٠).

(٢) حسن، رواه البزّار كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١:٩١) وذكر أن في السند محمد بن عون الخراساني، وهو ضعيف جداً.
ورواه العقيلي، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»، وأبو مسلم الكاتب في «الأمالي»، وأبو نُعَيم في «الحلية»، والهروي في «ذم الكلام»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢).

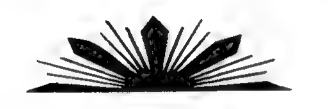
يقول سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

ويقول ﷺ: «**لا تحاسدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَناجشُوا، ولا يبغ بعضُكم على بيع بعضٍ**»[١].

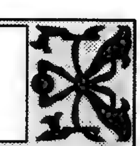
أخبر ﷺ ثلاث مرات عن رجل من أصحابه أنه من أهل الجنة، فلما سُئل ذاك الرجل بمَ تدخل الجنة؟ قال: لا أنام وفي قلبي حسدٌ أو حقدٌ أو غشٌ على مسلم. فهل من قلب يصوم صيام العارفين:

صيام العَارفينَ له حنينٌ إلى الرّحمنِ ربّ العالمينَا
تصومُ قلُوبُهم في كلّ وقتٍ وبالأسحارِ هم يَسْتغفرونا

اللهم اهدِ قلوبنا إلى صراطك المستقيم، وثبِّتها على الإيمان يا رب العالمين.



(١) رواه البخاري (٦٠٦٤). ومسلم (٢٥٥٩ ـ ٢٥٦٣).



كيف يصوم اللسان؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

للِّسان صيامٌ خاصٌ يعرفه الذين هم عن اللَّغو مُعرضون، وصيام اللسان دائم في رمضان، وفي غير رمضان، ولكن اللسان في رمضان يتهذب ويتأدّب.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه: «**كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه**» فقال معاذ: أوَ إنا لمؤاخذون بما نتكلَّم به يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**ثَكِلتْكَ أمُّك يا معاذُ، وهل يَكُب الناس في النّار على وجوههم إلاّ حصائدُ ألسِنَتِهِم**»[1].

ضرر اللسان عظيم وخطره جسيم.

اللسان سبع ضار، وثعبان ينهش، ونار تتلهَّبُ.

لسانُكَ لا تذْكُر به عورة امرئٍ فكلُّكَ عوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

هذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول للسانه: يا لسان قُلْ خيراً تَغْنَمْ أو اسكُت عن شرٍّ تسلم. رحم الله مسلماً حبس لسانه عِن الخَنَا، وقيَّده عن الغيبة، ومنعه من اللّغو، وحبسه عن الحرام.

---

(١) صحيح، سبق تخريجه.

رحم الله من حاسب ألفاظه، ورعى ألحاظه، وأدَّب منطقه، ووزن كلامه.

يقول تبارك اسمه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، فكل لفظة محفوظة، وكل كلمة محسوبة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من يَضْمَنْ لي ما بين لحيَيْهِ وما بين فَخْذَيْه أضمن له الجنةَ»**[١].

احذرْ لسانَك أيها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنه ثُعبانُ
والله إنَّ الموت زلةُ لفظةٍ ... فيها الهلاكُ وكلُّها خُسرانُ

لما تأدَّب السلف الصالح بأدب الكتاب والسنة، وزنوا ألفاظهم واحترموا كلامهم، فكان نطقهم ذكراً، ونظرهم عبراً، وصمتهم فكراً.

ولمّا خاف الأبرار من لقاء الواحد القهار، أعملوا الألسنة في ذكره وشكره، وكفُّوا عن الخَنَا والبذاء والهُراءِ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله ما في الأرض أحقُّ بطولِ حبسٍ من لسانٍ». يريد الصّالحون الكلام فيذكرون تبعاته وعقوباته ونتائجه فيصمتون.

كيف يصوم من أطلق للسانه العنان؟ كيف يصوم من لعب به لسانه وخدعه كلامه وغرَّه منطقه؟ كيف يصوم من كذب واغتاب، وأكثر الشتم والسُّباب ونسي يوم الحساب؟ كيف يصوم من شهد الزور ولم يكفَّ عن المسلمين الشرور؟

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانه**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

ويدهِ»[(١)]. وهل الإسلام إلا عمل وتطبيق، ومنهج وانقياد، وسلوك وامتثال.

يقول جلَّ اسمه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، والتي هي أحسن هي اللفظ المؤدب الجميل البديع الذي لا يجرح هيئةً، ولا شخصاً، ولا عِرْضَ مسلم، ولا ينال من كرامة المؤمن.

يقول عزّ من قائل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

كم من صائم أفسد صومه يوم فسد لسانه، وساء منطقه، واختلَّ لفظه؟

ليس المقصود من الصيام: الجوع والظمأ، بل التهذيب والتأديب.

في اللسان أكثر من عشرة أمراض إذا لم يُتحكَّم فيه.

من عيوبه: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبذاء، والسبّ، والفُحش، والزُّور، واللّعن، والسخرية، والاستهزاء، وغيرها.

ربَّ كلمة هوى بها صاحبها في النار على وجهه، أطلقها بلا عنان، وسرَّحها بلا زمام، وأرسلها بلا خِطام.

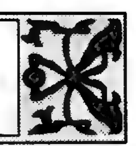
اللسان طريق للخير، وسبيل للشر، فيا لقرّة عين من ذكر الله به واستغفر، وحمد، وسبّح، وشكر، وتاب. ويا لخيبة من هتك به الأعراض، وجرح به الحرمات، وثلم به القيم.

يا أيها الصائمون، رطبوا ألسنتكم بالذكر، وهذِّبوها بالتقوى، وطهّروها من المعاصي.

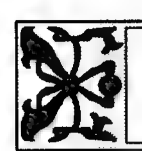
اللهم إنا نسألك ألسنةً صادقة، وقلوباً سليمة، وأخلاقاً مستقيمة.

---

(١) رواه البخاري (١٠ ـ ٦٤٨٤)، ومسلم (٤١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.



كيف تصوم العين؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

وللعين أيضاً صيام، وأي صيام!

صيام العين: غضُّها عن الحرام، وإغماضُها عن الفحشاء، وإغلاقها عن المناهي.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

العين منفذ للقلب وباب للروح، فإما أن يدخل منه على الخيرات، أو الطيبات، أو يعذبه على المنكرات.

وأنا الذي جلبَ المنيةَ طرفُهُ فَمن المُطالبُ والقتيلُ القاتلُ

قال رسول الله ﷺ: **«غُضَّ البصر»**(١).

من لم يحبس نظره أصيب بأربع مصائب:

أولها: تشتت القلب في كل واد، وتمزقه في كل أرضٍ، فلا يقرُّ

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري.

له قرار، ولا يهدأ له بال، ولا يجتمع له شمل، فهو مطعون يئن ويشكو من فعل العين بسبب نظراتها وتلفتاتها.

ثانيها: إتعاب النفس وتعذيبها بفقد ما نظرت إليه وعدم تحصيله، فالنفس من فعل العين في حسرة وفي همٍّ واضطراب.

وكنت متى أرسلت طرْفكَ رائداً إلى كلِّ عين أتعبتْكَ المناظِرُ
أصَبْتَ الذي لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرُ

ثالثها: ذهاب العبادة، وحلاوة الطاعة، بإطلاق النظر.

ولا يجدُ ذوقَ الإيمان واليقين إلا من غضّ بصره، وأطبق أجفان عينيه.

رابعها: ذنب عظيم، وإثم كبير جزاءً وفاقاً لما فعلت العين بالأعراض، ولما هتكت من المحارم، وما وقع ساقط في الفاحشة إلا بعد إطلاق النظر، وضياع البصر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وجزاء من غضَّ بصره عن الحرام أن يبدله الله تعالى إيماناً يجد حلاوته في صدره.

قالوا عن العين: هي رائد إذا أُرسل صادَ، وإذا انقيدَ انقادَ، وإذا أُطلق وقع بالقلب الفساد.

وقالوا عن العين: إذا أقلت حبلها أوبقتك، وإذا أطلقت قيدها عذَّبتك.

قال شاه الكرماني: من غضَّ بصره عن الحرام وعَمَر باطنه بالتقوى، وظاهره باتباع السنة، لم تخطىء له فراسة. وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥].

في غض البصر وحبس العين خمس كرامات ومنافع:

أولها: طاعة المولى جلَّت قدرته في أمره بغض البصر، وحسبك بهذه نعمة وعزة في الدنيا والآخرة.

ثانيها: سلامة القلب، وعماره، وجمع شمله، وراحته، واطمئنانه وسروره، وفرحه.

ثالثها: البعد عن الفتن، والأمان من البلايا، والتحرُّز من الخطايا.

رابعها: الفتح على العبد من الله تعالى بالعلم، والمعرفة، والتوفيق، والسداد جزاء تقواه.

خامسها: فُرقان من الله تعالى في قلوب العارفين، ونور من الباري في نفوس الصادقين يعطيه تبارك اسمه لمن غضَّ بصره.

إذا دخل رمضان طلب من العين أن تصوم طاعة للحي القيوم، فكم للجوع من فضل على العين.

جَزَى الله المَسِيرَ إليك خيراً وإنْ تركَ المطَايَا كالمزادِ

الجوع يكسر جموح العين، ويحبس خطاها، ويقيِّد مداها.

الجوع يضعف شهوة النظر، ويطفىء حرارة البصر.

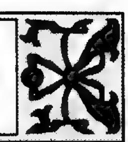
لما أطلق العابثون أبصارهم، وطفحُوا بأعينهم، وقعُوا في براثن المعصية، وفي أحابيل الفاحشة.

ومن الناس من يصوم بطنه عن الشراب والطعام، وترتع عينه في خمائل الحرام، فهذا الصائم ما عرف حقيقة الصيام.

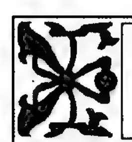
فلتصم عيوننا، يا عباد الله، عن الحرام كما صمنا عن الشراب والطعام، لعلّ قلوبنا أن تَصِحَّ وأرواحنا أن ترتاح.

قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ١٣].

سلام على من صامت عيناه لمرضاة ربه ورحمة الله وبركاته.



كيف تصوم الأذن؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يقول عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الأذن مسؤولة أمام الله عز وجل عمَّا استمعت إليه، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويا لندامة من صرف سمعه عن الهدى، وأغلق أذنه عن صوت الحق.

الأذن تصوم عن سماع الخنا، والغناء، وعن الفحش، والبذاء. وللأبرار صيام عظيم عن سماع ما يغضب الله عز وجل في رمضان وغيره.

كثير من البشر عطّلوا ما منَّ الله تعالى عليهم به من أعضاء، يقول عنهم سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نعم لهم آذانٌ، ولكن لا يسمعون سماع موعظة، وسماع تدبر وفَهم، سماع كثير من الناس كسماع الأنعام تماماً لا ذكرى ولا اعتبار، لا نفع ولا فائدة. قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

من الناس من ملأ أذنيه من النغمة المحرّمة والكلمة الآثمة، والمجون الأثيم، وحجب عن أذنيه سماع القرآن الكريم، ذلك السماع الشرعي السنيّ النبويّ العظيم.

سماع القرآن الكريم الذي يثمر الإيمان، والهدى، والنور، والفلاح.

سماع القرآن الكريم الذي يملأ القلب حكمة، وسكينة، وأُنساً، وطمأنينة.

سماع القرآن الكريم حرز من الواردات المنحرفة، والوساوس الخطيرة، والخطرات الآثمة.

قوت الأذن: الذكر، والعلم النافع، والموعظة الحسنة، والأدب الجم، ودُرر المعارف ومحاسن القول.

يا أذنُ لا تَسمَعِي غيرَ الهُدى أبداً   إنّ استماعَك للأوزار أوزارُ

عن أبي حاتم بسند جيد أنه ﷺ مرّ على عجوز في المدينة فسمعها تقرأ من وراء بابها ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية: ١] وهي ترددها وتبكي، فأخذ ﷺ يسمع لقراءتها ويردّد: «**نعم أتاني نعم أتاني**»[1].

مدح الله قوماً بجودة السماع، وحسن الاستماع فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المائدة: ٨٣].

فهؤلاء استفادوا أعظم فائدة، واستمعوا أحسن سماع.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤:٥٣٦)، [أو ٤:٥٠٢ من طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ، المصوَّرة].

آذان الصائمين عاكفة على سماع الجميل، وآذان اللاهين مصغية للباطل الدخيل:

لا تَستمِعْ إلاّ لقولٍ صادقٍ يُغنِيك عن خَطَلٍ من الأقوالِ
فالأذنُ نافذةُ العلومِ وخيرهَا أذنٌ وعتْ ذكراً تلاهُ التَّالي

إذا سمحت أذنُ المسلم للكلمة الآثمة بالدخول أخربتْ بيت القلب، وهدَّمت قصرَ الإرادة، وأفسدت بستان المعارف.

انظر إلى صنفين، وفريقين، وطائفتين، وصفهما رب العزة فقال:

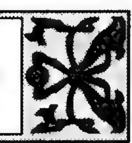
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

سماع الحق يزيد القلب ثباتاً على الحق، وسماع الباطل يورث في القلب آثار الباطل.

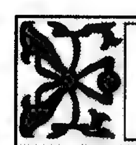
إن من واجب المسلم أن يحمد الله على نعمة السمع، وأن يصرفها في مرضاة ربه تبارك وتعالى فيزداد من سماع القرآن الكريم، ودروس العلم، والمحاضرات النافعة، والحكم البالغة.

وينقذ أذنه من سماع الإثم، والإصغاء إلى الفحش، وكل ما يصد عن سبيل الله، يقول تبارك وتعالى عن عباده الصالحين: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.



كيف يصوم البطن؟



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فحل الطعام وحُرمته له أثره على حياة الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى رسله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال سبحانه للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

والطيِّبات هي: ما أحلَّه الله عز وجل لعباده المؤمنين على لسان رسول الله ﷺ، فالله يقول عنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وصيام البطن: اجتنابه للحرام، زيادة عن اجتنابه الطعام والشراب، وكل ما يُفطر في نهار رمضان، لكنه يصوم أيضاً عن الحرام عند إفطاره، فلا يأكل الرِّبا، إذ أنه بأكله الربا يغضب المولى تبارك وتعالى. يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

صحّ عنه ﷺ أنه قال: **«لعنَ الله آكل الرِّبا ومُوكله وكاتبه**

وشاهدَيه» وقال: «**هم سواءٌ**»[١].

آكل الرّبا يضحك على نفسه، يملأ بطنه من الحرام، ويدعو ربه، وقد سدَّ طرق الإجابة وأغلق باب القَبول.

صحَّ عنه ﷺ أنه ذكر الرجل أشعثَ أغبر يُطيل السّفر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب.. يا رب، ومَطعمُه حرامٌ، ومشربُه حرامٌ، وغُذّي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ له[٢]. فهذا رجل عابد كثير العبادة، ولكنه آثم في طعامه، غير متّقٍ لله في أكله وشرابه.

كيف يصوم البطن، وقد أفطر على الحرام طعامه الربا والسحت، والغش ومال اليتيم والغصب.

فسدت، والله، الأذواق لمّا فسد الطعام والشراب، قست القلوبُ لمّا خَبُثَ المأكلُ والمشربُ، انطمس النور لما فُقدت اللقمةُ الحلال.

جاء عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه تغذى يوماً من الأيام ثم سأل خادمه من أين هذا الطعام؟ قال: من كِهانةٍ كنت أتكهّنُ بها في الجاهلية، فأدخل أبو بكر يده وانتغر فأخرج ما في بطنه من الطعام، فرضي الله عنه ما أصدقه وأطيبه وأطهره.

اللقمة تبقى في بطن صاحبها، ويبقى أثرها من اللحم والدم، وأيما جسد نبت من الحرام فالنَّارُ أولى به.

كان السلف الصالح يعرفون من أين يأكلون، فصفت أذواقهم وصحّت أبدانُهم، وأشرقتْ قلوبهم، فلما فسد طعام المتأخرين، وشرابهم انطمست معالم الهُدى في قلوبهم.

جاء عنه ﷺ أنه قال: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل**

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠١٥).

من عمل يده، وإن نبيّ الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده»[١].

فزكريا، عليه السلام، كان نجّاراً، وداود، عليه السلام، كان حدّاداً، ومحمد ﷺ والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كانوا يرعون الغنم.

والإسلام يدعو إلى الكسب، وطلب الرزق، لكن من أبوابه المشروعة.

يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال عزّ اسمه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: **«لعن الله الراشي والمُرتشي»**. ويروى: والرائش[٢].

يقول سبحانه ذامّاً من فسد من اليهود والنصارى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: ٦٢].

يقصّ بعض أهل العلم خبراً عن نفسه يقول: أنه أكل أكلة من شبهة فتغير قلبه، وأظلم عليه فترة من الزمن، وذلك لصفاء قلوبهم

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٢) صحيح، رواه أحمد (٢: ١٦٤)، وأبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣١٣) وصححه ابن حِبّان.

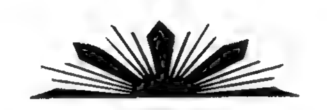
أحسوا بالتغير، أما الكثير اليوم فيأكل ما أراد من الحرام فلا يرى تغير قلبه لأنه:

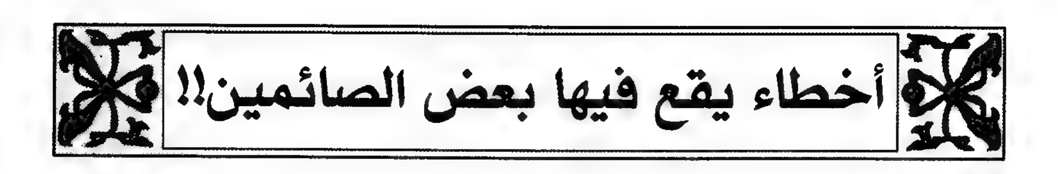
مَن يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوَانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

وتناول بعضهم الخمر والمسكر بأنواعه فحُرِمَ لذّة العبادة وحلاوة الطاعة، وعاش منغَّصاً قلقاً محروماً من السعادة ومن ساعة الإجابة.

فيا أيها الصائم، هناك صيامُ البطن من لم يصمه فكأنه ما صام، فهل من صائم عن الحرام، ورع في الشراب والطّعام ليدخل دار السلام.

اللهمَّ اجعلنا ممن يحلّل حلال الشريعة ويحرّم حرامها.





أخطاء يقع فيها بعض الصائمين!!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يخطىء كثير من الصائمين في عدم الفقه في دين الله تعالى بما فيه الصيام، فكثير منهم لا يعرف ما يفطّر صومه، ولا ما يجرحهُ، ولا ما يُفسدُه، وماذا يُسنّ للصائم، وماذا يجوز له، وماذا يجب عليه وما يحرُمُ عليه.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين**»[1]، فكأن الذي لا يتفقّه في الدِّين، ولا يسأل عن أمور دينه ما أراد الله به خيراً.

يقول سبحانه لعباده: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وأهل الذكر هم العلماء، فحقٌّ على المسلم الذي يريد أن يعبد الله على بصيرة أن يسأل عما يجهله من أمر دينه، ويبحث عن العلم، ويحرص على الفقه في الدين.

ويقع بعض الصائمين في ذنوب عظيمة تفسد عليهم صيامهم، وتضيّع عليهم قيامهم منها: الغيبة. وقد سبق ذكرها في درس كيف

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

يصوم اللسان؟ ومنها: النميمة، والفحش في القول، والاستهزاء، واللعن، وغيرها من ذنوب اللسان.

ومن الأخطاء: الإسراف في رمضان في موائد الإفطار، والسحور فيُوضَعُ من الطعام ما يكفي الفئام من الناس، ويكثر من الأنواع ويفنن في عرض كل غالٍ، ورخيص من مطعم ومشرب، من حالٍ وحامضٍ، وحلوٍ ومالح، ثم لا يؤكل منه إلا القليل، ويهدر باقيه مع الفضلات، ويرمى مع النِّفايات، وهذا خلاف هَدْي الإسلام العظيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فكل ما زاد على حاجة الإنسان، واستهلاكه فهو إسرافٌ مذمومٌ، ولا يرضى به رب الصائمين، ويندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

تصبح الأسواقُ في رمضان مليئة بالمشترين، وكلهم يحمل من الأشربة والأطعمة ما يكفي عشرات الأسر.

هناك أُسر تموت جوعاً، لا تجد فُتات الخبز، تنام في العراء، تفترش الغبراء، وتلتحف السماء، وأُسر هنا أصابتها التُّخمة من كثرة إسرافها وتبجُّحها.

من مقاصد الصيام: استفراغ المواد الفاسدة في المعدة بتقليل الطعام، وكيف يتم ذلك لمن أسرف في طعامه وشرابه، وبذّر في مأكله؟

وكثير من الصائمين قطعوا النهار في نوم، فكأنهم ما صامُوا، منهم من لا يستيقظ إلاّ عند الصلاة، ثم يعود إلى نومه، قطع نهاره بالغفلة وأمضى ليله بالسهر.

فما أَطَالَ النَّومُ عمراً وما قصَّر في الأعمارِ طولُ السَّهَر

الحكمة من الصيام: أن يعيش الصائم لذة الجوع لمرضاة الله، وطعم الظمأ في سبيل الله، والذي جعل النهار نوماً كله لا يجد ذلك.

ومن الصائمين من يلعب ألعاباً أقل أحكامها الكراهة، مِثل لعب الورق، والإسراف في لعب الكرة، وكذلك ألعاب يزعمون أنها مسلية تُضيّع الوقت وتُفني الساعات في غير منفعة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

ومن الصائمين من يسهر الليل سهراً ضائعاً، لا منفعة فيه، ولا أجر فهم في لهو ولعب وشرود، بينما لا تجد في هذا السهر ركعتين في ظلام الليل.

ومن أشنع أخطاء بعض الصائمين تخلفهم عن صلاة الجماعة لأدنى سبب وأتفه عذر، وهذا من علامات النِّفاق، ومن براهين مرض القُلوب، وموت الأرواح، ومنهم من ليس بينه في رمضان وبين القرآن الكريم صلة أو قربى، يقرأ كثيراً لكن في غير القرآن الكريم، ويطالع كثيراً ولكن في كتب غير كتاب الله عزّ وجلّ.

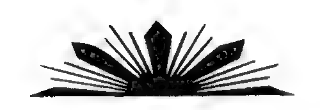
ومن الصائمين من لا تجود نفسه بصدقة في هذا الشهر العظيم، ولا تَشْرُف مائدته بتفطير بعض الصائمين، فبابه مغلق وكفّه بخيلة، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

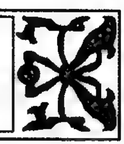
ومن الصائمين من ترك صلاة التراويح وتكاسل عنها، ولسان حاله يقول: تكفيني الفريضة، وهو لا يكتفي من الدنيا بالقليل، بل يحرص على الكماليات منها حرصه على الضروريات.

ولَوْ قد جئتَ يومَ الحشر فرداً   وأبصَرْتَ المنازلَ فيه شَتَّى
لأعْظَمتَ الندامةَ فيه غبناً   على ما في حياتِكَ قد أضعتا

ومن الصائمين من أتعب أهله بتكلف صُنع كثير من الأطعمة والأشربة حتى أشغلهم عن القرآن الكريم والسنّة، وعن ذكر الله والعبادة، ولو اقتصر على الضروري لوجد أهله وقتاً واسعاً للتزوُّد من طاعة الله عزّ وجلّ.

اللهمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنّا وسامحنا واعف عنا.





أسرار الصيام

الحمد لله، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

أما بعدُ عبادَ الله: فإن للصيام أسراراً ومقاصد، لا يعلمها إلا من عاش الصيام بحرارة وعاشه بإقبال وتقبل.

أول هذه الأسرار: أنه مُعِين وطريق إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يقل لعلكم تتدبرون، أو تتذكرون، أو تشكرون، وإنما تتقون.

ولذلك ورد في السنة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء**»[١]. ومعنى ذلك أنه مُعين على تقوى الله،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

والنفس تنكسر بالجوع، فتسلك سبيلها إلى ربها سبحانه وتعالى.

السر الثاني: أن فيه تذكيراً بأهل الجوع من المصابين بداء الفقر المُدْقِع الذي ما علم عنه المترفون والأغنياء، فإن من يعش على اللحم والفواكه والخضروات دائماً وأبداً، صباحاً ومساءً، لا يدري أن هناك من يعيش الجوع الحار صباحاً ومساءً.. فأراد الله أن يخبرهم أن هناك إخواناً لهم ينامون على التراب ويتلحَّفون السماء ولا يجدون كسرة الخبز، ولسان الحال يقول لهم: إن كنتم تجوعون شهراً واحداً، فالناس غيركم يجوعون شهوراً.

السر الثالث: أن فيه تفرغاً للعبادة، فإنَّ النفس إذا أكلت وشبعت ورويت تشبطت إلى الطين وهاجرت إلى التراب، وإذا جاعت وظمئت سافرت إلى الحي القيوم سبحانه وتعالى.

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يواصل الليل بالنهار صائماً، فيريد الصحابة أن يواصلوا، فيقول: «**إني لست كهيئتكم إني أبيت يُطعمني ربي ويسقيني**»[1].

قال ابن القيم[2]: طعام ليس بحسِّيٍّ، وشراب ليس بحسيٍّ، وإنما معناه ما يفيض الله عليه من الأشواق، ومن لذة المناجاة، ومن أبواب المعارف، ومن الدعاء، ومن القُرب، فيأتي السرور، هذا يحل مكان الطعام والشراب.

والعرب في جاهليتها كانت تستغني بالسرور أو بالفرح عن كثير من الطعام والشراب، حتى يقول الأول:

طفحَ السرور عليَّ حتى إنني   من عُظْم ما قد سرَّني أبكاني

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «زاد المعاد» (٢: ٣١).

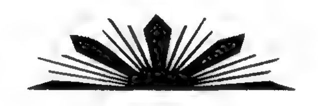
فكان عليه الصلاة والسلام يستعيض بتلاوة القرآن، وبالدعاء لمولاه، وبالقُرب منه عن كثير من الطعام والشراب، فإن أقوات الروح هي المعاني، وأقوات الأجسام هي الطعام والشراب.

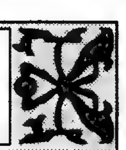
ولذلك يقول الأندلسي لابنه:

فقوت الروح أرواح المعاني ... وليس بأن طعِمْتَ ولا شربت

فالرسول ﷺ يعيش رمضان تلهفاً وحباً وسروراً لمولاه أن وفَّقه لهذا الشهر، وأن المنية لم تأته قبل أن يصوم الشهر، فصامه وقامه.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزادِ
لها بذكرك نورٌ تستضيء به ... ومن حديثك في أعقابها حادِ
إذا تشكَّت كِلال الشوق أسعفها ... روح القدوم فتحيا عند ميعادِ





ظواهر في رمضان

والظاهرة عند كثير من الناس اليوم في شهر رمضان ظاهرة تكمن في ثلاثة أمور، وهي مخالفة، أو فيها شيء من الخطأ توجد عند كثير من الناس إلا من رحم الله:

أولها: أن كثيراً منهم لا يعرفون الله إلا في رمضان، يسيئون ويعصون، ويتولون ويشردون عن الله سبحانه وتعالى، أحد عشر شهراً، يبتعدون عن تلاوة القرآن، ويرتكبون المخالفات والمعاصي، فإذا سمعوا بأن شهر رمضان قد أقبل أقبلوا إلى المساجد، وتمسكنوا وخشعوا وذلوا وكأنهم يخادعون الله.

أليس رب رمضان هو رب شوال وشعبان؟! أليس الذي يعلم السر وأخفى في رمضان هو الذي يعلم السر وأخفى في غير رمضان؟! ثم إذا تولى رمضان ولبسوا ثياب العيد، عادوا إلى المهاجرة ومقاطعة رب العالمين، وعادوا إلى حالتهم الأولى، وهذا فيه شبه من بني إسرائيل، فإنهم كانوا تحت السوط يخضعون ويخافون، وإذا أغدق عليهم بالنعم تكبروا وبطروا وتجبروا.. فالله الله يا عباد الله، لا تكن معرفتنا بالله في رمضان، فإذا انتهى رمضان تنكرنا للواحد الديّان.

فتباً لمن ظنّ أن الله لا يعرفه إلا في رمضان، وسحقاً سحقاً لمن ظنّ أن الله لا يعلم السر إلا في رمضان، فما هذا المفهوم الخاطىء.

الأمر الثاني: أن كثيراً من الناس إذا أقبل رمضان، حرصوا على صلاة التراويح تراهم ينصبّون من القرى، وينسكبون من الأحياء للجوامع يصلون فيها صلاة التراويح، وإذا ذهب رمضان تركوا الجماعة في المسجد.

وصلاة التراويح نافلة من النوافل، وثوابها عظيم لمن صلاها، لكن أين الفريضة، وصلاة الجماعة؟ التي قال عنها أهل العلم أنها واجبة، بل رأى بعضهم أنها شرط في صحة الإسلام لمن لا عذر له.. وصلاة واحدة في فريضة أفضل من قيام أو تراويح ثلاثين ليلة في شهر رمضان.

فانظر إلى هذا الفهم، وهذا الفقه، يوم يأتي أحدهم فيحرص على التراويح ولكنه لا يصلي الصلاة في جماعة إذا تولى رمضان!

الأمر الثالث: أن كثيراً من الناس ينامون كلَّ اليوم أو أكثر اليوم. فهو نائم من الصباح إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، ومنهم من ينام من العصر إلى الغروب.. فأين التلذذ بالصيام؟ وأين حرارة الجوع؟ وأين مشقة الظمأ؟

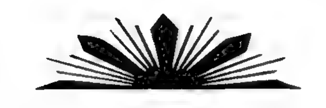
إذا كنت نائماً كأنك في الليل ما كأنك صمت، وأين المعاني الإيمانية في رمضان، إذا كان الليل كله سمراً في اللهو واللغو والنهار نوماً، فأين مفهوم رمضان؟

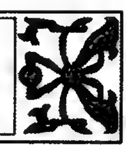
إذن أصبحت الأشهر الأخرى أحسن في حق هذا من رمضان، فإنه يكون معبس الوجه مع الغروب ليأكل ويشرب، ويسمع ويتمتع، ثم إذا أتى اليوم الثاني تلفف بردائه ونام في فراشه، فبقي في غيبوبة حتى الغروب، وما هذا من معاني الصيام؟!

لا بد من نوم في النهار، لكن لا يَطُول، لأن المقصود من الصيام أن تعيش أحداث الصيام، وساعات الصيام، وجوع الصيام،

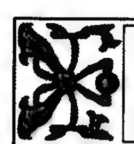
وظمأ الصيام، وتتعلم كيف تصفو روحك، وكيف ينبل قلبك لينقذك الله من النار.

لا نقول النوم حرام، ولكن خلاف الأولى، وليس بهدي الصالحين أن ينام النهار، فالأفضل أن ينام من الليل، وخاصة إذا علم أن في سهره ضياعاً لعمره ووقته الثمين وأن يأخذ وقت النهار فيما يقربه عند الله الحي القيوم.





واجبنا في الصيام



علينا في الصيام واجبات أسردها لكم، فإنكم سوف تبنون عليها ما بأذهانكم من معان نحو صيام هذا الشهر المبارك العظيم.

١ ـ أن ندرك أنَّ اللّهَ أراد أن يمتحِنَ إيمانَنا به سبحانه وتعالى. يريد سبحانه وتعالى أن نصدق معه أم لا؟ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].. يعلم الصادق في الصيام وفي غير الصيام، من الكاذب في الصيام وفي غير الصيام.. ولذلك في الحديث القُدسي الذي رواه الشيخان عنه ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**»[(١)]، أي أنه سرٌّ بينك وبين الله، بإمكانك أن تأكل ولا يراك أحد وأنت صائم، بإمكانك أن تشرب ولا يراك أحد إلا الله وأنت صائم، بإمكانك أن تستتر بالحيطان، تدخل بعض الغرف وتغلق على نفسك، فتأكل ما أردت، وتشرب ما أردت، فلا يراك أبوك، ولا أمك، ولا جيرانك، ولا إخوانك، ولكن يراك رب الناس، الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.. فالصيام سرٌّ بينك وبين الحي القيوم.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣) من كتاب الصيام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصلاة بينك وبين الله، فيراك الناس لأنك تصلي جماعة والحج كذلك، لكن الصيام سرٌّ من الأسرار لا يطّلع على عملك إلا الله، فيا إخوتي فلندرك هذا السر ونعلم أنه لا رقيب ولا حسيب ولا شهيد إلا الله عز وجل.

٢ ـ أن نصوم بنيَّة، فإنه لا أجر لمن لا نية له، بعض الناس يفعل العبادات أو الصلاة أو الصيام على عادة آبائه، يصوم لأن الناس صاموا، ويحج لأن الناس حجوا، ويزكِّي لأن الناس يزكُّون، هذا تقليد لا ينبغي في العبودية لله عز وجل، لا بد أن تصوم لله رضاء منك بهذه الشعيرة التعبدية من الله عز وجل، فلا بد من استحضار النية، في الصيام.

إذا أتيت تفطر من الغروب تنوي بفطرك أنك قد قدمت يوماً من أيام الله الزاهية العظيمة في حياتك وأنك قد صمت لله، فتقول: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبَّل مني إنك أنت السميع العليم».

وتنوي بطعامك هذا القوة على طاعة الله، وتنوي إذا تسحَّرت أنك تستعين به على صيام النهار وأنك تستغفر عند السحور لله سبحانه وتعالى، وأنك سوف تصوم يوماً جديداً، وتنوي بصلاة التراويح مع المسلمين بعد الفرائض أن تقدمها لله عز وجل، لا لتُمدَح من الناس، لا رِياء ولا سُمعة، فإن من أشرك مع الله شيئاً تركه سبحانه وتعالى وشركه.

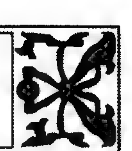
٣ ـ ألا نُقطِّع يومنا الطويل في النوم، فإن بعض الناس إذا دخل يوم رمضان جعل النهار كله نوماً فلا يشعر بالصيام ولا بلذة الصيام ولا بحرارة الجوع، ولا بحرارة الظمأ، فأين سر الصيام إذن.. ينام من الصباح إلى الظهر ومن الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى قبيل الغروب، فأين إذن سر الصيام، وأين إذن عبودية الصيام؟ ثم يجعل الليل كله قياماً فيما لا يرضي الله عز وجل.

فلا ينبغي جعل النهار كله للنوم، والليل كله للضياع والجلسات التي لا تغني، لأن بعض الناس إذا أتى الليل صرفه في الجلسات التي لا ترضي الله عز وجل في المقاهي، وفي المنتديات، وفي المُتَنَزَّهات مع جلساء السوء، وفي الإتيان ببعض الأمور التي تضيِّع الوقت، وتصرف الوقت، وتصد عن ذكر الله عز وجل.

٤ ـ كثرة قراءة القرآن، هذا هو شهر القرآن الذي أُنزل فيه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، كان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل عليه شهر رمضان، أغلق على كتبه، وأخذ المصحف، ومنع الفتوى، والمساءلة مع الناس، وقال: هذا هو شهر رمضان، هذا هو شهر القرآن، فيمكث في المسجد حتى ينسلخ شهر رمضان.

وكان الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، الزاهد العابد العالم إمام أهل السنة إذا دخل شهر رمضان، دخل المسجد، ومكث فيه، يستغفر ويسبِّح، وكلما انتقض وضوؤه عاد فجدَّده، فلا يعود لبيته إلا لأمر ضروري من أكل أو نوم أو شرب، هكذا حتى ينسلخ شهر رمضان، ثم يقول للناس: هذا هو الشهر المكفِّر فلا نريد أن نلحق به الأشهر الأخرى في المعاصي والخطايا والذنوب.

فمن آداب هذا الشهر ومن سنن هذا الشهر: كثرة قراءة القرآن، لأنكم أنتم أهل القرآن، وإذا لم تقرأوا القرآن أنتم فمن يقرأ القرآن يا ترى؟ أتنتظرون من غيركم أن يقرأ القرآن، وأنتم لا تقرأونه بكثرة كاثرة ولا بتدبر؟ لا، فأنتم أهل القرآن، ولا يمكن أن نستقيم ولا أن نهتدي إلا بالقرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].



أمور تتطلبها رسالة القرآن

إخواني: إن رسالة القرآن تتطلب منا أموراً ثلاثة:

الأول: أن نقرأ هذا الكتاب العظيم وأن نتلقَّاه على أنه كلام الله عز وجل، فنشعر بجلال ورهبة عندما نقرؤه، ونحفظ منه مع القراءة ما استطعنا، فإن القلب أو الصدر الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب، بيت خَرِب تعشعِش فيه الحيَّات، والعقارب، والغربان، والبوم.. كذلك الصدر الذي ليس فيه شيء من القرآن يعشعِش فيه الغناء، والأفكار السيئة، والكلام الفاحش البذيء، وهذه الخزعبلات، وهذه التُرَّهات التي لا تُرضي الحي القيوم.. فالواجب أن نحفظ ما استطعنا منه، ونستغل هذا العمر فيما يقرِّبنا أو ما يجعلنا قريبين من هذا القرآن العظيم.

الأمر الثاني: أن نعمل به، وهذا هو سرُّ القرآن، وهذا هو المقصود بالقرآن، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما جلس جالس مع القرآن إلا قام بزيادة أو نقص: إما أن تقوم بزيادة إيمان ويقين، وإما.. نسأل الله العافية يقوم من يقرؤه بنقص، لأن القرآن يأمر ببرِّ الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فيقرأ هذا القارىء وهو عاق لوالديه فيلعنه القرآن، ويأمر القرآن بحسن الخلق، وبعدم الكذب، فيكذب هذا القارىء للقرآن، والله

يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] فيلعنه القرآن، ويأمر القرآن بصلة الأرحام يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].. فيقطع هذا القارىء أرحامه فيلعنه القرآن، فأي علم إذن؟ وأي فائدة في هذه التلاوة إذا لم نطبّق تعاليم الله عز وجل؟ ولذلك يقول السلف: يأتي القرآن يوم القيامة إما شافع مقبول، وإما شاهد يدحض صاحبه إلى النار، إما أن يقودك القرآن إلى الجنة فتدخل في رحمة الله، وإما أن يأخذك إلى النار نعوذ بالله من النار.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإن كل حرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[2]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة** ـ أي في الجنة ـ **اقرأ وارتق، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها من القرآن**»[3]، فحافظ الجزء الواحد يرتقي في سُلَّم الجنة وفي درجاتها بحسب الجزء، وحافظ الجزأين بحسب الجزأين والثلاثة بالثلاثة وهكذا حتى يأتي صاحب القرآن فيرتقي ويصبح كأنه كوكب دُرِّي.. ولذلك أعظم ما أثر

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤).

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في «التاريخ» (٢١٦/١)، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم (٥٦٦/١)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣١). من طرق من حديث ابن مسعود به.
قال أبو القاسم الغافقي في «لمحات الأنوار» (١١٥/١): وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (١٩٢/٢)، وابن أبي شيبة (٤٩٨/١٠)، والترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦)، والحاكم (٥٥٢/١) من طرق كثيرة من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الذهبي: صحيح.

في سيرته ﷺ أو في حياته أو في دعوته أنه جعل القرآن منهجه، كان لا يرتاح إلا أن يسمع القرآن، يجتمع بالصحابة وشبيبة الصحابة فيقول لأحدهم اقرأ القرآن عليَّ، يقول ذلك لابن مسعود الشاب الذي رفعه الله بالقرآن والذي سجّل اسمه حتى قيام الساعة بسبب انتمائه لهذا الدين، فيقرأ ابن مسعود، ويستمع ﷺ حتى يبلغ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، فيبكي ﷺ ويقول: «**حسبك الآن**» فيقول ابن مسعود: نظرتُ فإذا عيناه تذرفان ﷺ[(١)].

الأمر الثالث: أن ننشره بين الناس لننقذ به أنفسنا من غضب الله، ومن لعنة الله، ومن سخط الله. ونُوَعِّي أهلنا في بيوتنا: الأم مسؤولية في عنقِك، الأب أمانة كذلك يسألك الله سبحانه وتعالى عن إخوانك وجيرانك لأنك أنت الداعية، ومحفل الأجيال محتاج إلى صوتك العالي وإن لم يسمعوك، أنت داعية الأمة لأنك طالب العلم، وأنت مقدَّم الجيل فإذا لم تدع أهل بيتك ولم تنقذهم من غضب الله فمن ينقذهم يا ترى؟ ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

٥ ـ ومن واجباتنا في شهر رمضان أن نجدد توبتنا مع الله الحي القيوم، يقول عليه الصلاة والسلام كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «**رمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة، مكفِّرات لما بينهن ما لم يؤت كبيرة**»[(٢)]، فرمضان إلى رمضان يكفر الصغائر التي كنا نقترفها ولا نداوم عليها، لكن الكبائر لا بد لها من توبة، عقوق الوالدين كبيرة لا يكفِّرها الصيام،

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢). ومسلم (٨٠٠).
(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

لأنه لا بد من توبة لها، شرب الخمر كبيرة، السرقة، اللعن، أمور ذكرها ﷺ، هذه الأمور لا يكفِّرها رمضان، ولا الجمعة، ولا الصلاة، وإنما تكفِّرها التوبة، وأما رمضان فيكفر الصغائر التي سوَّدْنا بها صحائفنا، والتي نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن يجعلها من المكفَّرات في هذا الشهر.

يقول سبحانه وتعالى لعبده بعد أن يعطيه صحفه: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤]، كل حسنة وسيئة مسجَّلة، علمها عند ربي في كتاب لا يضِل ربي ولا ينسى، فمن واجبنا في هذا الشهر أن نجدد التوبة، من كان منا في إسرافه وفي بُعده مع الله فليستقبل هذا الشهر ولا يفوته هذا الشهر ليعتق الله رقبته من النار، وليقبله الله فيمن قُبِل وليتجاوز عن خطاياه.

٦ ـ ومن واجبنا في هذا الشهر تجديد الأعمال، إن كانت سيئة فنجددها بصالحة، من كان منا عاقّاً لوالديه فليراجع حسابه مع الله، فإنَّ عاقَّ والديه ارتكب أكبر جريمة بعد الشرك بالله عز وجل، ولذلك عاقُّ الوالدين لا تقبل له دعوة، وهو مغضوب عليه لأنه قطع ما بينه وبين الله عز وجل، ومن كان منا مفرِّطاً في وقته ومضيِّعاً لأوقاته فعليه أن يبدأ في تنظيم وقته من الآن، وفي تصحيح مساره في حياته من الآن. يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

يقول ﷺ فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**نِعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصِّحة والفراغ**»(١)، الصحة في البدن والفراغ في الوقت.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

ومعنى «**مغبون فيهما**» أي: أنه خاسر مضيع ضال مفرط في هذا الوقت وفي هذه الصِّحة.. تجد كثيراً من شباب الإسلام رزقهم الله الصحة والشباب والفراغ في الوقت، ثم يضيِّعونها في المعاصي، يضيِّعونها في التُّرَّهات، يضيِّعونها في السَّفَه والانحراف والضياع، نسأل الله العافية والسلامة.

وقل لبلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مصلِّيا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به تلقَ أبواب الجنان الثمانيا

فأول ما نحافظ عليه في أوقاتنا الصلوات، فهذه لا يردنا عنها رادٌّ، لا امتحان، ولا مذاكرة، ولا استقبال ضيف، ولا سماع كلمة، ولا قراءة كتاب، ولا مطالعة، ولا ذهاب ولا إياب، فمن فعل ذلك فقد خان نفسه أولاً، ثم خان رسالته، ثم خان دينه، ثم خان أمته.

يقول بعض أهل العلم وهو يتكلم عما يصاب به الشباب في أخلاقهم وفي دينهم، قال: قد يصابون بسبب أنهم لا يعتقدون أن الهداية في دين الإسلام.

كثير من الناس الآن يظن ظناً أن في الإسلام هداية، لكنه لا يعتقد من قلبه أن الهداية كل الهداية في الكتاب والسنة، ولذلك يقول ابن تيمية: من اعتقد أنه سوف يهتدي بغير هدي الله الذي بعث به محمداً ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً يوم القيامة.

ويقول: كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل قلب لا يشرق بنور الدين فهو قلب مغضوب عليه. فنعوذ بالله من غضب الله.

الأمر الثاني الذي لا بد من ملاحظته: الجدّ في طلب العلم، فلا

يظن أحدنا أن الدراسة تذهب وتأتي، وأنها سهلة وأنها كغيرها من الأمور الثانوية في حياة المسلم، لا بل هي من العبادة، وأعظم من أن تتنفل بالصلاة، جلوسك على الكرسي، مستقبل الأستاذ تسمع ما يلقي عليك من العلم أعظم من نوافل العبادات..

ولذلك أفتى الإمام أحمد والشافعي بأن من طلب العلم وجلس للعلم أعظم من أن يتنفَّل بالصلوات.

إذا خرجت تصلي صلاة الضحى وخيِّرت بين أن تجلس في الفصل لتطلب العلم، فجلوسك في الفصل أحسن، وأفضل إذا أخلصت النية من صلاتك النافلة، صلاة الضحى، وإن جمعت بينهما فهو الأفضل، وهو الفضل من الله سبحانه وتعالى.

فاعلموا أن طلب العلم من أعظم النوافل ومن أعظم الأعمال الصالحة.. فالذي أريده منكم هو الحِرص كل الحِرص وألاَّ يظن أحدنا أن هذه من الأمور الثانوية كما أسلفت.. لا، بل هي من الأمور الأساسية، بل هي من الأمور المفترَض علينا أن نتعلمها.

يقول سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].. قل رب زدني علماً كل يوم، إذا لم تزدد فيه علماً فقد ذهب هذا اليوم من عمرك، وقد فرَّطت فيه وأنت مغبون فيه.

أما نحن أهل الرسالة الخالدة، أما نحن الذين سطَّر أجدادنا المكرمات، أما نحن الذين فتحوا سُبل السلام للبشرية، فسَلُوا عنَّا الناس، سَلُوا عن أجدادنا كم كانوا يقرأون، وكم كانوا يحافظون على أوقاتهم، لكن خلفنا نحن فرأينا النعمة، والأمن، والسكينة، ورغد العيش، الفرش الوثيرة، والسيارات الفاخرة، والموائد الشهية، ومتمنَّيات ومتطلبات الحياة مما لذّ وطاب، سبَّب لنا إرباكاً في حياتنا، واضطراباً في أعمالنا، وضياعاً في أوقاتنا فنشكو أمرنا إلى الله عز وجل..

يذكر أهل التراجم أن أحد علماء المسلمين، اسمه ابن عقيل الحنبلي ألَّف كتاباً مكوناً من سبعمائة مجلد، هذا الكتاب مخطوط في بعض مكتبات الغرب، سبعمائة مجلد والسبب أنه كان من أحفظ الناس على وقته، حتى يُقال إنه كان يأكل الكعك إذا تغذى وتعشى ولا يأكل الخبز، فقالوا له: كيف تأكل الكعك ولا تأكل خبزاً؟ فقال: بين أكل الكعك وأكل الخبز مقدار قراءة خمسين آية من كتاب الله عز وجل.

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني

هل حاسبنا أنفسنا على الوقت أيها الأخيار؟ هل وقفنا قليلاً لنرى أننا نقرأ أم لا؟ الذي أريد أن أؤكده أنه لا بد لنا بالذات من مكتبة في البيت تشمل كتباً إسلامية لا كتب خرافات وخُزَعبلات، لا كتب إلحاد نعوذ بالله من الإلحاد، لا كتب مجون، وخلاعة، وإسفاف، وهي واردة في أسواقنا، وموجودة في مكتباتنا، لكن كتب علم، كتب هداية، كتب توجيه، وأذكر على سبيل المثال بعد كتاب الله عز وجل التي لا بد أن يكون في بيوتنا هذه الكتب:

زاد المعاد لابن القيم، تفسير ابن كثير، رياض الصالحين، بلوغ المرام.

ويكفينا ولو مكتبة صغيرة: عشرة كتب، عشرون كتاباً في مكتبتك لا بد من مطالعتها باستمرار، ولا بد أن نقلل من الذهاب والإياب في كل مشوار لا ينفعنا في الدنيا ولا في الآخرة..

ولا بد من الإشارة الآن إلى بعض الأمور:

الأول: مما يفسد علينا حياتنا ومستقبلنا وأوقاتنا وذكاءنا وأعمالنا ووقوفنا بين يدي الله عز وجل هي المعاصي.. فأدعوكم ونفسي إلى التوبة من المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وألقي عليكم حديث

رسول الله ﷺ لابن عمه ابن عباس حيث يقول له وهو معه على الدابة رديفه: **«يا غلام احفظ الله يحفظك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة إذا اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»**[(١)].

فأسألكم بعد سؤال نفسي وأتضرع إلى الله العلي القدير أن يعصمنا والعصمة لرسوله ﷺ، وأن يحفظنا من الخطايا والذنوب لأنها هي المدمِّرة، وما دمَّر شباب الإسلام، وما ضيع جيل الإسلام إلا المعاصي، فإنها هي التي طمست ذكاءهم وبصيرتهم وعطلت منابع القوة في حياتهم.. ولذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: المعصية ظلمة في القلب، وسواد في الوجه، وبُغض في قلوب الخلق، وضيق في الرزق، ويقول: الطاعة نور في الوجه، وبياض في القلب، ومحبة في قلوب الخلق، وسعة في الرزق. فمن أراد القوة، ومن أراد راحة القلب، ومن أراد السعادة في الدنيا والآخرة، ومن أراد الذكاء، والفهم، والنور، فعليه بطاعة الله، وترك المعاصي.

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام مجدِّد القرن السابع، ذاك العالم النِّحْرير، ذاك العالم الذي ما طرق العالم من قرنه حتى الآن عالم مثله في جلالته وقوته وعلمه، كان عمره ثماني سنوات، تصوروا ثماني سنوات، ذكر عنه أهل التراجم وأهل السير أنه كان يسجد قبل صلاة الفجر في غوطة دمشق ويمرغ وجهه في التراب ويقول: (يا معلم إبراهيم علِّمني، ويا مفهِّم سليمان فهِّمني)، فعلَّمه الذي علَّم إبراهيم

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني (٤١٩)، وأبو يعلى (٢/٦٦٥)، والآجري في «الشريعة» (ص١٩٨) من طرق. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

وفهَّمه الذي فهَّم سليمان.. يقول عن نفسه وهو يقرأ في الكتب ويحقق المسائل: (فتصعب علي المسألة فأستغفر الله ما يقارب ألف مرة فيفتحها الله علي).

علمنا علم يأتي إلى القلوب، ولا يَرين على القلب إلا المعاصي فإذا صعبت عليك مادة من المواد، أو موضوع من الموضوعات، أو بحث من البحوث فعليك بأمور:

١ - تقوى الله، فمن علم الله فيه التقوى سدَّده وهداه وفتح بصيرته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]..

٢ - كثرة الاستغفار، تأتي، وتذاكر، وتستغفر، وأنت تذاكر، وأنت تقلب صفحات كتابك، تستغفر، وتسأل الله العون والسداد.

٣ - عليك أن تجدَّ في المذاكرة، لا يظن أحدنا أنه إذا استغفر سوف ينجح ولم يذاكر، لا، (اعقِلْها وتوكَّل)، إننا أمة تتوكل لا نتكل، لسنا أمة اتكالية ولكن أمة نعمل ونجد ونحرص ونتوكل على الله، ولذلك يقول ﷺ كما صحّ في صحيح مسلم عن أبي هريرة من قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل: قدَّر الله وما شاء فعل**»[1].

فنحرص، ونذاكر، ونثابر، ونستغفر، ونتقي الله، فإذا أفلحنا بها فنِعْم النجاح، وإذا رسبنا فقد عذرنا أنفسنا، أمَّا إنسان خامل كسول مضيع لوقته لا يذاكر ولا يحافظ على وقته، ثم يأتي، ويمتحن، فإذا رسب قال كذا وكذا، وقال الأسئلة كانت صعبة أو المصيبة أنني فرطت أو فعلت، نعم لكن لا تقل لو، لأن لو لا تنفع هنا.. لكن احرص من أول الطريق..

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

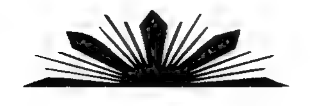
إخوتي في الله أنبهكم إلى ترك المعاصي؛ لأنها هي التي دمَّرتنا وضيَّعت أوقاتنا.

فيا رب.. هذه الشبيبة متطلعة إليك لتمدها بنور من نورك، وهداية من هدايتك، وتوفيق من توفيقك، فاهدها سُبل الإسلام، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وأمِّن سبيلها، واسكب عليها من فيضك، ومن رحمتك، ومن برِّك ما أنت به أهل.

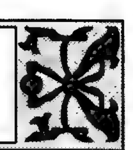
اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا، وتوفَّنا إذا كانت الوفاة خيراً لنا.. اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، اللهم إنا قد صمنا لمرضاتك فاجعلنا يا رب العالمين من المفطرين يوم القيامة على موائد نعمائك إنك على كل شيء قدير..

اللهم إننا حرَّمنا على بطوننا الطعام والشراب لمرضاتك، فأطعمنا من روضات الجنات، واسقنا من الحوض المورود الذي قال فيه رسولك محمد ﷺ: **«آتاني الله الكوثر طوله شهر وعرضه شهر، عدد آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من شرِب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»**[1].

فيا رب تقبَّل منا صيامنا وقيامنا، واجعلنا من المقبولين في هذا الشهر، وأصلح بنا وأصلحنا، ووجِّهنا لما فيه خير أمتنا وخير أنفسنا، إنك على كل شيء قدير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



(١) رواه مسلم (٢٤٧).



آخر أيام رمضان

اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، ومثل ما نقول، وفوق ما نقول، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالصيام، ولك الحمد بالقيام.

عزَّ مقامك، وجلَّ ثناؤك، وتقدَّست أسماؤك، ولا إله إلا أنت. في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي الجنة رحمتك، وفي النار سطوتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك..

من تقرَّب إليك قرَّبته، ومن أحبَّك أحببته، ومن توسَّل إليك قبلته، ومن عصاك أدَّبته، ومن حاربك كبتَّه، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

والصلاة والسلام على من رفعتَ به منارة الإسلام، وحطمتَ به دولة الأصنام، وفرضتَ به الصلاة والصيام، والطواف بالبيت الحرام، خير من أفطر وصام، وخير من سجد وقام، رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فحديثنا عن الأيام الأخيرة في شهر رمضان.

إنكم تعيشون الأيام الأخيرة من هذا الشهر المبارك، شهرٌ

رضي الله سبحانه وتعالى عمَّن صامه وقامه، شهر فتح الله فيه أبواب الجنان، وأوصد فيه معامل الشيطان، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

شهرٌ أنفاس الصائمين فيه خير عند الله من المسك، شهر يُعتق الله في كل ليلة منه مائة ألفٍ ممن استوجبوا دخول النار، شهر جعله الله عزَّ وجل صلة بين المذنبين وبينه تبارك وتعالى.

والله عز وجل طلب من المكلَّفين أن يستغفروه بعد كل عمل صالح، فقال للرسول عليه الصلاة والسلام في آخر عمره: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه وتعالى للحجيج بعد أن قضَوا مناسكهم وانتهوا من أعمال حجهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

فواجبك في هذه الأيام والليالي أن تعود إلى الملك العلاَّم، وأن تختم هذه الساعات القريبة، الوجيزة، التي بقيت من هذا الشهر الفضيل، ومن هذا الموسم الجليل، بالاستغفار والتوبة، لعلَّ الله أن يقبلك فيمن قبل، وأن يعفو عنك فيمن عفا عنه، وأن يردَّك سبحانه وتعالى إليه، فإن الأنبياء، عليهم السلام، سلفاً وخلفاً، استغفروا الله عزَّ وجل على حسناتهم وبرِّهم، وعلى صلاحهم.

قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وقال آدم وزوجه لما أذنبا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

وقال سليمان عليه السلام وقد رأى ملكه وجيشه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥].

وقال إبراهيم عليه السلام في آخر عمره: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

والله عز وجل وعد المستغفرين ألا يأخذهم بنقمه في الدنيا إذا استغفروه فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

ونادى الله الناس جميعاً فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال مادحاً سبحانه وتعالى من استغفر يوم يذنب، ومن تاب يوم يسيء، ومن راجع حسابه مع الحي القيوم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

ومن صفات الله عزَّ وجل الحسنى، أنه توَّاب رحيم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال لبني إسرائيل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

وقال سبحانه وتعالى مخبراً أن من اجتنب الكبائر غفر الله له

الصغائر فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وقال جلَّ ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ[1] لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان من بسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وسبحان من بسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

والله يقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تذنبون في الليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»[2].

متى يتوب من لا يتوب في رمضان؟ ومتى يعود إلى الرحمٰن من لا يعود في رمضان؟ ومتى يُراجع حسابه مع الواحد الديَّان من لا يراجع حسابه في رمضان؟

ينسلخ الشهر ولا يُمحى الذنب، ينسلخ الشهر، ولا تُسارع في فِكاك رقبتك من النار، ومن العار ومن الدمار..

أليس من الحسرة والندامة، أن يعفو الله عن مئات الألوف ثم لا يعفو عن البعيد؟

أليس من العار، والخزي، والخسار، أن ينسلخ الشهر ثم لا تكونُ من الذين رضي الله عنهم، ونعوذ بالله من ذلك.

فسارع أيها المسلم في فِكاك رقبتك في هذه الليالي، واغتنم كثرة

---

(١) هذا في حياته ﷺ، لا كما يزعم الصوفية والقبوريون أنه في حياته وبعد موته! وذلك تراهم يتمرَّغون عند القبور ولا يلجؤون إلى خالق مَن فيها (الناشر).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الصلاة على المصطفى ﷺ، وكثرة التوبة والاستغفار، وبادر بالحسنات. فمن يدري، لعلك أذنبت ذنباً كبيراً لا يُغفر إلا في هذه الليالي، ولعلك أسأت إساءة كبرى لا يمحوها إلا التوبة في هذه الأيام.

فبادر في فكاك رقبتك، وارفع يديك إلى الله عز وجل، فإنك لا تدري لعل رمضان لا يعود إليك مرة أخرى.

فوداعاً يا شهر الصيام والصلاة، ووداعاً أيتها الأيام العاطرة التي عشناها في ذكر وتلاوة، لا ندري أتقبل منا فنخرج يوم العيد في فرح وسرور وحبور ونور؟

أم رُدَّت أعمالنا علينا (والعياذ بالله) فنخرج في ويل وثبور وفي حسرة وندامة؟ فإن السعيد مَن أسعده الله، وكتبه في صحائف الخلود، والسعادة، والشقي من أخزاه الله، وغضب عليه سبحانه وتعالى.

إذا عُلم ذلك، فأُوصي نفسي وإيَّاكم، بالتوبة النصوح، وكثرة الاستغفار في هذه الليالي، ورفع يد الضراعة إلى الحي القيوم.. لعل الله أن يغفر.

فوالله، ليس لنا من الأعمال العظيمة الشريفة ما نتقدَّم به إلى الله، لأن كل أعمالنا خطيئة وذنبٌ، وكلنا فقر ومسكنة، وعجز وتقصير، نخشى من أعمالنا أن يشوبها الرياء والسمعة، فيبطلها الله أولاً وآخراً.

يظن العبد يوم يصلِي ساعة، أو يقرأ ساعة، أو يذكر الله ساعة، أنه فعل شيئاً عظيماً؟. فأين ساعات النعيم؟ وأين ساعات الأكل والشرب؟ وأين ساعات اللهو واللعب؟ وأين ساعات الترح، والمرح، والذهاب، والمجيء..؟

فيا أيها المسلمون، يا من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ..الله الله في هذه الليالي التي لا تدري ماذا يكتب لك فيها، من يدري لعلك أن تكون شقيّاً فيمحو الله ذنوبك

ويكتبك سعيداً.. أو تكون بعيداً فيقربك الله ويجعلك سعيداً.

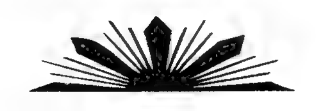
أو لعلك أن تكون مغضوباً عليه ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فيتولاك الله فيمن تولى.

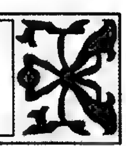
وإنما الأعمال بالخواتم ... لا تحتقر شيئاً من المآثم
ومَنْ لقاءَ الله قد أحبا ... كان له الله أشد حبّا
وليتك بالخوف والرجاء ولا ... تيأس وللنفس فجاهد عجلا
وإن فعلت سيئاً فاستغفر ... وتب إلى الله بداراً يغفر
وبادر بالتوبة النصوح ... قبل احتضار وانتزاع الروح
والله لوْ علمت ما وراكا ... لما ضحكت ولأكثرت البكا
قد حُفّت الجنة بالمكارهِ ... والنار بالذي النفوس تشتهي
مع كون كل منهما لدينا ... أدنى من الشراك في نعلينا

فسبحان من بسط ميزان العدل للعادلين، وسبحان من نشر القبول للمقبولين، وسبحان من فتح باب التوبة للتائبين، فمن مُقبِل ومُدبر، ومن سعيد وشقي، ومن تائب وخائب.

فنسأل الذي بيده مفاتيح القلوب، أن يفتح على قلوبنا وقلوبكم، وأن يعتق رقابنا ورقابكم من النار، وأن يُنقذنا من عذاب جهنم، وأن يجعلنا ممن قبل صيامه وقيامه وذكره وتلاوته.

ربنا تقبل منّا أحسن ما عملنا وتجاوز عن سيئاتنا في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.





يوم العيد

الحمد لله، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً.. وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً..

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.. بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

ففي صباح يوم العيد، يوم تطل شمس العيد، ويبزغ نورها وترسل أشعتها، في ذاك الوقت الباكر الساحر تتنزل الملائكة من السماء، زُرافات ووحداناً، تتنزل ملائكة الرحمة في ثوب جميل بهي، تتنزل الملائكة في صباح عيد المسلمين.. ومعها الصحف. فتقف على السِّكك، والمنحنيات، والطرقات، وبمداخل الشوارع، تسجِّل الذاهبين إلى المصلَّى، وتُرسل إليهم الهدايا المعنوية، والجوائز الرمزية، التي كلَّفهم الله بإعطائها للعباد.

فمِن آخذٍ جائزته بيمينه فمقبول وسعيد.. ومن مطرودٍ خائفٍ شقي.

والملائكة يوم ينصرف الناس من المصلى يشهدون للمقبولين بالقبول، والمردودين بالرد، فلا إله إلا الله، كم من مقبول يوم العيد قد فرحَ وسُرَّ، وكم من مطرود يوم العيد قد خاب وخسر.

فمَن قضى الشهر في الصيام والقيام، والذكر والتلاوة، والعبادة والخشوع، قبله الله يوم العيد، وألبسه جديد التوبة مع جديد الثياب. وجعله الله في دار المغفرة والرضوان.. ومَن ضيَّع عمره في رمضان، وعصى الله، واجترأ على حرمة الشهر، وتعدَّى حدود الله، وانتهك محارم الله، لا ينفعه والله لبس الجديد، بل يعود نادماً خاسراً فاشلاً.

يوم العيد سر من أسرار هذه الأمة، فيه تخرج الأمة الإسلامية معلنة تضامنها والتزامها وتكافلها.

يوم العيد يكون ترنيمنا ونشيدنا الخالد.. «**الله أكبر كبيراً**»، فالله أكبر من كل قوة، والله أكبر من كل هيئة، والله أكبر من كل كيان.. «**الله أكبر**» له البقاء والرفعة، «**الله أكبر**» له الثناء والمجد، «**الله أكبر**» له البقاء أبداً سرمداً..

والتكبير يوم العيد سنَّة سنَّها رسول الله ﷺ، في المناسبات وغيرها، فكأنما نقول للناس: يا من تكبَّر وتجبَّر إن الله أكبر منك، ويا مَن غفل وسها وتمرَّد على الله، الله أكبر منك.

في العيد نلبس الجديد ونُظهر النعمة التي أنعم الله بها علينا، فنقول بلسان الحال: يا ربِّ هذه نعمُك علينا، يا رب هذا اللباس الذي ألبستنا.

ونقول للناس: انظروا لنِعَم الله علينا، انظروا لفضل الله علينا، انظروا لكرم الله علينا. فقد قال ﷺ: «**إن الله يُحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[(١)].

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢٨١٩) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وقال: حديث حسن، وهو كما قال.

وقال: «**إذا أتاك الله مالاً، فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته**»[١].

وقد خرج ﷺ يوم العيد ليصلي بالأمة الإسلامية، وليقود الجماهير لخطبة عاطرة رضية، فلبس حُلَّة حمراء من أحسن الحُلل، ليُظهر جمال الإسلام.

وفي يوم العيد نتوضأ ونغتسل لأن ذلك سُنَّة، ونخرج ونقول: يا رب طهَّرنا الأجساد فطهِّر القلوب، طهَّرنا الظاهر فطهِّر الباطن.. طهَّرنا ما ظهر للناس، فطهِّر ما خفي عنهم.

وفي يوم العيد نخرج من طريق ونرجع من طريق آخر، والأحسن أن نأتي مشاة، لنقول لكل عدو للإسلام: ها نحن الأمة المسلمة خرجنا إلى الله، منيبين إليه، شاكرين نعماءه، ونمشي على الأرض، وهو الأفضل؛ لنطلب الثواب من الله عز وجل، ولنقول: عليك أيتها الأرض نمشي، وعلى ظهرك نأكل ونشرب، وفي باطنك نُقبَر، فنحن عباد من تراب..

ونعود يوم العيد من طريق ليرانا الذين لم يرونا من الطريق الأولى، فكأننا حشود منظمة، أو كتائب منسجمة، أو إطلال من إطلالات الفجر، أو شعاع من شعاعات النور..

وفي يوم العيد أمرنا ﷺ بزكاة الفطر، لنغني الفقراء، فلا يصح أبداً أن نلبس الملابس الغالية، ونركب المراكب الفخمة، ونسكن القصور الشاهقة، والفقراء يموتون على الأرصفة جوعاً وبرداً وعطشاً.

وأجلُّ معاني العيد يا أمة العيد، أن نعود إلى الحي القيوم.. فمن لا يعود إلى الله، ولا يعلن العودة إلى الله فليس له عيد.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٣/٤٧٣)، والنسائي (٢/٢٩١)، وأبو داود (٤٠٦٣)، والحاكم (٤/١٨١) من حديث أبي الأحوص عن أبيه، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

لماذا يفرحُ وقد ابتعد عن الله؟ لماذا يفرح وقد قطع الحبال بينه وبين الله؟ لماذا يفرح وقد أوصد أبواب التوبة بينه وبين الله؟

فمعنى العيد: أن تعود إلى الله، وتعلن توبتك، كما يفر العبد فيعود إلى مولاه عبداً آبقاً خائفاً.

ومن معاني العيد: أن نقف صفوفاً في المصلَّى وكأننا نقول: يا رب إن قبلت فزدنا قَبولاً، وإن غضبت فآتنا رضاك، وإن أذنبنا فتب علينا.

ومن أجلِّ أسرار العيد، أن نتواصل فيما بيننا ونتزاور.

ولا نكون كمن قال الله فيهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

فحينما تأتي يوم العيد فتزور أباك، وأمك، وأخاك، وأختك، وعمَّك وعمَّتك، وخالك وخالتك، وكل قريب يقرب منك، وصلك الله بوشيجة منه، فإن الله لما خلق الرحم قال: تكلَّمي.

قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. وتعلقت بالعرش.

فقال الله: ألا ترضين أن أصِل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟!

قالت: بلى.

قال: فذاك لك[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأنزل الله الرحم، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

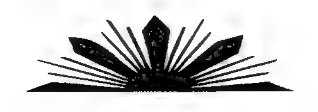
والذي لا يصل رحمه يوم العيد كأنه ما فعل شيئاً، فإن من أسرار العيد أن تصل رحمك، وأن تُدخل السرور على من جعل الله بينك وبينهم وشائج قُربى.. وأن تريهم نفسك، وأن يسمعوا حديثك، وتسمع حديثهم، لأن الحياة قصيرة فلا تقطعها بالقطيعة.

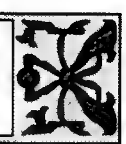
ومن أسرار العيد أن تعود إلى صف المسلمين، في الجُمَع والجماعات، في المناسبات، في الأعطيات، والتبرعات، وأن تقف معهم صفاً واحداً، فأنت عضو حسَّاس من أعضائهم، وأنت مُضغة من جسمهم، وأنت ذرَّة من هذا الكيان الخالد.

وبؤساً للقوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، وبؤساً للعبد الذي إذا أتى رمضان، صام وقام، وتلا آيات الواحد العلاَّم، ثم رجع يوم العيد إلى ما كان عليه من البُعد والضياع.

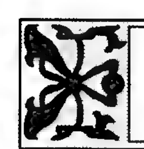
لما سمع الإعلان يوم العيد تمرَّد على رب العبيد، أليس رب رمضان هو رب شعبان وشوال؟.. أليس رب رمضان هو الذي يدرك السر وما يدور في الخلدان؟.. أليس رب رمضان هو المطَّلع على ما تخفيه الضمائر في الوجدان؟

فيا عباد الله، مَنْ عرف الله في رمضان فليَصل بمعرفته كلَّ آن.. ومن تاب إلى الله في رمضان فليواصل توبته إلى الله في كل زمان ومكان.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





انطباعات رمضانية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهذه بعض الانطباعات حول شهر الصيام وواجبنا تجاهه، بدأت فيها بالحديث عن الإخلاص في الأعمال وأن تكون متابعة للمعصوم ﷺ.

ثم بيَّنت واجب الصائم بحفظ أعضائه وكيف يجعل من تلك الأعضاء أنفساً تصوم.. القلب والعين واللسان والأذن.

ثم تنبيهات للشباب حول حفظ الوقت والزمن على ما ينفعهم في هذا الشهر.

فأقول:

أما إخلاص العمل فالمقصَد هو الله.

كان أحد الوعّاظ إذا جلس في مجلس الوعظ قال وهو يلتفت إلى السماء: إنك تعلم ما نريد، كل شيء هالك إلا وجهه، ما عُمل للدنيا يفنى، وما عُمل من أجل الناس يذهب إلى الناس ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

﴿لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

صائمان اثنان: هذا جائع وذاك جائع، وهذا ظمىء وذاك ظمىء، وهذا سهِر وهذا سهِر، ولكن شتَّان ما بين الفريقين.

أما ذاك فقد تقبَّل الله عمله؛ لأنه قصد وجه الله، ورضي الله عنه وأرضاه؛ لأنه أراد بعمله وجه الله تعالى.

وهذا ردَّ الله عليه عمله كله، فلا قبِل جوعه، ولا قبِل ظمأه، ولا قبِل سهره ولا قبِل صيامه؛ لأنه راءَى ولم يخلص النية.

ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال عن الله سبحانه: «**من أشرك معي في عمل أحداً تركته وشركه**»[1].

وفي الصحيحين: «**من راءَى راءَى الله به، ومن سمّع سمّع الله به**»[2].

إذاً يا أيها الفضلاء، يا أيها النبلاء، لا بد أن نعرف مسألتين في الإخلاص:

أولها: أن نعرف الله، فهو القدير الذي بيده مفاتيح القلوب والمعطي، والمانع، والقادر، والباسط، والقابض، والمحيي، والمميت ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

إخوتي في الله يقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء**

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦ ـ ٢٩٨٧).

ما نوى»[١]، كثير من الناس يجوّدون صلاتهم من أجل الناس، ويصومون من أجل الناس، ويتلون كتاب الله من أجل الناس ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].

فأوصي نفسي وإياكم أولاً بمعرفة الباري وهو الله الذي يوم لقيه موسى في أول لقاء تاريخي قال يا موسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

يقول شاعر السودان مقرِّراً هذه الحقيقة وهي معرفة (الله):

قل للطبيب تخطفته يد الردَى ... من يا طبيب بطِبِّه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي ... من الذي بالشهد قد حلاَّك
وإذا ترى الثعبان ينفث سُمّه ... فقل من ذا الذي بالسم قد حشاك
واسأله كيف تعيش أو تحيا يا ... ثعبان وهذا السم يملأ فاك
فالحمد لله الكريم لذاته ... حمداً وليس لواحد إلاَّك

فلا بد أن يعيش المسلم في توحيد الرب جل جلاله، ومعرفته، والإنابة إليه.

فشرفنا وأصالتنا وعمقنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فنحن ما خلقنا للغناء، وما خلقنا للرقص والتطبيل، والمسرحية الآثمة والفيديو المهدِّم.

بل عشنا لكي نحقق معاني العبودية، والإخلاص في حياتنا، وهذا هو الأمر الثاني بعد معرفته سبحانه وتعالى.

أما متابعته ﷺ فاسأل نفسك في صيامك، وفي صلاتك، وفي

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سبق.

حجّك، وفي هديك، وفي ليلك ونهارك، من هو إمامك؟ من هو قدوتك؟ من هو الذي تحبه في الحياة؟

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه — فيه العفاف وفيه الجود والكرم
يا من تضوّع طيب القاع أعظمه — فطاب من طيب ذاك القاع والأكم

اسأل نفسك من هو قدوتك في الحياة؟ اعرض أعمالك على محمد ﷺ، فإنه برهان.

زِن أقوالك وأقواله فإنه ميزان.

فإن خالفته فاعلم أن في البضاعة بهرجاً، وأن في العملة زيفاً، وأن في البضاعة غشاً لا يقبله الله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

من الذي أحيا القلوب بإذن الله؟

من الذي غرس فيها لا إله إلا الله وكانت ميتة؟

من الذي أخرج للعالم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وحساناً وابن عباس؟

إنه رسولنا ﷺ.

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له — وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة — والرسل في المسجد الأقصى على قدم
كنت الإمام لهم والجمع محتفل — أعْظم لمثلك من هادٍ ومؤتمم

أليس خزياً وعاراً أن يحفظ بعض الناس تواريخ البشر وينسون تاريخ أعظم البشر؟

يقرأون سيرة أخسِّ البشر ويتركون سيرة أكرم البشر.

يحفظون آداب أحقر البشر من الأقزام، ويتركون العظيم الذي ما طرق العالم مثله.

فالمطلوب من المسلم: متابعته ﷺ في الصيام.. كيف يصوم؟ ما هو هديه في الصيام؟

وأحسن من تحدّث في هذا الموضوع هو ابن القيم في (زاد المعاد).

كان ﷺ أصبر الناس على الصيام، يواصل الليالي والأيام ولا يأكل لقمة ولا يشرب جرعة، فيريد الصحابة أن يواصلوا مثله ولكن هيهات، شتَّان ما بين الفريقين والمَثَلَيْن.

هم فضلاء ولكن هو نوع آخر.

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإنَّ المِسكَ بعض دم الغزال

يقول: «**إني لست كهيئتكم**»، رفض أن يواصلوا معه «**إني أبيت فيطعمني ربي ويسقيني**»[1]، يا للعظمة! يا للجلال! الله يطعمك ويسقيك فكيف تكون صائماً؟

قال ابن القيم: ليس طعاماً محسوساً وليس شراباً محسوساً، بل طعام المعاني وطعام الأرواح بالكلمات النيِّرات التي تتنزل عليه من السماء.

طعام الإشراق والحكمة وطعام المعرفة.

أما الصدق وحسن التوجه إلى البارىء فهو غير الإخلاص، لأن الإخلاص شيء من الصدق، والصدق شيء من الإخلاص، لكن الصدق يزيد عليه.

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ـ ٧٢٩٩)، ومسلم (١١٠٣) وقد سبق.

الصدق: أن تصدق في عبادتك ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] أن تصدق في الكلام، أن تصدق في العمل. يقول ﷺ: «**إنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدقَ حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً**»[1]. الصدق عجيب، والصدق من أحسن ما يكون.

سُجن أحد الأخيار من العلماء في سجن في بغداد، وكان الذي سجنه المهدي، الخليفة ابن أبي جعفر المنصور، وسبب السجن أن الخليفة يقول للعالم: لا بد أن تخبرني أين عيسى بن زيد، وهو من نسل علي بن أبي طالب، رجل فاضل ورجل عظيم، لكنه اتُّهم بأنه يريد الخلافة، فأتى الناس الوشاة وقالوا لهذا العالم بأن هذا الرجل الصالح في بيتك فذهبوا به إلى الخليفة.

فقال له الخليفة: أخرج عيسى بن زيد.

قال: والله ما كذبت في حياتي، ووالله الذي لا إله إلا هو لو كان عيسى بن زيد بين جلدي وعظمي ولحمي ما أخرجته.. أتقتل ابن بنت رسول الله ﷺ؟

قالوا: اضربوا عنقه.

فاقتربوا بالسيف من عنقه وقال: قل لي أين هو؟

قال: والله لا أكذب أبداً وهل جزاء الصدق إلاّ الجنة؟!

قال: اضرب عنقي، فضربه ففصل رأسه عن جسمه.

فمعنى الصدق أن تصدق في العبادة، وأن تكون موافقة لسنة الرسول ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

وأما صوم القلوب: فيا أيها الإخوة: إن مفهوم الصيام عند كثير من المسلمين هو أن يتركوا الخبز، والفاكهة، واللحم من طلوع الفجر إلى المغرب.

وهذا صيام في الشريعة، لكن مفهوم الصيام، ومقصد الصيام، وجلالة الصيام بأن يصوم قلبك عن السوء وأن تهجر السيئات من الكبْر ومن العُجْب، ومن الحقد ومن الحسد.

كيف يصوم البطن ولا يصوم القلب؟ كيف يصوم من يعتقد الاعتقادات السيئة الباطلة؟ اعتقاد الاستهزاء بالكتاب والسنّة، اعتقاد الاستهزاء بالرسول ﷺ، الاستهزاء بالصالحين، التكبر على عباد الله، العُجْب، بما عنده من منصب، أو ثروة، أو وظيفة، أو سيارة.

بعض الناس قلبه كقلب فرعون، ولو كان يصلي مع الناس، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت العتيق، فقلبه مثل قلب فرعون، فهو لا ينظر إلى الناس، ولا يرد السلام، ولا يبتسم، ولا يعرف من الإسلام شيئاً، صوّر له شيطانه أنه من أعظم الناس.

خفِّف الوطأ ما أظن أديم ... الأرض إلا من هذه الأجساد
صاح هذه قبورنا تملأ الرحب ... فأين القبور من عهد عاد

وظاهرة الكِبر انتشرت في المجتمع خاصة في من حاز منصباً، أو مالاً، أو ثروة، أو وجاهة في المجتمع، أو علماً، أو معرفة، أو شهادة عالية، أو ثقافة.

فتجده لا يرى الناس شيئاً، وعلامة المتكبِّرين الذين ما صامت قلوبهم منها: سواد الوجه واكْفِهْرارُه، فهو بخيل بالبسمة كأنه ينحت من جسمه إذا أراد أن يبتسم لك.

سبحان الله!

وجوههم من سواد الكِبر عابسة ... كأنما أُورِدوا غصباً إلى النار

هانوا على الله فاستاءت مناظرهم يا ويحهم من مناكيد وفُجَّار
ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً أهدوك من نورهم ما يُتحف الساري
من تلقَ منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فمن علامات الصالحين في رمضان وغير رمضان: البسمة، وحسن الخلق، ولين الجانب، والزيارة، ورد السلام، والعِشرة الطيِّبة.

أما أن يحشوَ الإنسان قلبه بالكبر، ويتكبر على عباد الله، ويتغطرس على الناس بما عنده من ماديات، فهذا والعياذ بالله ما صام.

صيام القلب بأن يصوم عن الاعتقادات الباطنة، والزندقة، والإلحاد، والشكوك الآثمة.

وأنا أيها الإخوة أسمع من كثير من الشباب الذين بدأوا في الهداية بأنهم يجدون وساوس في قلوبهم، وخَطَرات، وواردات، وعلاج هؤلاء أمران:

أولاً: تدبُّر كتاب الله ـ عز وجل ـ صباح مساء، وأن يجعل المسلم القرآن أنيسه وسميره.

والأمر الثاني: الابتهال إلى الله الواحد الأحد، ثم الجزم.

إذاً.. فالصيام لا يناسب الكِبْر.

فكيف يكون عبداً لله ويتكبر؟ مسكين من يتكبر، وضعيف من يختال على الناس؛ لأنه ما عرف نفسه ولا عرف ربه، ولذلك يسمي السلف الصالح المتكبِّرين: حَمْقى.

قيل لأحد الصالحين: من هو الأحمق؟

قال: من لم يعرف ربه ولم يعرف نفسه.

مرَّ ابن هُبيرة أحد أمراء بني أمية بجيش عَرَمْرَمَ على خيول متوَّجة

وعليهم الديباج والحرير، فهو أمير قد نسي نفسه ونسي الله.

فقام له الناس جميعاً إلا الحسن البصري جلس.

قال: لِمَ لم تقم يا حسن وقد قام لي الناس؟

قال: أردت أن أقوم فتذكرت فيك ثلاث خصال فما قمت لك.

قال: ما هي؟

قال: علمتُ أنك أتيت من نطفة مذرة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ⑦﴾ [الطارق: ٧].

وعلمتُ أنك تحمل في بطنك العَذِرة (الغائط).

وعلمتُ أنك تصير إلى جيفة قذِرة، تُرمى في التراب كما تُرمى الكلاب، فما قمت لك.

فنكّس رأسه خجلاً أمام الناس وذهب.

وهذه معرفة الموحّدين بقدر المتكبِّرين.

وأن يصوم القلب عن العُجب بألا تعجبه نفسه، أو علمه، أو ثقافته، أو شهادته.

يا أيها الإخوة، إن هذه الشهادات مهما علت، والله، لا تساوي قيمة الأحذية إذا لم تكن بإيمان.

والله، ليس لها وزن في الدنيا ولا في الآخرة، والله إنها لعنة على صاحبها إن لم تكن تدله على الإيمان، والمسجد، والقرآن، وخشية الله.

والمناصب كذلك ليست بشيء فأعظم منصب في الدنيا تولاّه فرعون الذي يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، لكنه أصبح في اللحظات الأخيرة والسكرات يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] أين منصبك؟ أين وظيفتك؟ أين جاهك؟.

ومما ينبغي أن يصوم عنه القلب أن يصوم عن الحسد والحقد.

فالحسد خصلة ذميمة وهي من خصال بني إسرائيل أتى بها الشيطان وهكذا الحقد.

أما صوم العيون.. فإن كثيراً من الناس، نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم، قد تصوم بطونهم، وتصوم فروجهم، وتصوم أكبادهم عن الماء، ولكن لا تصوم عيونهم؛ فهم ينظرون إلى الحرام إلى عورات المسلمين إلى كل مفتونة، وكل منظر يغضب المولى تبارك وتعالى.

وهذا ليس بصيام والله يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، ومما يؤثر: النظر سهم مسموم من سهام إبليس». وجزاء من غضَّ البصر أن يعوِّضه الله إيماناً يجد حلاوته في صدره.

نظر أحد الناس إلى امرأة فاتنة فقال له أحد الصالحين: أتنظر إلى حرام؟ والله لتجدنّ غبها ولو بعد حين.

قال: فنسيت القرآن بعد أربعين سنة، جزاء للمعصية وعقوبة على ما اقترفت عينه.

ولذلك فأكثر ما نجده في الحياة من هَمٍّ، أو غَمٍّ، أو حزن، أو مصائب، أو رسوب، أو فشل، أو انهزام، أو تقهقر، أو فقر، أو مرض، فهو من الذنوب والخطايا ومما كسبت أيدينا.

قال بعض أهل العلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: ٧٥]: الذين يغضون أبصارهم يرزقهم الله فراسةً إيمانية.

ولذلك قالوا عن ابن تيمية أنه كان ينظر بنور الله لأنه يغض عن محارم الله، حتى ذكروا أنه كان يعرف الزاني من صورته، والكاذب، والمخادع.

حتى يقول الذهبي عنه: كانت عيناه كلِسانين ناطقين.

أما اللسان: فهو السُّم الزُّعاف، وهو القتل كل القتل.

يقول الرسول ﷺ لمعاذ والحديث صحيح: «**ألا أدلك على مِلاك ذلك كله**»؟ على ما يجمع لك الخير؟

قال: بلى.

قال: «**كُفَّ عليك هذا**»، وأخذ بلسان نفسه.

قال: يا رسول الله، أإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

قال: «**ثكِلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على أنوفهم إلاّ حصائد ألسنتهم**»[١].

سبحان الله ما أعدى اللِّسان!

سبحان الله ما أشد ضرر اللِّسان!

لا إله إلا الله كم صرع اللسان من عظيم!

احذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنَّك إنه ثعبان

كم في المقابر من صريع لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨] فأنت تمزح والملائكة تسجِّل.. تتكلم، تذكر الله، تأتي بفسق أو بباطل أو لعن أو هراء أو غيبة أو نميمة أو

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٥/٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

زور، فكله مسجّل عليك، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي أثر: «**من صَمَتَ نجا**»[1].

وقال ابن مسعود: والله ما في الدنيا أحق بطول حبس من اللسان.

وكان أبو بكر، رضي الله عنه، يأخذ بلسان نفسه ويقول: هذا أوردني الموارد ويبكي.

ويقول ابن عباس على الصَّفا وهو يبكي: يا لسان، قل خيراً تَغْنَم أو اسكت عن شرٍّ تَسْلَم.

فهل قيدنا ألسنتنا؟ وهل حسبنا ما نتكلم به في الأعراض، وفي الذِّمم، وفي حُرمات المسلمين، وفي لحوم عباد الله الموحدين؟ وهل ابتعدنا عن الكذب، والغيبة، والفُحش، واللعن البذيء، وقِلَّة الحياء التي كلها من اللسان؟ حتى يقول بعض أهل العلم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

وأما صيام الأذن: فأن تصوم عن سماع الباطل وعن السماع الشيطاني.

وقد قسم أهل العلم السماع إلى قسمين: سماع رحماني شرعي ديني، وسماع شيطاني طاغوتي إلحادي.

فأما سماع أهل الإيمان فهو القرآن.. كان عمر رضي الله عنه وأرضاه إذا أحسن من نفسه قسوة جمع الصحابة وقال: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا.. لأن أبا موسى ذو صوت جميل حسن.

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢: ١٥٩ ـ ١٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٦).

فيقرأ، والصحابة يستمعون، ويبكون تأثراً بالقرآن.

لقد عاش ذاك الجيل مع القرآن؛ لأن القرآن تنزَّل مع حياتهم.. يفعل الواحد منهم فعلة فيأتي القرآن يفتيه فيها.

يسأل سؤالاً فيأتي القرآن بجواب السؤال.

يحضرون المعركة مثل بدر، وأُحد، والأحزاب، وحُنين فيتنزل القرآن ويخبرهم عن المعركة.

فلذلك عاشوا في ظلال القرآن.

وأنا أعجب، والله، من كثير من الشباب، عشرات بل مئات، حتى في جزيرة العرب، جزيرة محمد ﷺ، جزيرة أبي بكر، وخالد بن الوليد، سيوف الإسلام، وأسود المعمورة، وحكماء الدنيا، ويأتي العشرات بل المئات من الشباب لا هَمَّ لهم إلا الأغنية الماجنة، والسماعِ الشيطاني، وطوال الوقت هو مع هؤلاء المغنين الراقصين الذين عطّلوا مسيرة الأمة عن التضحيات والبذل والعطاء.

حتى أصبحنا في مؤخِّرة الركب، وسخِر منا الأعداء بسبب هذا التهالك.

فكيف يرضى الإنسان أن يعيش حياته كلها مع هذه الأغاني غافلاً عن كتاب ربه؟ فيا أحبتي في الله، عليكم بالسماع القرآني الذي يحيي قلوبكم وفِرُّوا من سماع الخنا وسماع أهل الوله والفسق الذي مصيره الوقوع في الزنا أو الإعراض عن دين الله.

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا ... فلأيام الصبا نجم أفل
واهجر الخمرة إن كنت فتى ... كيف يسعى في جنون من عقل
واتق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرىء إلاّ وصل

وأما صيام اليد: بأن تمتد بالإحسان، وتكف عن الباطل، فتعطي بها الفقراء الصدقات، والطعام، وتعين بها الناس، وتكفها عن المعاصي الخاصة بها من البطش والضرب.

وأوصيكم في شهر الصوم بالصدقة كثيراً، فإنه شهر الصدقة، وشهر البر والإحسان، وقد كان ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان.

والناس عيال الله، فأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله، بتقديم الصدقات لهم، وملاحظة حاجتهم، والقيام بشؤونهم في هذا الشهر الفضيل.

وواجب على الشباب هذا الشهر أن يهتموا بترتيب أوقاتهم، وأن لا يصرِفوها في اللهو والضياع كما قد تعوَّدوا في الأشهر الماضية، لكن يكون هذا الشهر نقلة لهم من عالم المعصية إلى عالم الطاعة، ومن عالم الضلال إلى عالم الهدى.

دقاتُ قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني

وخير من يحرص على وقته هم الشباب، لكي لا يضيع سُدى بين القيل والقال، واللعب، والمعاصي، بل يُصْرف في حفظ القرآن، وفي الطاعات وفي قراءة الكتب النافعة، وسماع المفيد.

وأن يستغلوا وقت السَّحَر الذي ينزل فيه ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة فينادي: «**هل من سائل فأعطيه هل من داعٍ فأستجيب له... هل من مستغفر فأغفر له**»[١] إلى أن يطلع الفجر.

فواجب أن يستغلوه في التضرع إلى الله الحي القيوم، بأن يتوب

(١) صحيح، سبق تخريجه.

عليهم، وأن يصلح حالهم، لا أن يكون هذا الوقت بين لعب، ومشاهدة لما يغضب الله أو فيما لا مصلحة فيه.

وينبغي على الصائم أن يتهيأ للإفطار، وأن يتلمس لحظته بالدعاء، لأن للصائم دعوة ما تُرد إن شاء الله.

فينبغي التهيؤ النفسي لتلكم الدقائق، لا أن يكون المرء قد قام قبل دقائق من نومه وهمه التقام التمر.

وأما صلاة التراويح فعليكم بها، فإنها العبادة السنوية التي تجلب الروحانية إلى القلب، وتريحه من عناء تلكم الأشهر الطويلة التي ضاعت في أمور لا تنفع.

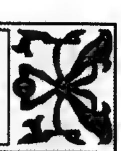
فهي استراحة المسلم، ولكنها استراحة روحانية.

فينبغي على المسلم أن يحرص عليها جداً وأن يأخذ أهله معه إليها ولا يحرمهم إياها.

هذه بعض الانطباعات عن شهر رمضان، وواجب المسلم تجاهه. أما تفصيل الأحكام فمكانه رسائل أخرى من هذا المجموع، والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.





على عتبات باب الريّان

الحمد لله الملك القُدُّوس السلام، ذي الطَّول والعزة والإكرام، هدانا للإسلام، وشرّفنا بالصلاة والصيام.

والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخِيرة المصلين الصائمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذا كتاب «**على عتبات باب الريّان**» جمعت فيه من الآيات أوقعها، ومن الأحاديث أصحّها، ومن الأبيات أعذبها، ومن المواعظ أرقَّها، فهو كتاب للصالحين في مجالس السَمَر، وللمتنقلين في منازل السفر، وللأحباب في النُزُهات، وللوعّاظ في المحاضرات، ولعل الأستاذ أن يستفيد منه، والخطيب أن يعرِّج عليه. وإمام المسجد أن يقرأ فيه.

جعلت من مقاصد هذا الكتاب أموراً ثلاثة:

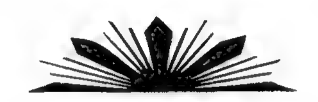
أولها: توثيق مواعظه ورقائقه بآيات الكتاب العزيز والسنة الصحيحة الثابتة، فلا أُورد حديثاً ضعيفاً أبداً، ولا قصةً واهية، ولا أثراً مستغرَباً.

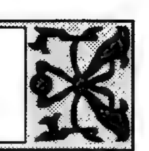
ثانيها: قصدت به غرس الإيمان في النفوس وبناء اليقين في القلوب، وما قصدت جمع الأحكام أو المسائل الفقهية، إذ كفاني في

هذه المهمة الفضلاء فأَثْرَوْا بما كتبوا المكتبة الإسلامية. فجانب الأحكام كثيرة مادّته، ولكن الإيمانيات والعبر الموجبات والنداءات الجليات هي التي تنقصنا، فعسى أن يكون هذا الجهد ملبّياً لهذا الطلب.

ثالثها: حرصت في هذه الدروس على أن أكسوها بجلباب الأدب القشيب، وأن أتوِّجها بتاج الفصاحة الأغرّ، سيراً على منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في جمال العبارة، وإشراق الألفاظ وروعة الدّيباجة، ليكون المطالِع بين جدولٍ وخميلةٍ، وبستان وواحة، وماءٍ وظلٍّ، وطلٍّ وندى.

دررٌ تعيشُ الأذنُ في نغماتِها بمطرّزٍ عذبٍ وغيرِ مطرّزِ





القرآن الكريم وشهر رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فالقرآن الكريم يُحبُّ رمضان، ورمضان يُحب القرآن الكريم، فهما صديقان حبيبان. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نزل القرآن الكريم كله إلى سماء الدنيا من اللّوح المحفوظ في رمضان، وتشرَّف هذا الشهر بنزول هذا الكتاب فيه، ولذلك كان ﷺ يتدارس القرآن الكريم مع جبريل عليه السلام في رمضان، يسمعه ويتدبّره، ويتلوه، ويتأمّل عِبرَهُ، ويعيش أنداءه، ويسرّح طرف القلب في خمائله، ويُطلق كفّ الحبّ في كنوزه.

إنّ الصائم القارىء يُؤلف في صيامه بين رمضان، وبين القرآن الكريم، فيعيش هذا الشهر مع هذا الكتاب العظيم الذي قال الله فيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

القرآن الكريم في رمضان له طعم ومذاق، وله إيحاءات خاصة ودلالات من نوع آخر.

القرآن الكريم في رمضان مُخْضلّ الأنداء، معطّر النّسمات، شذيّ الأنفاس.

القرآن الكريم في رمضان يُعيد ذِكرى نُزوله، وأيّام تدارسه، وأوقات اهتمام السلف به.

جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«اقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**، وقال ﷺ: **«خَيرُكُم من تعلّم القرآنَ وعلّمَهُ»**، وقال عليْه الصلاة والسلام: **«اقرؤوا الزّهرَاوين، سورة البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان كغمامتين أو غيايتين، أو كفُرقان من طير صَوافّ تظلاّن صاحبهما يوم القيامة»**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرةِ الكرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن وهو يُتَعْتعُ فيه لَهُ أجرانِ»**.

سَمِعْتُكَ يَا قُرآنُ واللّيْلُ غافلٌ ... سرَيتَ تَهزُّ القَلْبَ سُبْحانَ من أسْرى
فَتَحْنَا بك الدُّنيَا فأشْرقَ صُبْحُهَا ... وطُفْنَا رُبوعَ الكَوْنِ نَمْلؤُهَا أجْراً

أسلافنا إذا قدم شهر رمضان فتحوا المصاحف، وحلّوا، وارتحلوا مع القرآن الكريم.

بيوت سلفنا كان لها في رمضان خاصّة دويٌّ كدويّ النّحل، تُشعُّ نوراً وتملأ سعادة، كانوا يرتّلون القرآن الكريم ترتيلاً، يقفون عند عجائبه ويَبْكُون من عظاته ويفرحون ببشاراته ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

إذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ ... تَبيّن من بَكى ممّن تَباكى
فأمّا من بَكى فيذوبُ وَجْداً ... لأنّ به من التّقْوى حِراكا

وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه استمع لأبي موسى رضي الله عنه ثم قال له: **«لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة،**

لقد أوتيتَ مِزمَاراً من مزامير آل داود»[١].

وإنّـي لَـيُبْـكِـيـنـي سَـمَـاعُ كَـلاَمِـهِ فَكَيْفَ بعيني لَوْ رَأتْ شَخْصَهُ بَدا
تَـلاَ ذِكْـرَ مـولاهُ فـحـنّ حـنِـيـنـه وشـوقُ قـلـوبِ الـعَـارِفـين تـجـدّدا

لما فسدت أمزجة المتأخرين عن سماع كلام ربِّ العالمين، ظهرت التربية معوجّة، والفطرة منكوسة، والأفهام سقيمة.

لما استبدل القرآن الكريم بغيره حلّ الفساد، وكثر البلاء، واضطربت المفاهيم، وفشلت العزائم.

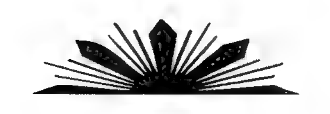
القرآن الكريم مهمته هداية الناس إلى طريق الله المستقيم.

القرآن الكريم نور وشفاء لما في الصدور وعلم وثقافة ومعرفة وبرهان.

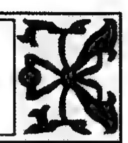
القرآن الكريم حياة وروح، وإنقاذ وسعادة، وأجر ومثوبة.

القرآن الكريم تعاليم ربانية، ودستور إلهي، وحكمة خالدة:

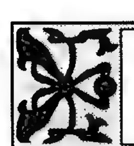
فهل لنا أن نعيش مع القرآن الكريم في رمضان وغير رمضان، وهل لنا أن نعرف عظمة القرآن الكريم فنملأ حياتنا سعادة بالقرآن الكريم، ونوراً بالقرآن الكريم، وإشراقاً مع القرآن الكريم. هل لنا أن نفعل ذلك؟



(١) رواه البخاري (٥٠٤٨) دون القسم الأول، ومسلم (٧٩٣).



حداء الصائمين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

للصائمين نغمات خاصة، وأهازيج موقّرة وحداء خالد.

الصائمون أكثر الناس ذكراً لله عزّ وجلّ تسبيحاً، وتهليلاً، وتكبيراً واستغفاراً، إذا طال النّهار على الصائمين قصّروه بالأذكار، وإذا آلمهم الجوع أذهبت حرارته الأذكار، فهم من ذكرهم في مُتعة، ومن تسبيحهم في سعادة. يذكرون الله فيذكرهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويشكرونه فيزيدهم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

الصائمون الصادقون يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

الصائمون الصادقون تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتسعد أرواحهم بحبّ الله، وترتاح نفوسهم بالشوق إلى لقاء الله.

ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكره كمثل الحيِّ والميّت**»[1]، فلا إله إلا الله كم من ميِّت ما عرف الذكر، وهو يعيش في الحياة يأكل ويشرب ويسرح ويمرح؟ ولكنه ما عرف الحياة أبداً.

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«سبق المفرِّدون»** قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: **«الذّاكرون الله كثيراً والذاكرات»**(١).

الصائم الذّاكر أسبق الناس إلى الخيرات، سريع إلى الجنة، بعيد عن النار، سجلاته مليئة بالحسنات، مُفعمة بالخيرات، فهنيئاً له.

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال لرجل سأله عن عمل يتشبث به، قال له: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**(٢).

والتعبير هذا جميل كلّ الجمال، غاية في الروعة، نهاية في الإبداع، كيف يجوع الصائم وهو يذكر الله دائماً، كيف يظمأ الصائم وهو يُسبح الله أبداً.

رُبَّ ذِكْرَى قَرّبَتْ مِن نَزَحَا ... اذْكُرُونا مِثلَ ذِكْرانَا لَكُم
سَكَبَ الدَّمْعَ ونادَى الفَرَحَا ... واذْكُروا صبّاً إذا مرّ بكم

الذاكرون الله كثيراً هم الذين يذكرونه مع خروج الأنفاس، وتلاقي الشفتين، وتعاقب اللحظات.

الذاكرون الله كثيراً سجَّلوا بذكرهم أعظم الأجور، وأعلى الأمنيات، وأجزل الأعطيات.

إذا أعرض بعض المقصّرين عن ذكر ربّ العالمين، اجتاحتهم الهموم، وأحدقت بهم الغموم، وتوالت عليهم الأحزان، عندهم الدواء ولكن ما تناولوه، ولديهم العلاج ولكن ما عرفوه، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٣٧٥) وحسّنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَتْ له نَخْلة في الجنة**»[١]. فكم من النخيل يفوت أهل النوم الثقيل والعبث الطويل.

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**لئن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس**»[٢].

ما هي الدنيا؟ ما هو ذهبها؟ ما هي فضتها؟ أي شيء قصورها ودورها؟

هكذا يزنها عليه الصلاة والسلام ويثمّنها، فكلّ ما طلعت عليه الشمس لا يساوي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

فهل من ذاكر يملأ ساعاته بهذه الكلمات الغاليات ليجدها يوم العرض الأكبر نوراً وحُبوراً وسرُوراً.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنّه قال: «**ألا أُنبّئكم بخير أعمالكم وأزكَاها عند مَليكِكُم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذّهب والوَرِق، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربُوا أعناقَهم ويَضربُوا أعناقَكُم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله تعالى**»[٣].

كان الأبرار إذا صلّوا الفجر جلسوا يذكرون الله عزّ وجلّ حتى يرتفع النهار، كان بعضهم ينشر مُصحفه بعد صلاة الفجر فيسرِّح طرفه في الآيات البيّنات والحكم البالغات فيملأ صدره نوراً وديوانه أجراً. إن

---

(١) حسن، رواه الترمذي (٣٤٦٤ ـ ٣٤٦٥) وحسنه.

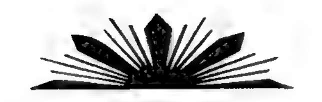
(٢) رواه مسلم (٢٦٩٥).

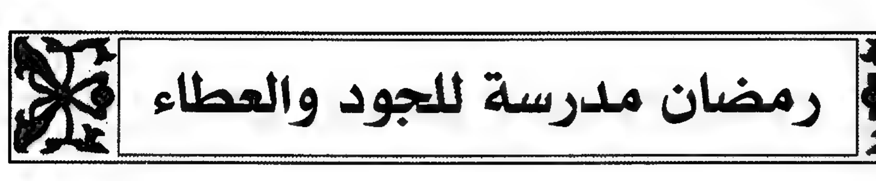
(٣) صحيح رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

المقصِّر كل التقصير من فاته رمضان، ولم يسعد فيه بذكر ربّه، ولم يصرفِ ساعاته في تسبيح مولاه.

فهل من مثابر يغتنم أنفاس العمر ودقائق الزمن؟

دقاتُ قَلبِ المرءِ قائلةٌ له   أنَّ الحياةَ دقائقٌ وثواني
فارفَعْ لنفسكَ قبلَ موتِ ذِكْرَها   فالذّكر للإنسان عمرٌ ثانِي





رمضان مدرسة للجود والعطاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسَلة[1].

إن الصيام يدعو إلى إطعام الجائع، وإعطاء المسكين، وإتحاف الفقير.

وشهر رمضان موسِم للمتصدِّقين، وفرصةٌ سانحةٌ للباذلين والمعطين:

الله أعطاكَ فابذُلْ مِنْ عَطِيَّتِه ... فالمالُ عَاريةٌ والعُمْرُ رَحّالُ
المالُ كالماءِ إنْ تُحبَس سَواقيه ... يَأسَنْ وإنْ يُجرَ يعذبْ منه سلسَالُ

(١) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) وقد سبق.

ما أجمل البذل، وما أحسن الصدقة، وما أجلّ العطاء!

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**إن لله مَلَكينْ يُناديان في كلّ صباح يقول أحدهما: اللهُمّ أعطِ منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»[١].

كلما أنفق العبد أخلف الله عليه ببسطةٍ في الجسم وراحةٍ في البال وسعةٍ في الرّزق.

صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الصّدقةُ تطفىءُ الخطيئةَ كما يُطفىءُ الماءُ النّارَ**»[٢]. والخطايا لها حرارة في القلوب، واشتعال في النفوس، ونار موقدة في الحياة، ولا يطفىء هذه الحرارة والاشتعال إلا الصدقة.

الصدقة باردة على القلب طيبة على الروح، تَحُتُّ الخطايا حتّاً.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**كلُّ امرىءٍ في ظلِّ صدقته يوم القيامة، حتى يُقضى بين الناس**»[٣]. عجيب! جدُّ عجيب، للصدقة ظل وارف ولها أفياء يتظلل في ظلها العباد يوم القيامة، وكلٌّ بحسب ظله الذي أنتجته صدقته في الدنيا.

كان عثمان بن عفان، رضي الله عنه، صاحب مال وعنده ثراء،

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) صحيح بل هو على شرط مسلم، أخرجه عبدالرزاق (٢٠٧١٩)، وأحمد (٣/٣٢١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٧٢٣)، والحاكم (٤/٤٢٢) من حديث كعب بن عجرة بسند صحيح. وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي، وهو حديث طويل.

(٣) صحيح، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٤٥)، وأحمد (٤/١٤٧)، وأبو يعلى (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٣١٠)، والحاكم (١/٤١٦) من حديث عقبة بن عامر، وصححه ابن خزيمة والحاكم وأخرجه الذهبي، وهو كما قالوا.

فجعل ماله وثراءه في مرضاة ربّه تبارك وتعالى، جهَّز جيش تبوك وشرى بئر رومة للمسلمين، وتصدّق وأعطى ولسوف يرضى.

وكان عبدالرحمٰن بن عوف، رضي الله عنه، غنيّاً موسراً، فتصدَّق مرة واحدة بحِمل سبعمائة جمل على فقراء المدينة؛ ليكافئه الله على ما فعل.

في الناس صائمٌ لا يجد كسرة خبزٍ، ولا مَذْقَةَ لبن، ولا حفْنة تمر.

في الناس صائمٌ لا يجد بيتاً يُؤويه، ولا مركباً يحمله، ولا صاحباً يُواسيه.

في الناس صائم لا يجد ما يُفطر به، أو يتسحَّر عليه.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: **«من فطّر صائماً كان له مثل أجرهِ دون أن ينقصَ من أجر الصائمِ شيئاً»**[1].

الصالحون يزيد كرمهم في رمضان، فيبذلون ويُعطون وينفقون.

كان كثير من الأخيار يتكفّل بإفطار جماعات من الفقراء والمساكين طلباً للأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله تعالى.

كانت مساجد السلف تمتلىء بالطعام المقدَّم للفقراء، فلا تجد جائعاً ولا محتاجاً.

والعجيب أنّ كلَّ ما يُنفقه العبد في أكله وشربه ولباسه، فانٍ زائل لا محالة إلا ما يُنفقه في مرضاة الله عزّ وجلّ.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١١٤/٤)، والدارمي (٧/٢)، والترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وابن خزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٤٢٩) من حديث زيد بن خالد الجهني بسند صحيح، رجاله كلهم ثقات.

يقول عزّ من قائل: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

أيها الصائم إنك ببذلك وعطائك تُقرض ربك ليوم فقرك وحاجتك وضرورتك يوم الفقر والمسكنة، يوم التغابن.

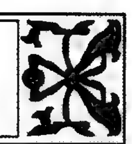
أيها الصائم: شربة ماء، ومذْقة لبن، وحَفْنة تمر، وقليل من الطعام والمال، واللباس، والفاكهة، تُسديها إلى محتاج، هي طريقك إلى الجنة.

أيها الصائم، تالله لا يحفظ المال مثل الصدقة، ولا يزكي المال مثل الزكاة.

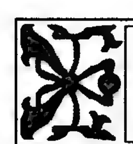
مات كثير من الأثرياء، وتركوا من الأموال، والكنوز، والدور، والقصور، ما الله به عليم، فأصبح كل ذلك حسرة عليهم، وندامة وأسفاً، لأنهم ما جعلوه في مصارفه.

وغداً يظهر لك الربح من الخسران، والله المستعان.





رمضان شهر القيام



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١ ـ ٤]. هكذا قال سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ. ولقد امتثل الحبيب ﷺ أمر ربّه فقام وأطال في القيام، وبكى وأطال في البُكاء، وخشع وأطال في الخشوع. ويقول عزّ وجلّ لرسوله ومصطفاه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

مثل قيامك في ليالي الدنيا يكون قيامك المحمود يوم القيامة. رمضان شهر الصيام والقيام، أحلى الليالي وأغلى الساعات يوم يقوم الصوّام في جنح الظلام:

ليل الصائمين قصير لأنه لذيذ، وليل العابثين طويل لأنه سقيم.

فقِصارُهنّ مع الهمومِ طويلةٌ وطِوالهُنّ مع السُّرور قصارُ

وصف الله الصالحين من عباده فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧]، فليلهم من أحسن الليل، ووصفهم في السحر فقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. فأسحارهم من أجمل الأسحار:

يا ليلةَ الجزعِ هلاّ عذت ثانيةً سَقَى زمانَك هطّالٌ من الديمِ
أمسيتُ في نشوةِ التّوفيق يُقلِقُني طُلوعُ فجرٍ بدا من عالي العَلَمِ

كان المهاجرون والأنصار إذا أظلم عليهم الليل سمع لهم نشيج بالبكاء، وإذا أسفر الصباح فإذا هم الأسود إقداماً وشجاعة:

في الليلِ رهبانٌ وعندَ لقائهم لعدوِّهِمْ من أشْجَعِ الشُّجْعَانِ

كانت بيوت المهاجرين والأنصار في ظلام الليل مدارس تلاوة، وجامعات تربية، ومعاهد إيمان، فما لبيوت كثير من الناس اليوم أصبحت ثُكْنات للغناء، والمجون، وملاجىء للسفه واللهو؟. اللهم عفوك يا كريم.

لما فقدنا قيام الليل قست قلوبنا، وجفَّت دموعنا وضَعُف إيمانُنا.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه»**[1].

ومما يُعين على قيام الليل تذكر ذاك القيام المهول: يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يُبعثرُ ما في القبور، ويُحصل ما في الصدور.

ومما يعين على قيام الليل: تذكر ظلمة القبر، ووحشة القبر، وهمِّ القبر، فقيام الليل نور لظلمة القبور.

ومما يُعينَ على قيام الليل: تذكر الأجر، والمثوبة، والعفو عن الخطيئة والذنب.

تفنَّن السلف في قيام الليل، فمنهم من أمضى الليل راكعاً، ومنهم من قطعه ساجداً، ومنهم من أذهبه قائماً، منهم التالي الباكي، ومنهم

(١) رواه البخاري (٣٧ ـ ٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩) وغيرهما وقد سبق.

الذاكر المتأمل، ومنهم الشاكر المعتبر، لماذا أقفرت بيوتنا من قيام الليل، لماذا خَوَت من التلاوة، لماذا شكت منازلنا من قلة المتهجِّدين؟.

أيا دارَ سَلْمى كنتِ أولَ منزلٍ نَزلنا به والرّكبُ ضجت بلابله
نزلنا فلمْ نشهدْ به رفقةً مضتْ فسالَ من الدّمع المكتّم عاجلُه

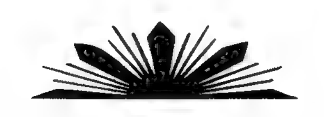
إذا أظلم الليل نامت قلوب الغافلين، وماتت أرواح اللاعبين، حينها تحيى القلوب المؤمنة، وتسهر العيون الخائفة.

نَامتْ الأعينُ إلاّ مقلةٌ تذرفُ الدّمعَ وترعى مَضْجعَكْ

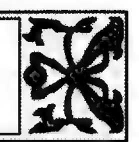
كيف ينام من يتذكر رقدة القبور، والحشر يوم النشور، وقاصمة الظهور، ما كنّا نظن أن جيلاً من المسلمين يسهر على الورق والشطرنج، والغناء، وقلة الحياء، فرحماك يا رب:

كُنْ كالصحابةِ في زهدٍ وفي ورعٍ القومُ هم ما لهُمْ في الناسِ أشباهُ
عبّاد ليلٍ إذا جنّ الظلامُ بهم كم عابدٍ دمعه في الخدِّ أجراهُ

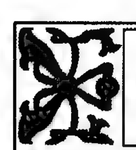
صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لابن عمر: «**يا عبدالله لا تكُن كفلانٍ كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل**»(١).



(١) رواه البخاري (١١٥٢). ومسلم (١٨٥) من كتاب الصيام، وقد سبق.



البيت الإسلامي في رمضان



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يقول المولى جلّت قدرته: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

البيت الإسلامي بيت أسس على التقوى، عماده: تقوى الله، وأطنابه: الأعمال الصالحة، وأساسه: امتثال أمر الله تعالى.

يقول عزَّ مِن قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

البيت أمانة، ومسؤولية، ورعية، فهل من راعٍ واعٍ، ومن مسؤولٍ أمين؟!

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**كلُّكم راع وكُلُّكم مسؤول عن رعيته**»[(١)]. ورعاية البيت في رمضان وغيره، تقوم بأمرهم بالصَّلاة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥].

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إن أحوج ما يحتاجه البيت المسلم إلى أبٍ رشيدٍ، وأمٍّ مؤمنة، يقومان على تربية البيت.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وإنّ من أعظم الأمانات البيت وإصلاح البيت.

البيت الإسلامي يعيش رمضان ذكراً، وتلاوة، وخشوعاً، وتقوى.

البيت الإسلامي عامر بسنّة محمد ﷺ في الطعام، والشراب، والمدخل، والمخرج، واليقظة، والمنام.

البيت الإسلامي يحترم الحجاب، ويدين لله به، ويعتبره شرفاً وعزّاً للمرأة، وأجراً ومثوبة عند الله عزّ وجلّ.

ابْتُليتْ بيوتٌ كثيرة بالغناء، فأفسد قلوب أهلها، وضيّعَ مستقبلها، وفتّتَ قوتها.

دخل الغناء، واللهو بعض البيوت، فخرج الذّكر والسكينة، والحشمة، والوقار. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦]، ولهو الحديث عند أهل العلم هو الغناء، فكم عبث الغناء بالقيم، وسفّه المبادىء، وأرهق العقول.

البيت الإسلامي يصحُو على ذكر الله، وينامُ على ذكره بعيداً عن اللغو والهُراء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣].

بُيوتُ الصالحينَ لها دَوِيٌّ   بذكر الله رب العالمينا
لها نورٌ من التَّوفيق عالٍ   كأن شُعَاعهُ من طورِ سِينا

ليت البيوت الإسلامية تُدخل العلم الشرعي جنباتها لتكون رياضاً للمغفرة وبساتين للعرفان.

إن البيت يحتاج إلى مسائل مهمة، من أعظمها المحافظة على

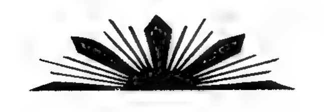
الصلوات الخمس، في أوقاتها بخشوعها، وركوعها، وسجودها وروحانيتها، وعلى تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، وعلى ذكر الله عز وجل بالغدوّ والآصال، وعلى إحياء السُّنن في كلّ دقيقة وجليلة، ويحتاج إلى إخراج كل لهو وعبث واجتناب كل لغو وزُور.

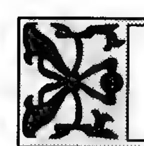
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

إن شهر رمضان يُضفي على البيت المسلم روحانية واطمئناناً، فيوقظ أهل البيت لقيام الليل، ويدعوهم إلى صيام النهار، ويحثّهم على ذكر الله عزّ وجلّ.

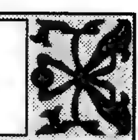
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

نسألك يا أرحم الراحمين أن تملأ بيوتنا بالإيمان والحكمة والسكينة.





ذكرياتنا في رمضان



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فأجمل ذكرياتنا نحن المسلمين في شهر رمضان، أُنزل كتابنا العظيم، والذكر الحكيم في شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نزل كتابنا في رمضان، فكانت ذكراه أحلى الذكريات، وأيامه في الدَّهر خالدات.

نزل القرآن الكريم على أمة أميَّة، ليخرجها بإذن الله تعالى من الظلمات إلى النور.

كلما جاء رمضان تذكرنا هذه المنّة العظيمة بإنزال هذا الكتاب الحكيم على الرسول الكريم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وفي رمضان انتصرنا وغلبنا ـ بإذن الله ـ الباطل، ودَحرنا الكفر في بدر الكبرى.

وفي رمضان انتصر رسولنا ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

انتظر الإسلام على الكفر في رمضان، وارتفعت لا إله إلا الله محمد رسول الله في رمضان، واندَحَر الإلحاد في رمضان ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

بدر الكبرى كانت في السابع عشر من هذا الشهر، فكلما مر بنا هذا اليوم ذكَّرنا بتلك الغزوة المباركة.

في رمضان كانت غزوة الفتح، فتح مكة، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

فتح رسولنا ﷺ القلوب بالقرآن الكريم في رمضان، وفتح مكة بالتوحيد في رمضان، فاجتمع الفتحان، وانتصر الإيمان، وعلا القرآن، وفاز حزب الرحمٰن. معارك المسلمين الكبرى تقع في رمضان، وانتصارات المسلمين الخالدة كانت في رمضان.

ومن ذكرياتنا في رمضان أن أمين الوحي جبريل (عليه السلام) كان ينزل على رسولنا ﷺ في هذا الشهر كثيراً فيدارسه القرآن ويراجع معه آيات الله البيِّنات، ويثبِّت حفظه ويتدبَّر معه تلك الحكم العظيمة والآيات الكريمة، ويعيد عرض هذا الكتاب عليه، ويتأنق معه في التلاوة، ويجوِّد معه الوحي، فكانا في أعظم عبادة، وأجل قربة، وأحسن مجلس.

ومن ذكرياتنا في رمضان اجتماع الصدر الأول من الصحابة في صلاة التراويح، فكانوا يسمعون لإمام واحد، وهو يتلو عليهم كتاب ربهم، فيخشعون، ويبكون، ويتدبَّرون.

يطول بهم الليل فيقصرونه بالقيام، فلو رأيتهم وقد سالت منهم الدموع، وثبت في قلوبهم الخشوع، فهم في قيام وسجود وركوع.

ولو رأيتهم، وقد هلّت منهم العبرات، وارتفعت منهم الزَّفرات، وضجُّوا إلى رب الأرض والسموات.

ولو رأيتهم وقد وجلت منهم القلوب، واقشعرَّت منهم الجلود، وجادت بدمعها العيون.

ومن ذكرياتنا في رمضان: أنه الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجِنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُقيَّد فيه الشياطين، وهذه من أحلى الذكريات يوم يشعر المؤمن أنه مرحوم في هذا الشهر الكريم، وأن إغواء الشياطين مصروف عنه في هذه الأيام المباركة، ثم إن لكل صائم في هذا الشهر فرحتين: يفرح بفطره، ويفرح بلقاء ربه تبارك وتعالى، فكلما تجدَّد هذا الشهر تجدّد معه الفرح وزاد الأنس والسرور.

وهذا الشهر كفّارة لما بينه وبين رمضان الماضي كما أخبر بذلك ﷺ في الصحيح، فهو شهر يحمل ذاكرة مجيدة لكل مسلم، يوم يعلم أنه مطهَّر له من السيئات والخطايا.

ورمضان شهر الفقراء والمساكين، فهم يجدون فيه السخاء، والعطاء، من الأغنياء، ويجدون العون، والمدد من الأثرياء، فكثير منهم يسعد في هذا الشهر بما يجود الله به على أيدي الباذلين.

قال ﷺ: «**إنَّ في الجنة باباً يقال له الرَّيَّانُ، يدخل منه الصائمون، فإذا دخلوا أُغلقَ فلا يدخلُ منه غيرهم**»[1].

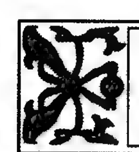
فباب الرَّيَّان له مكانةٌ عظيمةٌ في رمضان عند عباد الرحمٰن.

أتاكَ شهرُ السّعدِ والمُكرماتْ فحيّهِ في أجملِ الذِّكرياتْ
يا موْسم الغُفرَانِ أتْحَفتَنَا أنتَ المُنى يا زمن الصّالحاتْ

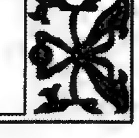
اللهمَّ أعِد علينا رمضان أياماً عديدة، وأعواماً مديدة، في ثياب من البرّ والتوبة جديدة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) بلفظ قريب. ومسلم (١١٥٢) وقد سبق.



رمضان طريق للتوبة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فإن من أعظم ما يعود على المسلم في هذا الشهر الكريم: توبته وإنابته إلى ربه، ومحاسبته لنفسه، ومراجعته لتاريخه.

باب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح، وفضله تعالى يغدو ويروح، ولكن أين التائب المستغفر؟ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا الشهر هو موسم التوبة والمغفرة، وشهر السّماح والعفو، فهو زمن أغلى من كل غالٍ وأنفسُ من كل نفيسٍ.

جاء عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمسُ من مغربها**»(١).

الإساءات منّا كثيرة، والعفو منه أكثر، الخطأ منّا كبير، ورحمته أكبر، الزلل منّا عظيم، ومغفرته أعظم:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

سبحان من يعطي ونخطيء دائماً ... ولم يزلْ مهما هفَا العبدُ عفا
يُعطي الذي يُخطي ولا يمنعهُ ... جلالُه عن العطَا لذِي الخطَا

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

لم يصرُّوا أبداً، أخطأوا فاعترفوا، وأذنبوا فاستغفروا، وأساؤوا فندموا، فغفر الله لهم.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**رَغِمَ أنف من أدركه رمضان فلم يُغفر له**»[1]. إنها فرصة لا تتكرر أبداً، ولا تعود إلا نادراً، فهل من مجتهد حريص؟

ذنوب العام كل العام تُمحى لمن صدق مع الله تعالى في رمضان إذا اجتنب الكبائر، النقص طوال السَّنة، والعيوب المتراكمة تصحح في رمضان.

صحَّ في الحديث القدسي أن الله عزّ وجلّ يقول: «**يا عبادي إنكم تُذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»[2].

من طبيعتنا الذنب، ولكن منَّا من يتوب، وينيب ويستغفر مولاه، ومنَّا من يصرُّ ويستمر ويُكابر، وهذا هو المغبون المخذول عن طريق الهداية.

أتوبُ إليكَ يا رحمنُ ممَّا ... جنتْ نفسي فقد كثُرتْ ذنوبُ
وأشكو يا إلهي من معاصٍ ... أصابتني وآذتني عيوبُ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٣٥٤٥). يُنظر «صحيح الجامع» للألباني رقم (٣٥١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

صحَّ في الحديث القدسي أن الله يقول: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي**»(١).

يا صائمون، هذا الشهر فرصتنا للتوبة النصوح، وهذه الأيام غنيمة لنا فهل نبادر الغنيمة والفرصة؟

وبادرْ بالتوبةِ النصوحِ قبل احتضارٍ وانتزاع الروحِ
لا تحتقرْ شيئاً من المآثمِ وإنَّما الأعمالُ بالخواتِمِ

صام معنا قوم في العام الماضي، ثم ردُّوا لمولاهم الحق، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، مضوا بأعمالهم وتركوا آثارهم.

ومن علامات قَبول الصائمين: الصدق في التوبة، والعزم على عدم العودة، والندم على ما فرّط العبد في جنب الله عزّ وجلّ.

يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبُوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢).

متى يتوب من لم يتب في رمضان؟ ومتى يعود إلى الله من لم يعد في رمضان؟

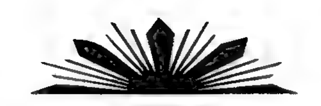
إن بعض الصائمين يستقيم حاله، ويصلح باله في رمضان، فإذا انتهى الشهر، وانصرم الصيام، عاد إلى حالته القديمة، وسيرته الأولى فأفسد ما أصلح في رمضان، ونقض ما أبرم في رمضان، فهو عمره في هدم، وبناء، ونقض، وإبرام. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

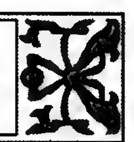
---

(١) صحيح، وقد سبق.
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٩).

كان كثير من السلف إذا انتهى شهر الصيام بكوا لفراقه، وتأسَّفوا على رحيله، وندموا على انتقاله، وذلك لكثرة صلاحهم، وصفاء قلوبهم، وإشراق نفوسهم.

اللهمَّ وفِّقنا لما وفَّقت إليه عبادك الصالحين، واهدنا صراطك المستقيم.



الإيمان يزداد في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فالإيمان يزيد وينقص بحسب الأعمال، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، يزيد بالصلاة، وينقص بالفساد، يزيد بالاستقامة، وينقص بالانحراف، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَنْهُمْ تَقْوَنْهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَنًا مَّعَ إِيمَنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي رمضان يزداد الإيمان، ويعظم اليقين، ويشرق التوحيد لقرب العبد من ربِّه تبارك وتعالى.

فالصيام من أعظم الأعمال، وهو قُربة إلى الله عزّ وجلّ، وصلة عظيمة يباعد بين العبد وبين النار، ويفرق بين المسلم والمعاصي.

وقيام رمضان أنس، ومحبة، وطاعة، وشوق يطرد النّفاق عن العبد، ويسقي شجرة الإيمان، حتى تستوي على سوقها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وإليكم، أيها الصائمون، تلك الأعمال التي تزيد في إيمانكم، وتنمّي يقينكم:

١ ـ الصلاة في جماعة بخشوع، وخضوع، وتأمل، وحضور

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، والصلاة في جماعة مُذهبة للنفاق، ومُورثة للخشية، وناهية عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ ـ قراءة القرآن الكريم بتدبُّر، وتأمل آياته، والعيش في ظلاله، واستنشاق نسماته، والاهتداء بهديه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

٣ ـ ذكر الله عزّ وجلّ بالقلب، واللسان، والجوارح، واللهج بالتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ومناجاة الله عزّ وجلّ في الأسحار، والإكثار من الاستغفار.

٤ ـ طلب العلم النافع، والتفقه في الدين ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وسؤال أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وحضور مجالس الذكر «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»، فطلب العلم زيادة في الإيمان، وتثبيت لأصل التوحيد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] بدأ هنا بالعلم قبل القول والعمل.

٥ ـ ومما يزيد الإيمان: الصدقة، والبذل والعطاء، فإنها ترفع من إيمان العبد وتزكيه، تهذِّب سلوكه، وتقوّم اعوجاجه.

٦ ـ ومما يزيد الإيمان: التفكرُ في آيات الباري، تبارك اسمه، ومطالعة آثاره في الكائنات، وبديع صنعه في المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ورمضان زمن صفاء ذهن المتأمل، وإشراق فكر المتفكر،

واستنارة قلب المعتبر، فهو جدير بالتفكر في بديع صنع الخالق، تباركت أسماؤه.

والإيمان ينقص ويمرض وقد يموت.

فهو ينقص:

١ - بالإعراض عن الكتاب والسنة، والاكتفاء بحثالة أذهان البشر، وعصارة أدمغة الناس، والعكوف على نتاج المخلوقين الضعفاء المقهورين، فإذا فعل العبد ذلك، واستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى تمّت خسارته، وبان هلاكه، وظهرت مقاتله، واستحوذ عليه الشيطان، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

إذا ما لم يزدْكَ العلمُ خيراً ... فليتَكَ ثم ليْتكَ ما علمْتَا
وإن ألقاكَ فهمُك في مغاوٍ ... فليتَكَ ثم ليتكَ ما فهمتا

٢ - ويُنقص الإيمان: اللهوُ، واللعبُ، والغفلة، والإعراض عن منهج الله عزّ وجلّ ومجالسة أهل الباطل المعرضين عن الشريعة الساقطين في حمأة الرذائل والشهوات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

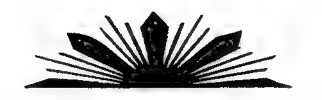
٣ - ويُنقص الإيمان: إطلاقُ الجوارح في المعاصي، وتلطيخ الأعضاء بالسيئات، وتسويد القلب بالذنوب.

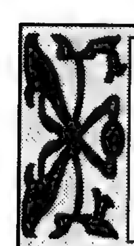
عين تنظر إلى الحرام، وأذنٌ تستمع إلى الخنا، وقلب يرتع في الشهوات، ويد تبطش ظلماً، وفرج يقترف الفحشاء، وبطن يمتلىء من الآثام، رحماك يا رب وعفوك يا الله.

يا صائماً عافَتْ جوارحُه الخَنَا ... أبشرْ برضوانٍ من الديّان
عفوٍ ومغفرةٍ ومسكن جنةٍ ... تأوي بها من مدْخلِ الريّان

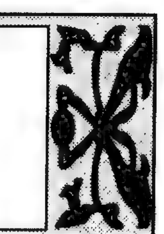
على الصائم أن ينظر هل زاد إيمانه في رمضان أم نقص؟ هل عظم يقينه أم قلَّ؟ ليعرف الزيادة من النقصان، والرِّبح من الخسران.

اللهمَّ زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً وتوفيقاً.





محبة الله عزَّ وجلَّ تعظيم في رمضان



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فإن امتثال أمر الله عزّ وجلّ بصيام شهر رمضان تزيد من محبة الله عزّ وجلّ في قلب الصائم. وأولياء الله عزّ وجلّ يُحبون ربهم تبارك وتعالى حُبّاً عظيماً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وليس العَجَب من قوله [يحبونه] فإنه سبحانه المنعم المتفضل، لكن العجب من قوله [يحبهم] يخلقهم، ويرزقهم، ويعافيهم، ثم يحبهم.

ولمحبة الله عزّ وجلّ عشر علامات مَنْ فعلها فقد أحبَّ الله حقيقة لا ادعاءً:

أولها: محبة كلامه الذي تكلَّم به، وأنزله على رسوله ﷺ وحياً. والشوق إلى تلاوة هذا الكلام، وتدبره، والأنس به، وإصلاح القلب بتعاليمه، وتسريح الطرف في رياضه، والسهر به في جنح الليالي، وحنادس الظلام، والعمل بمقتضاه، وتحكيمه في كل شؤون الحياة.

ثانيها: محبة رسول الله ﷺ، واتّباعه، وكثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ، واعتقاد عصمته، واتخاذه أُسوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، والعمل بسنته بدون تحرُّج، ولا تهيُّب، ولا تذبذب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ثالثها: الغيرة على محارم الله تعالى، والذّبّ عن حدود الله عز وجل أن تُنتهك، والغضب عند إهانة شيء من شعائر الإسلام، والتحرق على هذا الدين، والتألم لواقعه بين أهل البدع، والمجاهدة بالقلب واللسان واليد ما أمكن لنصر شرع الله وتمكين دين الله في الأرض.

رابعها: التشرف بولاية الله تعالى، والحرص على نيل هذه الولاية، وصف الله أولياءه فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٢ ـ ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

خامسها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النفس، والنفيس في ذلك، فهو قطب رَحى الإسلام، وسياجه، وترسه الذي يحتمي به، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وتزيد هذه الصفة إشراقاً في شهر رمضان، وبذل الصائمون الصادقون نصيحتهم، ودعوتهم لعباد الله محتسبين الأجر من الله تبارك وتعالى.

سادسها: الاجتماع بالصالحين، وحبّ الأخيار، والأنس بمجالسة أولياء الله، وسماع حديثهم، والشوق إلى لقائهم، وزيارتهم، والدعاء لهم، والذّبّ عن أعراضهم، وذكر محاسنهم، ونفعهم بما يستطاع،

فالله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

سابعها: التقرُّب إلى الله بالنوافل، والتوصل إلى مرضاته بالأعمال الصالحة، صلاة، وصياماً، وصدقة، وحجّاً، وعمرة، وتلاوة، وذكراً، وبرّاً، وصلةً إلى غيرها من الأعمال؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويقول سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: **«وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ»**(١).

ثامنها: تقديم حبّ الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، والتهيؤ للقاء الله عز وجل، والتزود ليوم المعاد، وإعداد العُدة لذاك الرحيل المرتقَب.

تزوّد للذي لا بدَّ منهُ ... فإنَّ الموت ميعادُ العبادِ
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ ... لهم زادٌ وأنتَ بغير زادِ

تاسعها: التوبة النصوح، وترك المعاصي، والمخالفات، والإعراض عن اللاهين اللاعبين، من أهل الانحراف والفجور، فإن مجالستهم حُمَّى دائمة وسُمٌّ زعاف وداء مستمر ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويقول ﷺ في الصحيح: **«المرء يُحشرُ مع من أحبّ»**(٢).

عاشرها: تمني الشهادة في سبيل الله، وارتقاب ذاك اليوم الذي تُقدَّم النفسُ فيه خالصة لله، وبيع النفس، والمال، والولد من الله تعالى، وعدم العود في هذا البيع العظيم، والصفقة الرابحة.

---

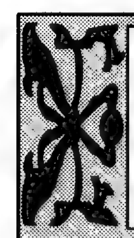
(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨ ـ ٦١٦٩ ـ ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

اللهم زدنا لك محبة، وفيما عندك رغبة، وإليك إنابة، إنك على كل شيءٍ قديرٌ.





كيف نربي أطفالنا في رمضان وغيره؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

ففي رمضان تتجلى التربية الصادقة، والتوجيه الحكيم في رعاية الأطفال، فهم أمانة ووديعة.

كان السلف الصالح يُدربون أطفالهم على الصيام، ويعوِّدونهم على القيام.

وينشأ ناشىء الفتيان منّا على ما كان عوّدهُ أبوهُ

فيا صائماً، يريد لأبنائه الفوز معه، إليك مسائل في التربية لعلها أن تدعوك إلى حسن الرعاية بأطفالك:

أولاً: كن قدوة أنت أيها الوالد، في أخلاقك، وسلوكك، وحياتك، فإن أطفالك ينظرون إليك: أباً، ومعلماً، ومربياً، وأسوة، يقول سبحانه عن زكريّا عليه السلام: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثانياً: ما يُعرض، وما يُسمعُ، وما يُرى في البيت له أعظم الأثر

في حياة الطفل ومستقبله، فإدخال الإيمان، والقرآن الكريم، والسنّة في البيت وكثرة الذكر والقيام بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه تكوِّن طفلاً مستقيماً ملتزماً.

وإدخال الملاهي، والمفاتن، وآلات اللعب، والإغواء، والتهاون بشرع الله تعالى تخرج طفلاً لاغياً هامشيّاً.

ثالثاً: ربط الطفل بكتاب الله عزّ وجلّ، حفظاً، وتجويداً، وتلاوةً، فهذا عصر الحفظ، وهذا زمن التلقي، وإذا فات الطفل هذا العصر الذهبي، وقضاه في الضياع، والتلفت، والترفيه ندم بعد كبره أعظم ندامة، وتأسف كل الأسف ولات ساعة مندم.

رابعاً: مصاحبة الطفل في عهد الطفولة، والصّبا، ومنعه من مصاحبة الأنذال، والأرذال، وسَقَطَة الناس، وسفَلة القوم، فإنهم أضر عليه من الجرَب، وأفسد من كل عدو، فلا إله إلا الله، كم أفسد الفاسد من صالح، وكم أثَّر الجليس في جليسه، وكم سحب الصاحب من صاحب، وقد صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**المرءُ على دين خليله، فلينظر أحدكُم من يُخالِل**»[1].

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينِه   فكلُّ قرينٍ بالمقارن يَقتدي

خامساً: تنشئة الطفل تنشئة عصامية رُجوليَّة، فتحبب له معالي الأمور وتكرّه إليه أراذلها، وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن الله يحبُّ معاليَ الأخلاق ويكرهُ سفسافها**»[2]، فلا يميِّع الطفل

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٣٧٨) وحسّنه، وأحمد (٢:٣٠٣)، قال الشيخ شاكر في شرحه للمسند (١٥:١٧٨): إسناده صحيح. ورواه أبو داود والحاكم والخطيب وعبد بن حُمَيد.

(٢) حسن، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨:١٨٨)، ثم قال: رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» بنحوه، ورجال الكبير ثقات. وابن عدي وغيرهما، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٧).

ولا يترك متشبهاً بالنساء، والسقطة، والأرذال، فإنّها حسرة عليه، وعار، وشنار.

سادساً: ملاحظة الطفل في زيّه، ولباسه، وهيئته، فيقوم بالأدب على منهاج السنة وعلى الطريقة المحمدية الكاملة فلا يتشبه بأعداء الله، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»[1]. فيجنّب الذَّكرُ لبس الذّهب، والحرير، والإسبال، والميوعة، والانكسار في الكلام، وكثرة الضحك، والعبث، والطيش، والعجلة، والخفّة، والسخف، وضياع الوقت، وغير ذلك من العيوب والمثالب.

سابعاً: تعظيم أمر الله في قلب الطفل، وتعظيم كل ما له علاقة بالدِّين، فيقدّس الله عزّ وجلّ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وينزهه عن العيوب، ويُظهر هذا للطفل في تربيته ليغرس في نفسه تعظيم الله عزّ وجلّ، وكلامه، ورسوله ﷺ.

ثامناً: توجيه الطفل لطلب العلم النافع، وتحصيله، والجدّ فيه، والإخلاص في طلبه، وبذل الجُهد في حفظه وتكراره، وإشعار الطفل بثمرة العلم العظيمة اليانعة، ونتائجه المعسولة لعلّه أن يهُبَّ من رقدة السّبات، وسنة الغفلة.

أبا بكرٍ دعوتُك لو أجبْتَا ... إلى ما فيهِ حَظُّكَ لو عقلْتا
إلى علم تكونُ بهِ إماماً ... رئيساً إن نهيت وإنْ أمرْتا

تاسعاً: الدعاء له بالتوفيق مع كل صلاة، والإلحاح في مسألة المولى تبارك وتعالى، أن يصلحه، وأن يهديه، وأن يأخذ بيده،

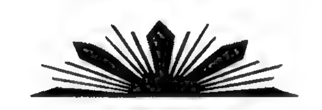
---

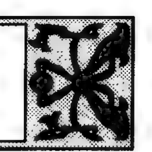
(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠) قال الشيخ شاكر في شرحه للمسند (٧/ ١٢١): إسناده صحيح؛ ورواه عبد بن حُمَيد في «المنتخب من المسند»، وابن أبي شيبة في «المصنف» وأبو سعيد الأعرابي في «المعجم»، والهروي في «ذم الكلام» وصححه ابن تيمية، وابن رجب وغيرهما.

والضراعة في السحر وفي أوقات الإجابة أن يكتب الله الإيمان في قلبه، وأن يؤيّده بروح منه، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

عاشراً: رحمة هذا الطفل، والشفقة، والعطف عليه، وتقبيله، ومداعبته وممازحته، وإدخال السرور عليه، وعدم الغلظة، والفظاظة معه، وعدم تجريحه أمام الناس، وليفعل المسلم بأطفاله كما فعل رسول الهدى ﷺ بالأطفال، فإن الراحمين يرحمهم الله عزّ وجلّ.

اللهم اجعلنا مباركين أينما كنا، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].





ظاهرة الإسراف في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

الإسراف: من الذنوب والخطايا التي وقعت فيها الأمم المنحرفة، وقد نهانا الله عنه وذمّه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

الإسراف عادة أقوام لا يرجون لله وقاراً، ولا يحترمون نعم الله عزّ وجلّ، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، لقد أكثر بعض الناس من الإسراف في رمضان.

فمن صور الإسراف: الإكثار من الطعام فوق الحاجة، فإن من الناس من تعوّد كثرة المطعومات، والمشروبات، فتراه في رمضان يملأ مائدته في الإفطار والسحور بكل ما لذّ وطاب، ثم تكون عرضة للإتلاف والرّمي.

فيا أيها الصائم، إياك إياك، والإسراف، إن في المسلمين فقراء ومساكين، ومحتاجين، ففطّر عباد الله بما زاد على حاجتك، لتكون لك ذخراً عند الله عزّ وجلّ، قال سبحانه عن عباده الصالحين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً

﴿وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**يقول عزّ وجلّ يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك ولم تُطعمني؟ قال: كيف أطعمكَ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً استطعَمَك فما أطعمته، أما إنك لو أطعمتهُ لوجدت ذلك عندي..**». الحديث[1].

ومن صور الإسراف: الإسراف في النوم فوق القدر المطلوب، وخاصة في النهار، فإن بعض الصائمين جعلوا من أيامهم غفلةً وسُباتاً عميقاً، والعجيب أن هؤلاء يسرفون في سهرٍ لا طائل من ورائه، سهر ضائع في القيل والقال والتوافه، والبعض يسهر في مزاولة أمور محرمة، ومكروهة تُغضب المولى تبارك وتعالى.

ومن صور الإسراف: الإسراف في الإعداد لعيد الفطر، وتكليف النفس فوق طاقتها، والتبذير في الإنفاق من لباس، وهيئة، ولعب، ومباهج، حتى إنك لترى بعض الفئات من الناس ينفقون الألوف المؤلَّفة في هذه الترّهات، بينما هم من أبْخل الناس في أبواب الخير، وفي طرق البر.

فيا من أنعم الله عليه بالمال، في المجتمع يتيمٌ، وفي الناس مسكين، وفي جوارك فقير، ألا تطعم جائعاً؟ ألا تكسو عارياً؟ ألا تبني مسجداً؟ ألا توصل منقطعاً؟ ألا تفكّ كربة مكروب؟

ومن صور الإسراف: عند بعض الصائمين كثرة الزيارة في غير طائل، وبلا فائدة، والإكثار من الخلطة بالناس لغير مصلحة، والاجتماع بالآخرين لغير نفع، فيذهب الزمن هدراً، والعمر بدداً، والأيام ضياعاً، والأوقات لعباً، ولسان الحال يقول: ﴿يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩).

فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، كذلك كثرة اجتماعات الناس على غير منفعة، وكثرة المجالس الفارغة.

تعيشُ الدّهر ويحكَ في غرورٍ ... بها حتَّى إذا متَّ انتبهتا

ومن صور الإسراف: إدمان التسلية، والترفيه في اللعب من كرة، وتمارين رياضية، وتنزهات، ونحوها على حساب وقت الجد والعبادة، والذكر والتلاوة وتحصيل العلم والدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى إن بعض الناس يدفع الوقت دفعاً عجيباً، وينفقه بيد التبذير، وغداً سيعلم إذا بُعثر ما في القُبور، وحُصِّل ما في الصدور أي شيء فعل.

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوَّدا
ندمت على أن لا تكون كمثلِهِ ... وأنَّك لم ترصدْ لما كان أرْصدَا

فصور الإسراف عند كثير من الناس متعدِّدة:

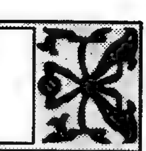
قوم أسرفوا في المعاصي والذنوب، فإسرافهم أخطر إسراف، وأسوأ تبذير.

وقوم أسرفوا في الوقت، فنثروه شذر مذر، وهم من أعظم الناس حسرةً يوم العرض الأكبر.

وقوم أسرفوا في الطعام والشراب واللباس، فما زادهم إلا تعاسة وقلقاً.

وقوم أسرفوا في المباحات من لعب، وتسليات، وتنزهات، فهم في الحقيقة مغبونون في أعمارهم.

نسأل الله توفيقاً وسداداً، ورشداً واقتصاداً.



رمضان شهر البرِّ والصلة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

ينكسر قلب الصائم، وتذلّ نفسه، وتزداد رحمته وشفقته، وأحقّ الناس برحمة الصائم، وبره، وصلته هم: أقاربه وأرحامه.

ورمضان يذكّر المسلْم بأن له أقارب، وأصهاراً، وأرحاماً، فيزورهم، ويصلهم، ويبرّهم، ويتودّد إليهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

قطيعة الرحم من أعظم الذنوب، وأفظع الخطايا، وأجلِّ الرزايا.

وصلة الرحم من أحسن الحسنات، ومن أكبر الأعمال الصالحات.

يقول أحد الحكماء، وهو يذكر تعامله مع أقاربه، وموقفه من عشيرته:

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمّي لمختلفٌ جدّا
إذا هَتكوا عِرْضي وفَرْت عروضهُم ... وإنْ هَدَمُوا مجدي بنيت لهم مجدا

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله الرّحم تعلّقت بالعرش**

فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعَكِ، قالت: بلى، قال: فذلك لك»[١].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»**[٢].

وصحَّ عنه ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسنُ إليهم ويسيئون إليّ. فقال ﷺ: **«إن لئن كُنتَ كما تقول فكأنما تُسفُّهُم الملَّ ولا يزال معك من الله ظهير»**[٣]، ومعنى تسفّهم الملّ أي تُؤكِّلهم الرماد الحارّ.

كان أقارب الرسول ﷺ، إلا القليل، من أشد الناس عداوة له، أخرجوه من داره، طاردوه، شرّدوه، آذوه، حاربوه، فلما نصره الله عز وجل عليهم، عفا عنهم عفواً ما سمع الناس بمثله.

فصلة الرحم: تزيد في العمر، وتبارك فيه، وتزكيه، ويكثر به الأجر، وتتضاعف به المثوبة.

وصلة الرحم: عنوان على كمال الإيمان، وخشية الرحمٰن، وامتثال القرآن.

وصلة الرحم: تقي مصارع السوء، وخزي الدنيا والآخرة، وسوء المنقلب.

وجاء في الأثر: **«إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفو عمن ظلمني، وأن أعطي من حرمني»**[٤].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠). ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

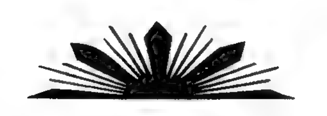
(٤) حسن، روى أحمد (٤:١٤٨) أن رسول الله ﷺ قال لعقبة بن عامر: **«يا عقبة، صِل مَن قطعك، وأعطِ مَن حرمك، وأعرِض عمن ظلمك»**. =

ومن أعظم الصلات وأرفع القربات برُّ الوالدين والحنو عليهما وإكرامهما والدعاء لهما وطاعتهما في طاعة الله عزّ وجلّ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(١).

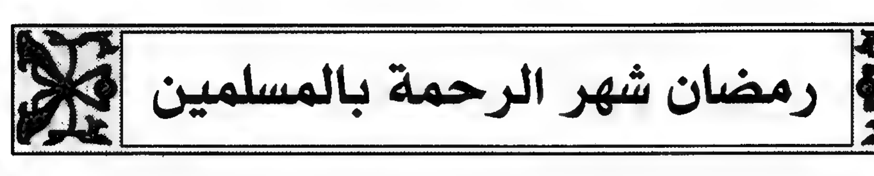
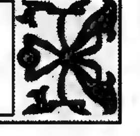
فالصيام أعظم مدرسة للبرّ والصلة، فهو عين الأخلاق، ورافد الرحمة، وحبل المودة، من صام رقَّت روحه، وصفت نفسه، وجاشت مشاعره، ولانت عريكته، فلعلنا أن نعود في هذا الشهر إلى أقاربنا فنتحفهم بالزيارة والبذل، والأنس، والدعاء، والصلة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

اللهم فقّهنا في الدين، وثبّتنا على سنة إمام المتقين، واهدنا سواء السبيل.



= وفي رواية «واعفُ عمن ظلمك» رواها أحمد ٤:١٥٨ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨:١٨٨): رواه أحمد والطبراني. وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات.

(١) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رمضان شهر الرحمة بالمسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

الرحمة فضل من الله يضعه في قلب من يشاء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

والله رحمٰن رحيم، يحب الرحماء، ويدعو إلى الرحمة، ويأمر عباده أن يتواصوا بالصبر والمرحمة، وقد يفقد الإنسان الرحمة لأسباب، منها: كثرة الذنوب والمعاصي، فإنها ترين على القلب حتى يعمى، ويصبح أشدّ قسوة من الحجارة. قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال سبحانه عنهم لما أعرضوا وتمردوا على شرعه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

ومما يُذهب الرحمة الطغيان بالمال، والتكبر بالغنى، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، ويوم يُهذّب القلب بالإيمان، والعمل الصالح يمتلىء رحمة وحناناً.

ولعل من الأسباب في ضعف الرحمة كثرة الشبع، فإنه يُورث الأشر والبطر، ولذلك جاء شهر الصيام ليكسر هذا الجموح، ويُحطِّم هذا التفلت.

فالصائم من أرحم الناس؛ لأنه ذاق الجوع، ووجد الظمأ، وعاش المشقة، فبدأت نفسه تتوق لرحمة المسلمين، والحنان إليهم، واللطف بهم.

إن الرحمة مطلوبة من كل مسلم لأخيه المسلم، مطلوبة من المسؤول الراعي أن يرحم رعيته، وأن يشفق عليهم وأن يلين لهم. جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومن وَلي من أمر أمتي شيئاً فرَفَقَ بهم فارفق به»**[(١)].

والرحمة: تُطلب من العالم والأستاذ لطلابه، فيرفق بهم، ويتوخى بهم أيسر السبل، وأحسن المسالك ليحبوه، وينتفعوا بكلامه، فيجعل الله تعالى له أعظم الأجر، وأجلّ المثوبة. واقرأ قوله سبحانه مادحاً رسوله عليه الصلاة والسلام: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾** [آل عمران: ١٥٩].

والرحمة: تُطلب من الإمام بالمأمومين فلا يشق عليهم ولا يدخل الضرر عليهم، بل يكون رحيماً رفيقاً حكيماً، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من أمَّ منكم بالناس فليُخفف فإن فيهم الكبيرَ والمريض والصغير وذا الحاجة»**[(٢)].

وصحَّ عنه ﷺ أنه لمَّا أطال معاذ بالناس قال له ﷺ: **«أفتانٌ أنتَ يا مُعاذ؟ أفتانٌ أنتَ يا مُعاذ؟ أفتانٌ أنتَ يا مُعاذ؟»**[(٣)].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما قال: يا

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٩٠). ومسلم (٤٦٧) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٠١ ـ ٧٠٥). ومسلم (٤٦٥).

رسول الله اجعلني إمام قومي، قال: «**أنت إمامهم واقتد بأضعفهم واتَّخذ مؤذِّناً لا يأخذ على أذانه أجراً**»(١).

والرحمة: مطلوبة من الداعية المسلم بالمدعوين، فينْصَحُ لهم بلطف، ويبيِّن لهم بشفقة، فلا يفضح، ولا يجرح، ولا يشهّر بالناس، ولا يشنّع بالعصاة على رؤوس الأشهاد، فقد قال عزّ وجلّ موصياً موسى وهارون، عليهما السلام، في دعوتهما لفرعون الطاغية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

يقول الشافعي:

تعمّدني بنصحكَ في انفرادِ وجنِّبْني النصيحةَ في الجماعة
فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ من التوبيخِ لا أرضَى استماعه
فإن خالفْتني وعصيتَ أمرِي فلا تجزعْ إذا لم تعطَ طاعة

والرحمة: مطلوبة من الوالد بأولاده، وقد سبق هذا في درس «كيف نربي أطفالنا». ورحمة الوالد، والأم بالأطفال له أعظم الأثر في صلاحهم، وفلاحهم، وطاعتهم، فإن الصلف والغلظة باب شؤم.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزِعَ الرِّفقُ من شيء إلا شانه**»(٢).

يا صائماً جاع بطنه، إن آلاف البطون جَوْعَى تنتظر لقمة فهل من مطعم؟

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٥٣١)، والنسائي (٦٧٢)، وأحمد (٤: ٢١٧) وصححه الألباني في المشكاة (٦٦٨).

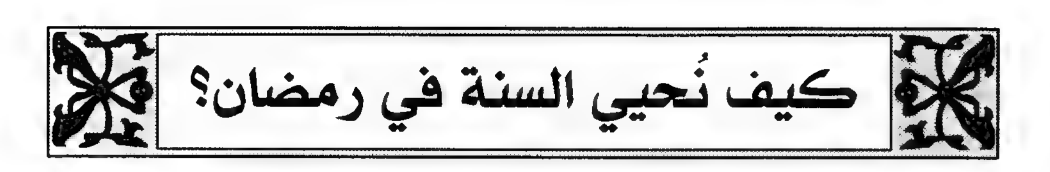
(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يا صائماً ظمأت كبده، إن آلاف الأكباد ظَمْأى تنتظر جرعة من ماء فهل من ساقٍ؟

يا صائماً يرتدي أجمل اللباس، إن آلاف الناس في عُرْيٍ ينتظرون قطعة من قماش فهل من كاسٍ؟

اللهمَّ ارحمنا رحمة واسعة تغفر بها الذنب، وتمحو بها الخطيئة، وتعفو بها عن الزلل.





كيف نُحيي السنة في رمضان؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

إمام الأمة، وقدوة الناس، هو: محمد رسول الله ﷺ، لا سعادة إلا في اتباعه، ولا فلاح إلا في اقتفاء أثره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الجنة لا تُدخل بعد إرساله ﷺ إلا من طريقه، سُنَّته كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها هلك، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدَثات الأمور فإنّ كلّ مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[1].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٠٧). والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤ ـ ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من رغِب عن سنتي فليس مني**»(١).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(٢).

ويقول عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومنع الله التقدم بين يديه، ويدي رسوله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١].

وشهر رمضان هو موسم مبارك **لإحياء السنة المطهرة** في النفس والبيت والمجتمع. **أما سنن الصيام** فمرَّ شيء من ذلك في أول الكتاب عند الحديث عن هديه ﷺ في رمضان.

وأما السنن العامة التي تجب على الصائم المسلم أن يقوم بها في كل وقت فمنها: ما صحَّ عنه ﷺ عند مسلم والخمسة أنّه قال: «**عشر من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسلُ البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**»(٣). والبراجم هي: العُقد التي على ظهر مفاصل الأصابع.

وصحَّ عنه ﷺ أنه نهى عن إسبال الإزار وما في حكمه، فقال

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري تعليقاً [باب النجش من كتاب البيوع، وباب إذا اجتهد العامل ـ أو الحاكم ـ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة] ورواه موصولاً برقم (٢٦٩٧) بلفظ «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ» ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (٢٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها بزيادة «والسواك» بعد «إعفاء اللحية» قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

كما عند مسلم: «**لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خُيلاء**»[١]. وصحَّ عنه أنه قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[٢].

وصحَّ عنه ﷺ أنه نهى عن أمور كثيرة منها: نهيه ﷺ «أن يشرب الرّجُلُ قائماً».

ونهيه ﷺ عن «إقامة الرجل والجلوس في مقعده».

ونهيه ﷺ «عن أن يمسَّ الرجل ذَكَرَهُ بيمينه، وأن يمشي في نعل واحدة، وأن يشتمل الصماء[٣]، وأن يحتبي في ثوب ليس على فرجه منه شيء».

«ونهى أن يمشي الرجل في نعلٍ واحدة أو خُفٍّ واحدة».

«ونهى عليه الصلاة والسلام أن يُنفخ في الشراب».

«ونهى عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة».

«ونهى ﷺ عن التختم بالذهب».

«ونهى ﷺ الرجال عن لبس الذهب والحرير، وأحله للنساء».

«ونهى ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب».

«ونهى ﷺ عن الصلاة إلى القبور».

«ونهى ﷺ عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها».

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الصمّاء: أن يتجلبب الرجل بثوبه فلا يترك فُرجة يخرج منها يديه. فنهى عن ذلك لئلا يصيبه شيء فلا يقدر على دفعه. وقيل: الصمّاء هي أن يلبس ثوباً واحداً ويرفعه من جانب فتظهر عورته. والنهي عام.

«ونهى عن النياحة».

«ونهى عن نتف الشيب».

«ونهى عن صيام يوم الجمعة أي إفراده بالصيام».

«ونهى عن بيع فضل الماء».

«ونهى عن الوشم».

«ونهى عن الوصال»[١]. إلى غير ذلك من المناهي المعلومة في السنة الصحيحة.

ومن السنن الصحيحة الثابتة عنه ﷺ سنّة السواك، فقد صحّ أنه قال: «**لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواك عند كل وضوء**»[٢]. وفي لفظ: «**عند كل صلاة**». وصحَّ عنه أنه قال: «**السواك مطهرة للفمّ مرضاة للربّ**»[٣].

ومن السنن: تحية المسجد ركعتان قبل الجلوس، والبدء بالرِّجل اليمنى عند دخول المسجد، واليسرى عند الخروج، والبدء بلبس النعل باليمنى، والخلع باليسرى، والاستئذان ثلاثاً، فإن أذن وإلا فليرجع المستأذن، وإنما أشرت إلى السنن العملية اليومية.

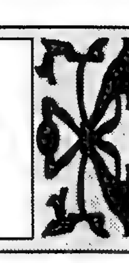
اللهمَّ وفِّقنا لاتباع السنة والعمل بها والمحافظة عليها.

---

(١) ثبتت كل هذه المناهي بأسانيد صحيحة، ولا حاجة لإثقال الهوامش بذكر تخريجاتها.

(٢) يُنظر البخاري (٨٨٧ ـ ٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢)، وموطأ مالك (١١٤ ـ ١١٥) من كتاب الطهارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه أحمد (١ :٣) و(٦ ـ ٤٧) ورواه البخاري تعليقاً باب (٢٧) من كتاب الصوم جازماً به. والنسائي (٥)، والشافعي في الأم، والبيهقي، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٦).



رسالة إلى المرأة المسلمة بمناسبة رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

أختي المسلمة: سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

أثنى الله عزّ وجلّ على المسلمات المؤمنات الصابرات الخاشعات، ووصفهن بأنهن حافظات للغيب بما حفظ الله، ولما ذكر الله عز وجل أوصاف الصالحين، قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وبمناسبة هذا الشهر أزفُّ إليك **يا فتاة الإسلام،** ويا أَمَةَ الله، التهنئة بهذا الشهر سائلاً الله لي ولك المغفرة والتوبة النّصُوح، وتقبّلي منّا بهذه المناسبة باقة من النصائح أطْلَعت عشر زهرات:

الأولى: المرأة المسلمة تؤمن بالله عزّ وجلّ ربّاً، وبمحمد ﷺ نبيّاً، وبالإسلام ديناً، وتظهر آثار الإيمان عليها قولاً وعملاً واعتقاداً، فهي تحاذر غضب الله، وتخشى أليم عقابه، ومغبّة مخالفة أمره.

الثانية: المرأة المسلمة تحافظ على الصلوات الخمس بوضوئها وخشوعها في وقتها، فلا يشغلها عن الصلاة شاغل، ولا يلهيها عن

العبادة مُلهي، فتظهر عليها آثار الصلاة، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي الحرز العظيم من المعاصي.

الثالثة: المرأة المسلمة تحافظ على الحجاب وتتشرف بالتقيد به، فهي لا تخرج إلا متحجبة تطلب ستر الله، وتشكره على أن أكرمها بهذا الحجاب، وصانها، وأراد تزكيتها. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الرابعة: المرأة المسلمة تحرص على طاعة زوجها فتلين معه وترحمه وتدعوه إلى الخير وتُناصحه وتقوم براحته ولا ترفع صوتها عليه ولا تُغلظ له في الخطاب.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا صلّت المرأةُ خَمْسَها وصامتْ شهرَها وأطاعتْ زوجها دخلتْ جنّة ربها**»(١).

الخامسة: المرأة المسلمة تربّي أطفالها على طاعة الله تعالى، تُرضعهم العقيدة الصحيحة، وتغرس في قلوبهم حب الله عزّ وجلّ وحب رسوله ﷺ، وتجنبهم المعاصي، ورذائل الأخلاق، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

السادسة: المرأة المسلمة لا تخلُو بأجنبي. وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ما خلت امرأة برجل إلا كان الشيطان ثالثَهما**»(٢). وهي لا تسافر

---

(١) صحيح، رواه أحمد (١/١٩١)، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/٣٧٢) رقم (٨٨٠٠) ومال الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند ٣:١٢٨ إلى انقطاع إسناد حديث الإمام أحمد.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤:٣٠٦: وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح. وأحمد (٣/٣٣٩ ـ ٤٤٦).

بلا محرم، ولا تجوب الأسواق، والمجامع العامة إلا لضرورة، وهي متحجبة محتشمة متسترة.

السابعة: المرأة المسلمةُ لا تتشبّه بالرجال فيما اختصّوا به. وقد قال ﷺ: «**لعنَ الله المتشبهينَ من الرّجال بالنساءِ والمُتشبهات من النساءِ بالرجالِ**»[1]. ولا تتشبه بالكافرات فيما انفردت به من أزياء وموضات وهيئات. وقد قال ﷺ: «**من تشبّه بقومٍ فهو منهم**»[2].

الثامنة: المرأة المسلمةُ داعيةٌ إلى الله عزّ وجلّ في صفوف النساء بالكلمة الطيبة، بزيارة جاراتها، بالاتصال بأخواتها بالهاتف، بالكتيب الإسلامي، بالشريط الإسلامي، وهي تعمل بما تقول، وتحرصُ أن تنقذ نفسها، وأخواتها من عذاب الله تعالى. صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**لئن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعم**»[3].

التاسعة: المرأة المسلمة تحفظ قلبها من الشبهات والشهوات، وعينها من الحرام، وأذنها من الغناء، والخنا، والفجور، وجوارحها جميعاً من المخالفات، وتعلم أن هذا هو التقوى.

العاشرة: المرأة المسلمة تحفظ وقتها من الضياع، وأيامها ولياليها من التمزق، فلا تكون مغتابة نمّامة سبّابة لاهية ساهية، قال سبحانه: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى عن قوم ضيّعوا أعمارهم أنهم يقولون: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

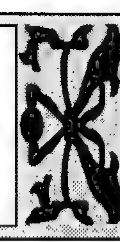
اللهمَّ اهد فتاة الإسلام لما تحبه وترضاه، واعمُر قلبها بالإيمان.

---

(١) رواه البخاري (٥٨٨٥).

(٢) صحيح وقد سبق.

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٢ ـ ٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).



هموم العالم الإسلامي في شهر رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**مثل المسلمين في توادِّهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهرِ**»(١).

المسلمون يعيشون هذا الشهر وهم في مآسٍ وأزمات.

❁ **شيوعية حمراء** تأكل الأخضر واليابس، وتسحق المسلمين بالحديد والنّار، وتغرس الإلحاد في قلوب الأجيال، تبثُّ أفكارَها في عالم الاقتصاد، والمال، والنظريات العلمية.

❁ **والرأسمالية** تطفح بالشّهوات، فهي تكيد للعالم الإسلامي

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦) وقد سبق.

بالغزو الفكري، وسيلتها في ذلك المرأة والكأس ومفاتن الحياة من لهو وترف وترفيه محرم ومُجونٍ وإغراء.

❁ **وعلمانية** (لا دينية) تدعو إلى الفصل بين الدين والدنيا، وإقصاء الإسلام عن مسرحِ الحياة، بحجةِ أن الدّين يفرق بين الشعوب، والعلمانية فكر مُلحدٌ كافر، لا يُقرّ الديانات كلها، ولا يرضى بالإسلام، جملةً وتفصيلاً في شؤون الحياة.

❁ **وماسونية** أنتجها اليهود، جاءت لهدم الأديان، بما فيها الإسلام، وهي في ظاهرها تدعو لتوحيد الأجناس، ولها وسائل، وطقوس، وشارات، وأحزاب، وهي سرية العمل، عالمية التأثير، صهيونيَّةِ النشأة.

والعالم الإسلامي اليوم مُثخنٌ بالجراح:

سُلبت منه فلسطين، والمسجد الأقصى في الأسر، والشيوخ، والنساء، والأطفال يذبحون صباح مساء، ولن يعيد فلسطين إلى بلاد المسلمين إلا الإسلام بغضبة عمر بن الخطاب، وإقدام صلاح الدين، وصدق ابن تيمية.

ودمرت أفغانستان، وشرد شعبها، وسحقت مدنها، وهدّمت مساجدها بدبابات أعداء الله الحمر، آلاف اللاجئين لا يجدون مسكناً، ولا خبزاً، ولا ماءً ولا كساءً.

ولايات الإسلام في روسيا مثل: أذربيجان، وأوزبكستان، وتركمستان، تشكو الظلم، والإبادة، والتشريد، والمجاعة، فهل من ناصر؟!

لماذا التقاطُعُ في الإسلام بينكُم وأنتُم يا عباد الله إخوان
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

المرأة المسلمة تُحارَب في حجابها، وسترها، وعرضها، ودينها، وعفافها.

الشباب يفتنون بوسائل الهدم، وإغراءات الشياطين، وملذّات الهوى.

التنصير يجوب العالم الإسلامي، شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً.

فرقة بين المسلمين، إلا من رَحِم ربك، وهذه الفرقة تُوهِن الصفّ، وتفرِّق الكلمة، وتفتُّ في العضد.

فما هو موقف المسلم من ذلك؟ لعله أن يتذكر إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إن المطلوب من المسلم أن يعيش لهذه القضايا الكبرى بمشاعره، بمقاله، بدعائه، بتوعية إخوانه المسلمين أمام هذه الأخطار، بجمع كلمة المسلمين ليكونوا صفّاً واحداً، بإخبار الناس بهذه المصائب، التي يعيشها العالم الإسلامي لتكون هي قضايا الساعة، ولا يحتقر المسلم نفسه، ففي كل مسلم خير.

والمطلوب من المسلم: أن يجاهد، إن تمكن، وانتفت المعاذير، أن يجاهد بنفسه وماله، فإن لم يستطع فبماله يساند إخوانه، ويهبّ بدرهمه، وديناره لنصرة الإسلام.

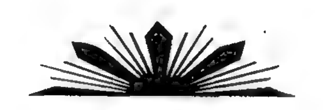
وأن يكثر من الدعاء في أدبار الصلوات، وفي السّحرِ، وساعات القبول للمسلمين بالنصر، والتمكين في الأرض.

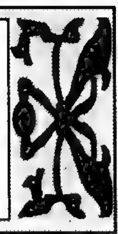
وأن يدعو إلى تقوى الله عزّ وجلّ، فما أُصِبْنا به من كوارث ومصائب ودواهي إلا بذنوبنا وتقصيرنا، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

تعودت الأمة الإسلامية أن تعيش رمضان انتصارات وفتوحات لكنها في السنوات الأخيرة، لما ضعفت عن حمل الرسالة، وانغمست في الدنيا، أصبحت تعيش رمضان همّاً، وحزناً، وتقتيلاً، وتشريداً، وإبادة.

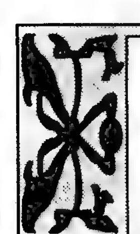
ولكن إذا عدنا إلى الله تعالى نصرنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

اللهمّ إنا نسألك نصرك الذي وعدتنا، اللهمّ ثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.





رمضان يدعو إلى حفظ الوقت



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فما أسرع انصرام العمر ومرور الأيام وتعاقب الليالي:

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةً له إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ
فارفع لنفسكَ قبل موتك ذكرها فالذّكرُ للإنسانِ عمرٌ ثانِ

وصف الله جواب اللاعبين والمفرطين يوم القيامة فقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٦].

قال أحد الصالحين: العمر قصير فلا تقصّره بالغفلة، وهذا حقّ، فإن الغفلة تقصّر الساعات، وتستهلك الليالي.

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**نِعْمتَان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١). فكثير من الناس صحيح مُعافى،

(١) صحيح، وقد سبق.

فارغ، وعمره يمرّ أمامه، لا يستفيد منه، ولا يستثمره.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: **«لا تَزول قدمَا عبدٍ يوم القيامةِ حتى يُسأل عن أربع، وذكر عمره فيما أبْلاهُ»**(١). العمر كنز، من أنفقه في طاعة الله، وجد كنزه، يوم لا ينفع مال، ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وإن أنفقه في الغفلة، والمعاصي، واللّهو، واللّعب ندم ندامة ما بعدها ندامة، وقال: يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها.

الليل والنهار مطيتان تنقلان الإنسان إلى السعادة الأبدية، أو إلى الخسران.

كان السلف الصالح يبادرون أنفاسهم في حفظ أوقاتهم، ولهم في ذلك قصص عجيبة، منهم من كان يقرأ القرآن الكريم، وهو في سياق الموت كالجنيد بن محمد حتى قال له أبناؤه: أجهدت نفسك، قال: ومن أحق الناس بالإجهاد إلا أنا.

وكان الأسودُ بن يزيد، التابعي، يُصلي أكثر الليل، فقال له بعض أصحابه: لو ارتحت قليلاً، قال: الراحة أريد، يعني: في الآخرة.

وجلس سفيان الثوري في الحرم مع قوم يتحدثون فقام من بينهما فزعاً، وهو يقول: نجلس هنا والنهار يعمل عمله.

ومن السلف من قسم نهاره، وليله إلى ساعات، فساعات: صلاة، وتلاوة، وذكر، وتفكّر، وطلب علم، وكسب حلال، ونوم، لم يكن للعب عندهم وقت.

أما المتأخرون، فأصيبوا بمصيبة ضياع الوقت، إلاّ من رحم ربُك، كثرة نوم، وبطالة، وغفلة، وشرود، وإسراف في المباحات،

---

(١) صحيح، وقد سبق.

والمُلْهِيات، وجلسات لا فائدة فيها، واجتماعات، إن لم تكن معصية، كانت طريقاً إلى المعصية، وسبباً لها.

من أعظم ما ينظم الوقت، ويرتب الأعمال: الصلوات الخمس. يقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

فبعد الفجر: زمن الحفظ، والتلاوة، والذكر، والتأمل، ومن ارتفاع الشمس إلى الظهر هو: وقت العمل، والكسب، والتجارة، وطلب العلم، والسعي في الأرض، وبعد صلاة الظهر: خاصة لطلبة العلم، هو: وقت قراءة المجاميع العامة، وكتب التاريخ، وبعد العصر، هو زمن المكتبة، والتحصيل الجاد، وتحقيق المسائل، وبعد المغرب لزيارة الإخوان، واستقبال الأصحاب، وبعد صلاة العشاء للأهل، ثم النّوم، فقيام آخر اللّيل، ويوم الخميس زمن راحة، ونزهة مباحة، ويوم الجمعة يوم عبادة، وتلاوة، وذكر، واستعداد للجمعة بغسل، وسواك، وطيب، ولباس، وتبكير.

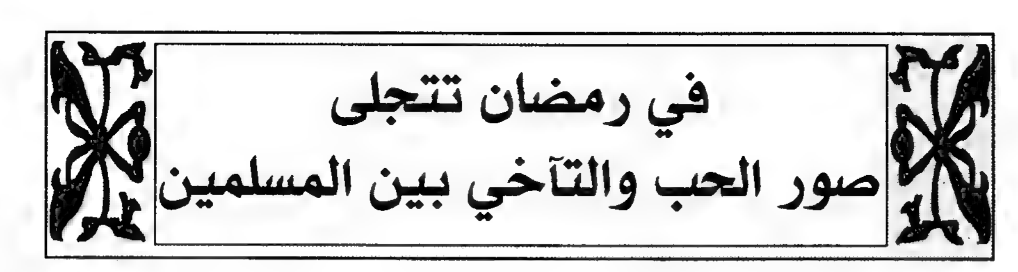
وشهر رمضان: مدرسة لتنظيم وقت المسلم، واستثمار هذا الوقت فيما يقرِّب من الله عزّ وجلّ.

الصائم في النهار متفرِّغ للعبادة، إذ هو معافى من تهيئة الطعام وإعداده وتحضيره، والتشاغل به، وهذه الأمور تأخذ وقتاً طويلاً، وقد توفر هذا الوقت للصائم فزاده في وقت العبادة، والعمل الصالح.

من الناس من لا يدري ما معنى الصّيام، فهو في غفلة كبرى، وفي سُبات عميق، قطع نهاره نوماً وقطع ليله سفراً ضائعاً:

يا مذهباً ساعاتِ عمرٍ ما لها عِوَضٌ وليس لفَوْتِها إرجاعُ
أنفقتَ عُمرَكَ في الخسارِ وإنه عملٌ ستأتي بعده أوجاعُ

اللهمَّ احفظ علينا أعمارنا، وثبِّت أقدامنا، واستعملنا في طاعتك يا ربَّ العالمين.



في رمضان تتجلى صور الحب والتآخي بين المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فالمسلمون يد واحدة وقلب واحد وكيان واحد، المسلمون كما وصفهم ﷺ بأنهم كالجسد الواحد، ولم يجمع شتاتهم إلاّ الإسلام، ولن يؤاخي بينهم إلاّ الإسلام، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

ليس عند المسلمين وحدة لغة، أو دم، أو لون، أو جنس، أو وطن، وإنما عند المسلمين وحدة دين، تجمعهم مظلّة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

المسلمون يتمايزون بالتقوى، ويتفاضلون بالعلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

لـمّا دعا محمد ﷺ إلى الإسلام، جاء المؤذن من الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وخرج لسان الحال بسلمان الفارسي ليقول:

«**سلمان منا آل البيت**»، وهبّ صُهَيب الرّومي ينادي: الله أكبر، الله أكبر، وتخلّف أهل التمييز العنصري: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وأبو لهب.

قال الأول:

إذا فخَرْت بآباءٍ لهم كرمٌ نعم صدقْتَ ولكن بئس ما ولدُوا

المسلمون جمعية كبرى، عضوها كل بار مؤمن راشد، والإسلام ليس لأمة دون أخرى، فالإسلام للعرب، والهنود، والأتراك، والباكستان، والأفارقة بل لكل العالم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه قرشيّ، وبلال حبشي، وصُهيب رومي، وسلمان فارسي، ومحمد الفاتح تركي، وإقبال هندي، وصلاح الدين كردي، جمعتهم جميعاً لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي رمضان تظهر هذه الوحدة العظيمة، فشهر واحد، وصيام واحد، وقبلة واحدة، ومنهج واحد.

نصلي جميعاً وراء إمام واحد، والله يقول لنا: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

خاطبنا الله تعالى بالصّيام جميعاً، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

حَجُّنا واحد في زمن واحد، على صعيد واحد ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

دعانا الله عز وجل إلى الاعتصام بحبله، ونبذ الفرقة فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نهانا سبحانه عن الفرقة، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتَّى لا يبغي أحد على أحدٍ ولا يفخرُ أحدٌ على أحدٍ**»(١).

إن يختلفْ ماءُ الوصالِ فماؤنَا عذبٌ تحدّرَ من غمامٍ واحدِ
أو يفترقْ نسبٌ يؤلّفُ بيننا دينٌ أقمناه مقامَ الوالدِ

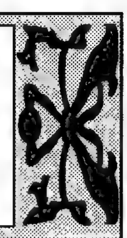
وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً**»(٢)، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذُله ولا يحقرُه، بحسب المسلم من الشرّ أن يحقِرَ أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلمِ حرامٌ، دمه وماله وعرضُه**»(٣).

من لوازم هذه الأخوة: السؤال عن حال أخيك المسلم، وزيارته في الله، وعيادته إذا مرض، والسلام عليه عند اللقاء، والبشاشة في وجهه، وتشميته إذا عطس، وإجابة دعوته، وتشييع جنازته، والدعاء له بظهر الغيب، والذبّ عن عرضه، وسد حاجته، والوقوف إلى جانبه، ونصره إذا ظُلم، ونصيحته وتوجيهه، إلى غير ذلك من الحقوق، فكل مسلم في الأرض أخ لك أخوة إيمانية قرآنية شرعية، كتب عقدها الله، وجاء بصفتها محمد رسول الله ﷺ.

اللهم ألِّف بين قلوبنا، واجمع شملنا، ووحّد صفوفنا يا أكرم الأكرمين.

---

(١) رواه مسلم (٦٤) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.
(٢) صحيح وقد سبق، رواه البخاري (٤٨١ ـ ٢٤٤٦ ـ ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٣) صحيح وقد سبق.



شهر رمضان موسم مبارك للدعوة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فالدعوة الإسلامية مهمةُ الأنبياء والرّسل، عليهم الصلاة والسلام، ما من نبيٍّ إلا قام داعية، ومعلِّماً كلهم يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٩٥] ويقول الداعية منهم لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

ويقول عزّ من قائل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول تبارك اسمه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم النافع والعمل الصالح.

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

والدعوة إلى الله لها آداب خمسة، مع خمس وسائل، وخمس نتائج:

أما آدابها الخمسة فهي:

أولاً: الإخلاص لله، والصدق مع الله، وطلب ما عند الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقد أخبر المعصوم ﷺ أن من أول من تُسعّر بهم النار ثلاثة، ومنهم: عالم تعلَّم العلم ليقال عالم وقد قيل.

ثانياً: العمل بما يدعو إليه، فإن مخالفة الفعل للقول فضيحة وعار، قال سبحانه: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

يقول الشاعر:

يا أيها الرّجلُ المعلِّم غيرهُ ... هلاّ لنفسكَ كان ذَا التعليمُ
تصف الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ

ثالثاً: اللين في تبليغ الدعوة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «**يسِّرُوا ولا تعسِّرُوا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[(١)].

رابعاً: التدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، كما فعل ﷺ في دعوته للناس، وكما قال لمعاذ لما أرسله إلى اليمن فقال: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦٩ ـ ٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٢ ـ ١٧٣٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٩٦ ـ ٤٣٤٧). ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

خامساً: مخاطبة كل قوم بما يناسبهم وما يحتاجونه، فلأهل المدن خطاب، ولأهل القُرى خطاب، ولأهل البوادي خطاب، وللمتعلم مقام، وللجاهل مقام، وللمجادل أسلوب، وللمُذْعِنِ أسلوب، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ووسائل الدعوة خمس:

أولها: الدعوة الفردية، وهي: مخاطبة المدعو منفرداً عن الناس، إذا كانت المسألة تخصه.

ثانيها: الدعوة العامة في هيئة محاضرة، أو موعظة وهي تنفع العامة، وجمهور المسلمين.

ثالثها: الدرس الخاص بطلبة العلم كلٌّ في فنِّه، وهذه مهمة العلماء القائمين بفنونهم.

رابعها: الدعوة بالمكاتبة والمراسلة، والتآلف، والهدايا، وتقديم النفع للمدعو.

خامسها: الدعوة بالوسائل الحديثة الإعلامية، واستغلالها في رفع كلمة الحق.

أما نتائجها فخمس:

أولها: إحراز منصب وراثة الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، فهم الدعاة الأوائل، والمنائر السامقة في عالم الدعوة.

ثانيها: استغفار المخلوقات لمعلم الناس الخير حتى الحيتان في البحر كما صحَّ به الحديث.

ثالثها: كسب أجور عظيمة بقدر أجور المدعوّين، فقد صحَّ

عنه ﷺ أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيئاً**»[١].

رابعها: انتقال الداعية من منزلة المدعو إلى منزلة الداعي، فيؤثر في غيره، ولا يتأثر بغيره من دعاة السوء.

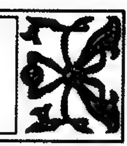
خامسها: إمامته في الناس والاقتداء به، فإن الله عزّ وجلّ وصف الصالحين، وذكر أنهم يدعون، ويقولون: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وفي رمضان تتهيأ مشاعر الدعاة، وتنطلق ألسنتهم، وتجود أقلامهم، وترحب بهم المنابر، لسماع دعوتهم وكلامهم، فهل من داعية يجود بالعلم في هذا الشهر لينفع الله به؟.

اللهم زدنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وفقهاً في الدّين.



(١) رواه مسلم (١٠١٧ ـ ٢٦٧٤) من حديث جرير بن عبدالله البجلي.



للصائم دعوة لا ترد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**للصائم دعوةٌ لا تُردُّ**»[(١)]، لماذا؟ لأن الصائم منكسر القلب، ضعيف النفس، ذلَّ جُموحه، وانكسر طُموحه، واقترب من ربه، وأطاع مولاه، ترك الطعام والشراب خِيفَة من الملك الوهّاب، كفَّ عن الشهوات طاعة لرب الأرض والسموات.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الدُّعاء هو العبادة**»[(٢)]، إذا رأيت العبد يُكثر من الإلحاح في الدعاء، فاعلم أنه قريب من الله واثق من ربه.

قال الصحابة: يا رسول الله، أربُّنا قريب فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إنكم لا تدْعُون أصمّ ولا غائباً، وإنما تدعون سميعاً بصيراً أقرب إلى أحدكم من عُنق راحلته**»[(٣)].

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجة (١٧٥٣) وقال البوصيري: إسناده صحيح.

(٢) صحيح، رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الدعاء حبل مديد وعروة وُثقى وصلة ربانية.

الله ينادينا أن ندعوه، ويطلب منا أن نسأله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

لو لم تَردْ نيلَ ما أرجو وأطلبهُ من جود كفِّك ما علّمتني الطلبا

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأُعطيه، هل من داعٍ فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له**»[(١)].

وشهر رمضان هو شهر الدعاء، وشهر الإجابة، وشهر التوبة والقبول.

فيا صائماً جفَّت شفته من الصيام، وظمأت كبده من الظمأ، وجاع بطنه، أكثر من الدعاء وكن ملحاحاً في الطلب. وصف الله عباده الصالحين فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وللدعاء، يا صائمون، آداب ينبغي على الصائم معرفتها، منها:

عزم القلب، والثقة بعطاء الله عزّ وجلّ، وفضله، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزمَ المسألة فإن الله لا مُكره له**»[(٢)].

ومن الآداب: الثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

---

(١)(٢) صحيح، وقد سبق.

ومنها: توخي أوقات الإجابة كالثُّلث الأخير من الليل، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي أدبار الصلوات، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وبعد العصر، ويوم عرفة.

ومنها: تجنب السجع في الدعاء، والتكلف، والتعدي فيه.

ومنها: الحذر من الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

أيها الصائم، قبل الغروب، لك ساعة من أعظم الساعات، قبل الإفطار، يوم يشتد جوعك، ويعظم ظمؤك، فأكثر الدعاء، وزد في الإلحاح، وواصل الطلب، ولك في السحر ساعة فجُد على نفسك بسؤال الحيّ القيوم، فإنك الفقير، وهو الغني، وإنك الضعيف وهو القوي، وإنك الفاني وهو الباقي.

يا ربِّ عفوَك ليس غيركَ يُقصدُ ... يا من له كلُّ الخلائق تَصمدُ
أبواب كل مُملَّكٍ قد أوصدَت ... ورأيتُ بابك واسعاً لا يوصدُ

دعا إبراهيم، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

ودعا موسى، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: ٢٥، ٢٦].

ودعا سليمان، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ودعا محمد ﷺ كما في الصحيح: «**اللهم ربّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق**

بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

للدعاء أربع فوائد:

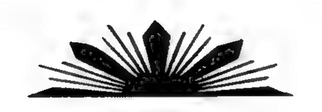
الأولى: عبودية لله عزّ وجلّ، وتذلل له، وثقة به، وهي مقصود العبادة وثمرتها.

الثانية: تلبية الطلب إما لإعطاء خير، أو دفع ضر، وهذا لا يملكه إلا الله عزّ وجلّ.

الثالثة: ادخار الأجر والمثوبة عند الله إذا لم يُجبْ الداعي في الدنيا، وهذا أحسن وأنفع.

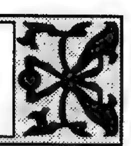
الرابعة: إخلاص التوحيد بطريق الدعاء وقطع العلائق بالناس والطمع فيما عندهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك، أنت الوهّاب.

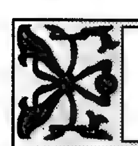


---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).



هدايا للصائمين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فإني لا أجد أحسن هدية، ولا أعظم تُحفة، ولا أجل عطية من أن أقدم للصائم هدايا من رسول الهدى ﷺ يهديها لكل مسلم، إنها تلك الأحاديث العملية التي ذُكرت مقرونة بالأجر والثواب، إنها تلك-الأحاديث التي هي من أبواب السعادة ومن طرق الخير في الدنيا والآخرة.

أيها الصائم دونك هذه الأحاديث واحرص على العمل بها:

يقول ﷺ: «**من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل وكتبت له بها عشر حسنات، وحُطّ عنه بها عشر سيئات، ورُفع له بها عشر درجات، وكان في حِرْز من الشيطان حتى يُمسي، وإذا قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يُصبحَ**».

وقال ﷺ: «**من قال حين يُصبح أو حين يُمسي: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة**».

وقال ﷺ: «من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله العظيم وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك وزاد عليه».

وقال ﷺ: «من قال رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجَبتْ له الجنةُ».

وقال ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرسَت له نخلةٌ في الجنة».

وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر».

وقال ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المُقنطرين».

وقال ﷺ: «من قال حين يُمسي: بسم الله الذي لا يَضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميعُ العليمُ، ثلاث مرات، لم يصبه فجأة بلاء حتى يُصبح. ومن قالها حين يُصبح ثلاث مرات، لم يصبه فجأة بلاء حتى يُمسي».

وقال ﷺ: «من قال حين يُمسي ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التّامات من شرّ ما خلق، لم يضره لدغة حية في تلك الليلة».

وقال ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووُقيت، وتنحّى عنه الشيطان».

وقال ﷺ: «من قال حين يسمعُ المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربّاً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

وقال ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة**».

وقال ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**».

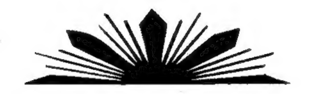
وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دُبُر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**».

وقال ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد، فكأنما قرأ ثلث القرآن**».

وقال ﷺ: «**من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة**»(١).

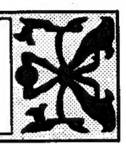
هذه باقة عطرة من محمد ﷺ نزفّها إلى كل صائم.

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. آمين.



---

(١) ثبتت كل هذه الأحاديث بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، وآثرت عدم تخريجها لإطالة الهوامش.



العيد غداً

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فغداً العيد والعيدُ غداً، فما معنى العيد وكيف يكونُ العيد؟.

ليس العيد لمن لبس الجديد، ولمن تفاخر بالعُدد والعَديد، إنما العيد لمن خافَ يوم الوعيد، واتقى ذا العرشِ المجيد.

ليس العيد نغمة ووَتَر، ولا مباهج فارغة، ولا مظاهر، وفوضى، بل العيد شكر للمنعم عزّ وجلّ، واعتراف بفضله، وإظهار نعمته، والمسيرة في موكب من المؤمنين إعزازاً للدين، وكبتاً لأعداء المسلمين.

وفي العيد قضايا منها:

١ - الأكل في صباح عيد الفطر قبل الصلاة، وذلك بتناول تمرات لنمتثل أمر الله تعالى في الإفطار كما امتثلناه في الصيام.

٢ - ومنها: زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وإسعاداً للفقير وإحياء لروح التعاون، والتراحم بين المسلمين، وتزكية للنفس وقهراً للشح.

٣ - ومنها: لبس الجديد من الملابس، والتطيب اعترافاً بجميل صاحب الجميل تبارك وتعالى وتزيناً له، فهو، سبحانه، جميل يحب الجمال، ثم هو إظهار لنعمة الله عزّ وجلّ، ففي حديث

حسن عنه ﷺ أنه قال: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**[1].

٤ - والعيد: أن يعود بعضنا على بعض بالزيارة، والسلام، والصفاء، والحب.

٥ - والعيد: صلة للأرحام، وبر بالوالدين، وعطف على الفقير، والمسكين، ورحمة بالجار.

٦ - العيد: عند المسلمين، تتجلى فيه الأفراح الإيمانية المنضبطة بضوابط الشرع المحفوفة بسياج الأدب، ففي العيد المزح الوقور والدعابة اللطيفة، والنكتة البريئة، والبسمة الحانية، والنزهة المباحة، والقصص البديعة.

٧ - العيد يذكر بيوم العرض الأكبر جمع حاشد، وألوف مؤلفة؛ غني وفقير، وكبير وصغير، وأمير ومأمور، وسعيد وشقي، ومسرور ومحزون.

٨ - العيد يوم الجوائز، فمن صام، وقام إيماناً واحتساباً، فبشراه بالجائزة الكبرى، والفوز العظيم، والثواب الجسيم.

ومن فَجَرَ في صيامه، وتهاون في أمر ربه، وتعدَّى حدوده فيا ندامته، ويا أسفه، ويا حسرته.

يعود الناس من المصلى وهم فريقان:

فريق مأجور مشكور يقول الله تعالى لهم: انصرفوا مغفوراً لكم فقد أرضيتموني، ورضيت عنكم.

وفريق خاسر خائب يعود بالخيبة، والخسران، والأسف، والحرمان.

---

(١) صحيح، سبق تخريجه.

مرَّ أحد الصالحين بقوم يلهون ويلغون يوم العيد فقال لهم: إن كنتم أحسنتم في رمضان فليس هذا شكر الإحسان، وإن كنتم أسأتم فما هكذا يفعل من أساء مع الرحمٰن.

يا أيها المسلم، تفكَّر فيمن صلّى معك الأعياد الماضية من الآباء والأجداد، والأحباب، والأصحاب، أين هم؟ أين ذهبوا؟ وأين ارتحلوا؟

قال أبو العتاهية الزاهد:

فكم فجع الموت من والدٍ ... وكم سكّت الدهر من والده
وكم قد رأينا فتىً ماجداً ... تفرَّع من أسرة ماجده
يشمِّر للحرب في الدارعين ... ويطعم في الليلة البارده
رماه الفراق بسهم الردى ... فأصبح في التلة الهامده
فما لي أرى الناس في غفلةٍ ... كأن قلوبهم سامده
شروا برضا الله دنياهم ... وقد علموا أنها بائده
إذا أصبحوا أصبحوا كالأسود ... باتت مجوَّعة حارده
مظاهرهم تُعجب الناظرين ... ونياتهُم بالردى فاسده

غداً تنال الجائزة، وغداً توفَّى أجرك مكتوباً في سجلات الأعمال، فاحرص أن يكتب فيه خير، وانتظر عيدك الأكبر يوم تفوز إن شاء الله برضى الله وعفو الله ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم.

